حياة مالك بن أنس

العلامة السيد سليمان الندوي

اعتنى

بترجمته والتعليق عليه

مجيب الرحمن عتيق الندوي

حياة مالك بن أنس

عرضٌ علمي شامل ودقيق لحياة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله وصفاته وأخلاقه، ومكانته العلمية العالية في الفقه والحديث

تأليف

العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله

اعتنى بترجمته والتعليق عليه

مجيب الرحمن عتيق الندوي

معلومات عامة

اسم الكتاب:	حياة مالك بن أنس
المؤلف:	العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله
المترجم:	مجيب الرحمن عتيق الندوي
الطبعة:	الأولى 2024م
اهتم بنشره:	مجمع العلامة السيد سليمان الندوي

للتواصل مع المترجم

Mujeebur Rehman Ateeq Nadwi

Email: mujeeb_ateeq@hotmail.com

abulubaba.nadwi@gmail.com

Contact: +91-9897971203

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

(الأستاذ الدكتور مُحَمَّد أكرم الندوي حفظه الله)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اتصل بي منذ أيام الأخ الكريم الأستاذ مجيب الرحمن عتيق الندوي اتصالا بِكْرا غير مسبوق برؤية ولا لقاء، وغير معهود بذكر ولا تعارف، وفاجأني بخبر سارٍّ في زمن غربت فيه الأخبار السارَّة أو ندرت، بشرني بقضائه ترجمة ("حياة مالك" للعلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى) من الأردية إلى العربية، ويا لها من بشرى صادقة، فهنأته على هذا الإنجاز المبارك، وسألني أن أقدِّم له، فاعتذرت إليه بتزاحم الأشغال علي، ورجوته أن يعذرني، ولكنه كرر سؤاله بقول فيه لين وحلاوة، فاستسلمت له ووافقت على طلبه رجاء درج نفسي في هذا الجهد الميمون النافع، وكيف لا وهذا الكتاب من أجلِّ الكتب المترجمة من الأردية إلى العربية في العهد الذي نعايشه.

إن مؤلف الكتاب العلامة السيد سليمان الندوي بحاثة محقق وأديب نقاد، مستجمع لأسباب البحث والتحقيق، بصير بمذاهب العلم

والأدب، ومتحقق بوسائل النظر والنقد، اتفقت كلمة الذين صحبوه أو قرأوه على رأي واحد لا يختلف، وهو أنه مفخرة الهند ومعجزتها في فقه السيرة وإدراك أغوار التاريخ، لا نِدَّ له في البابين ولا قرين، تُعلِّم كتاباته النظر والتثبت أولا، ومنهج العرض والأسلوب ثانيا، وإن ما شيده من منارات رفيعة في العلم والأدب ليعجز عن دركه الملوك والسلاطين والغزاة الفاتحون.

امتاز العلامة الندوي – إلى جانب تقدمه في عامة المعارف والفنون – بعناية فائقة بالحديث النبوي الشريف، إذ أخذ أمهات كتبه عن شيوخه في دار العلوم لندوة العلماء، وطالع "العجالة النافعة" و"بستان المحدثين" للإمام عبد العزيز بن أحمد الدهلوي، ثم أولع بموطأ الإمام مالك، وضاعف من رغبته في الحديث الشريف دراسته لتذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، وفتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني.

نظر في كنوز السنة بدقة تامة لا سيما خلال اشتغاله بموسوعة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، استند في تأليفهما إلى الأصول الستة، وموطأ الإمام مالك بروايتي يحي ين يحيى الليثي ومُحَمَّد بن الحسن الشيباني، ومسند أحمد بن حنبل، ومصنف عبد الرزاق، ومسند البزار، ومسند ابن الجارود، والأدب المفرد، وسنن الدار قطني، وصحيح ابن خزيمة، ومعاجم الطبراني، وصحيح ابن حبان، وسنن

الدارمي، وسنن البيهقي، ومشكاة المصابيح، وكنز العمال، وفتح الباري، ونيل الأوطار.

ومن حبه للأخبار والآثار وشغفه بها أنه كان دائم الحرص على اقتناء مصادرها الأساسية والثانوية في دار المصنفين، حتى أصبحت خزانة دار المصنفين حافلة بكتب الحديث وعلومه ورجاله.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا عرض لحياة إمام دار الهجرة، وصفاته وأخلاقه، وإبداعه الفريد "الموطأ"، سادًّا به مكانا خاليا في الأدب الأردي، ألفه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، بيد أن قراءته تَشِي بأنه إنتاج طاعن في السن كبير، وعالم خبير، وكاتب قدير.

تطورت فيه أيام طلبه صلة وطيدة بالإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، وكان يفضل موطأه على الصحيحين، كتب في مجلة "الندوة" سنة 1907م مقالا طويلاً تحت عنوان "حياة الإمام مالك" نشر في أعداد مختلفة، ثم جمع تلك الحلقات المبعثرة ونسقها تنسيقا، ولقي الكتاب قبولا واسعا، وصدرت له عدة طبعات.

تناول في الكتاب نسب مالك ومولده، وبيئته، وثقافته، وتلقيه للعلوم، وشرف المدينة المنورة، وتاريخ فقهاء الصحابة فيها، وفقهاء التابعين، وشيوخ مالك، وأخذه للقراءة، وسماعه للحديث، وتراجم شيوخه نافع، وابن شهاب، ومُحَمَّد بن المنكدر، وأبي حازم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام

بن عروة وغيرهم، وعد شيوخه على حروف الهجاء، وشيوخه من غير أهل المدينة.

وناقش فيه أخذه للفقه عن ربيعة الرأي، وموضوع الفقه والفتيا، والفرق بين الفقيه والمحدث، وطبقات فقهاء الصحابة الثلاث، وفقهاء المدينة من التابعين لاسيما الفقهاء السبعة، ومجلس الفقه في المدينة، وفقه أهل المدينة، وفقه مالك، وكراهيته للرأي، وظنية الرأي.

وتحدث عن أحواله العامة، وعدم خضوعه للسلطان في أمر الحق، وانقضاء الخلافة الأموية، ونشأة الخلافة العباسية، واقتراح منصور العباسي بإكراه الناس على العمل بالموطأ، وموقف مالك من العلويين.

وعالج أخذ الناس عنه على طبقاتهم المختلفة، ورحلة الكبار والطلبة إليه، وسبب عدم روايته لأحاديث علي وابن عباس، ووفاته، وأخلاقه وشمائله، والموطأ، وعدد أحاديثه، ومكانته من بين سائر كتب الحديث، ومزيته على الصحيحين، وروايات الموطأ، وشروحه والتعليقات عليه.

والحمد لله على أن هذا الكتاب القيم تم نقله إلى العربية أخيرا، وسبق أن ترجم كاتب هذه السطور كتابه (أرض القرآن) إلى العربية، كما عرب الأخ حسيب الندوي وغيره بعض مؤلفاته الأخرى وبحوثه، تمتاز كتبه كلها بالبحث والتحقيق وإثراء المعارف البشرية وهي من أهم أجزائها،

حقيقة بالإعجاب والتقدير، وترجمتها تعني الإضافة إلى كنوز اللغة العربية إضافة أصيلة.

وكم من ثروات علمية وأدبية في الهند مطوية باللغتين الفارسية والأردية، وعامة العلماء في البلدان العربية لا يعرفون منها إلا أطلالا بالية ورسوما دارسة، فأين الرواد؟ وأين المتمكنون من اللغة العربية؟ ألا من مُنبِّه لهم فيظهروا هذا الكنز الخفي لطالبيه، ويفتحوا على جماله الأبصار، ويلفتوا إلى ذلك المجد القلوب، ويردوا إلى إخواننا العرب بضائعهم التي استوردت منهم استيرادا.

ومن تلك الكنوز المستورة من عيون العرب مصنفات علماء الندوة في القرآن الكريم وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه، والسيرة، والتاريخ، ومما ينكي القلوب أن ورثتها من المتخرجين الأحداث أقل خلفٍ شوقا إلى نشر تراث سلفهم، وأبعد الناس عن معاناة المشقة وخوض الغمار، زاهدين في العلم والأدب نافرين، ومنصرفين عن البحث والتحقيق معرضين، تُغريهم أطماع مادية حقيرة، وأمور تافهة هزيلة، ويا له من عقوق.

ولم ينتدب لمداواة هذا العقوق إلا رجال يعدون على الأصابع، منهم الأستاذ المترجم لهذا الكتاب، وهو من المعنيين بالتدريس والتأليف، ومن إسهاماته البارزة باللغة العربية: الإمام الدهلوي ومنهجه في التجديد والإصلاح، والإمام أحمد بن عرفان عبقري الدعوة وبطل الجهاد، والصراع بين أصحاب العقيدة والإيمان وأهل الكفر والطغيان في ضوء سورة البروج.

ونعترف للأستاذ مجيب الرحمن الندوي بالفضل على ترجمته للكتاب مقدرين سعيه، والترجمة عملية صعبة مضنية تتطلب الإلمام الكافي باللغتين المترجم منها وإليها، ولم يقتصر على التعريب، بل بذل جهده في تحقيق نصوص الكتاب، والتعليق عليه بفوائد، الأمر الذي يحتاج إلى توفر همة واجتماع نشاط كبير مستمر متجدد، ولا يتأتى ذلك إلا لمن غض بصره عن كل ما لا يعنيه، وعمل على قاعدة العلم للعلم فقط.

أدعو الله تعالى أن يرزق له القبول، ويتغمد مؤلفه برحمته ورضوانه، ويوفق للمترجم الباحث بعونه ولطفه الزيادة في الخير علما وعملا.

وكتبه

مُحَمَّد أكرم الندوي

أوكسفورد

25 ربيع الثاني 1442هـ

كلمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأعظم، وعلى آله وأصحابه القادة إلى السبيل الأقوم، ومن تبعهم من الشعوب والأمم، أما بعد

إن شخصية الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة شخصية فذة نادرة، قلما يجود الزمان بأمثاله، لقد ضرب الناس إليه أكباد الإبل، وطبق صيته الآفاق، نشأ وترعرع في مدينة الرسول ﷺ، التي كانت موطن الشرع، ومبعث النور، ومعقد الحكم الإسلامي الأول، وقصبة الإسلام في العهود الإسلامية الأولى، وقد استمرت المدينة في العهد الأموي موئل الشريعة ومرجع العلماء، وقال عبد الله بن عمر كتب إلي عبد بن الزبير وعبد الملك بن مروان، كلاهما يدعوني إلى المشورة، فكتبت إليهما: "إن كنتما تريدان المشورة فعليكما بدار الهجرة والسنة"([1]) وقد كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن، ويكتب إلى أهل المدينة يسألهم عما مضى ويعمل بما عندهم.

([1]) ترتيب المدارك 37

ولقد ثبت في شخصية الإمام مالك العملاقة قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: " يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة "، رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح. قال العلماء: وعالم المدينة هو مالك بن أنس، وهو الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، وفي رواية: "ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة". وفي لفظ: "يأتي علي الناس زمان يضربون أكباد الإبل"، وفي لفظ :"يوشك أن يضرب الناس آباط الإبل يلتمسون العلم"، وفي لفظ "من عالم بالمدينة"، وفي لفظ "أفقه من عالم المدينة"، وقد رواه النسائي عن أبي هريرة: قال النبي ﷺ: "يضربون أكباد الإبل فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة"، وفي رواية: "يخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة"، ويروى عن ابن عيينة قال: كنت أقول: "هو سعيد بن المسيب حتى قلت كان في زمانه سليمان بن يسار وسالم بن عبد الله وغيرهما" ثم أصبحت اليوم أقول: "إنه مالك لم يبق له نظير بالمدينة" وقال الشافعي: وصدق وبر "إذا ذُكر العلماء فمالك النجم"

قال الزبير بن بكار في حديث "ليضربن الناس أكباد الإبل": كان سفيان بن عيينة إذا حدث بهذا في حياة مالك، يقول: أراه مالكا، فأقام على ذلك زمانا ثم رجع بعد، فقال: أراه عبد الله بن عبد العزيز العمري الزاهد. قال ابن عبد البر وغير واحد: ليس العمري ممن يلحق في العلم

والفقه بمالك، وإن كان شريفا سيدا عابدا. قال أحمد بن أبي خيثمة: قال سفيان: "نرى هذا الحديث أنه هو مالك"،

وقال الذهبي: "ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب والفقهاء السبعة والقاسم وسالم وعكرمة ونافع وطبقتهم، ثم زيد بن أسلم وابن شهاب وأبي الزناد ويحيى بن سعيد وصفوان بن سليم وربيعة بن أبي عبد الرحمن وطبقتهم، فلما تفانوا اشتهر ذِكر مالك بها، وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن الماجشون وسليمان بن بلال وفليح بن سليمان والدراوردي وأقرانهم، فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق والذي تضرب إليه آباط الإبل من الآفاق رحمه الله تعالى...."([1])

قال أبوعبد الله الحاكم وذكر سادة من أئمة التابعين بالمدينة كابن المسيب ومن بعده، قال: "فما ضربت أكباد الإبل من النواحي إلى أحد منهم دون غيره حتى انقرضوا وخلا عصرهم، ثم حدث مثل ابن شهاب وربيعة ويحيى بن سعيد وعبد الله بن يزيد بن هرمز وأبي الزناد وصفوان بن سليم، وكلهم يفتي بالمدينة، ولم ينفرد واحد منهم بأن ضربت إليه أكباد الإبل حتى خلا هذا العصر فلم يقع بهم التأويل في عالم أهل المدينة، ثم حدث بعدهم مالك، فكان مفتيها، فضربت إليه أكباد الإبل من الآفاق واعترفوا له، وروت الأئمة عنه ممن كان أقدم منه سنا كالليث عالم أهل مصر

([1]) سير أعلام النبلاء

والمغرب وكالأوزاعي عالم أهل الشام ومفتيهم والثوري وهو المقدم بالكوفة وشعبة عالم أهل البصرة،

لقد كان الإمام مالك آية من آيات الله في غزارة علمه وإتقانه وورعه وزهده، تعرض للمحنة فصمد لها صمودا دونه الراسيات،

أما كتابه " الموطا " فقد تلقته الأمة الإسلامية بالقبول، واعتنى العلماء به كثيرا واعتناء شاملا، كما قد ألف العلماء قديما وحديثا عن شخصية الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وكثرت الكتب والمؤلفات التي تتناول جوانب مشرقة وصفحات رائعة لهذه الشخصية العملاقة، ومن أهم الكتب المؤلفة كتاب السيوطي: "تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك" و"مناقب مالك للزواوي" وغيرها.

وهذا الكتاب الذي نسعد بترجمته إلى اللغة العربية جادت به يراعة الشيخ العلامة السيد سليمان الندوي، شيخ الندويين وسيد الطائفة، صاحب السيرة النبوية التي لم يسبق لها نظير في المكتبة الإسلامية، وصاحب المؤلفات النافعة الكثيرة، وبهذا الصدد يجدر بنا أن نذكر شذرة يسيرة عن المؤلف وندوة العلماء التي كانت حركة إصلاحية ونهضة علمية خرجت الأجيال والعباقرة من العلماء والدعاة، والمؤلفين والأدباء،

إن ندوة العلماء كانت حركة إصلاحية تعليمة دعوية قام بها الشيخ الداعية مُحَمَّد علي المونجيري رحمه الله، يوم كانت الأمة الإسلامية الهندية تعاني

أوضاعا قاسية من تعصب مذهبي أعمى، وتفرقة بغيضة بين القديم والجديد في المناهج التعليمة، والدينية والعلمانية، وخلافات ونزاعات عقيمة بين علماءها وقادتها، وكانت الحرب الفكرية والمذهبية قائمة على قدم وساق، يكفر بعضهم بعضا، ويفسقون إنتصارا لمذاهبهم وتعصبا لنزعاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان، حتى كانت الأمور العلمية الخالصة من قضية رفع اليدين في الصلاة والجهر بآمين وأمثالها ترفع إلى محاكم الإنجليز الكفرة الفجار الطغاة، وكان يتربع الحاكم الطاغية بين المشائخ والعلماء أصحاب الحديث والفقه ويفصل بينهم، كما كان هناك فجوة بين المدارس الدينية الشرعية والمدارس العصرية وبين المخرجين في هذه وتيك، وخلاف وشقاق، وقد أضر الأمة الفصل المشؤوم بين العلوم الشرعية والعلوم العصرية، والخلاف الواقع بين العلماء الشرعيين والمتخرجين في المدارس والجامعات العصرية باسم الدين والدنيا، فكانت المواهب ضائعة، فقامت في هذا العجاج الأكدر حركة ندوة العلماء، ورفعت شعارها " إلى الإسلام من جديد"، ونبذت التعصب المذهبي والجدل العقيم، ونادت إلى الوسطية والإتزان في الفكر والمنهج والتعليم والتربية، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، والرجوع إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف، والمرونة الفكرية العادلة، فما لبثت هذه الحركة إلا كانت لها صدى في أرجاء الهند، ونالت قبولا وإقبالا عظيما وتجاوبا في جميع الأوساط، اجتمعت على رصيفها الجماعات والمذاهب، واتحدت كلمتهم وتألفت قلوبهم لنصرة الدين الحنيف، ثم أقيمت مدرسة تعليمية تربوية سموها "دار العلوم التابعة لحركة ندوة

العلماء" لتخرج علماء ربانيين متوسطين في العلم والفكر، وقادة الفكر والإصلاح، ودعاة مبشرين، جامعين بين الحجة الشرعية والخشية القلبية، وبين الأصالة والمعاصرة، بعيدين عن الغلو والتفريط، يفهمون الإسلام ولغة عصرهم، ويستطيعون مواكبة العصر الحديث، ويكون لديهم همة عالية وشعور بمسؤلية القيام بواجب الدعوة الإسلامية، وترشيد الصحوة، وتمثيل الفكر الإسلامي الصحيح العادل، والرد على التيارات الفكرية المنحرفة والحضارة الغربية الأوربية، ووفقت هذه الحركة- والحمد لله- إلى تخريج أجيال من العلماء والدعاة مثل العلامة سيد الطائفة السيد سليمان الندوي، والعلامة عبد الباري الندوي، والعلامة المفكر الإسلامي الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي، وأمثالهم الذين تركوا روائع في مجال الدعوة والفكر والإصلاح، والثقافة الإسلامية، والتعليم والتربية، وأضافوا إلى المكتبة الإسلامية من المؤلفات والكتب ما لا يستهان بقيمتها،

يقول الشيخ العلامة أبوالحسن الندوي رحمه الله عن حركة ندوة العلماء: " وتتوسط بين المدارس القديمة التي تتمسك بالقديم، وتري العدول عنه ضربا من التحريف ونوعا من البدع، وبين الجامعات المدنية التي تقدس الجديد وتستهين بكل قديم، تتوسط بين تلك وهذه دار العلوم التابعة لندوة العلماء التي تأسست في لكهنؤ سنة اثنتي عشرة وثلاث مأة وألف هجرية ١٣١٢هـ بيد العالم الرباني الشيخ مُحَمَّد علي مونكيري وزملاءه المخلصين، الذين خافوا على المسلمين من المحافظين ومن المتطرفين، ومن اعتزال العلماء

عـن الحيـاة وتخلفهـم عـن ركـب الثقافـة والعلـم ومـن العصـبات المذهبيـة والمشاجرات الفقهية التي قويت ونشطت في العهد الأخير.

تأسست نـدوة العلمـاء ودار العلوم التابعة لها علي مبـدأ التوسـط والاعتـدال والجمـع بـين القـديم الصـالح والجديـد النـافع، وبـين الـدين الخالـد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها علي الايمان بأن العلوم الاسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغيير والتجديد، فيجب أن يتناوله الاصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم.

عنيـت دارالعلـوم بصـفة خاصـة بالقـرآن الكـريم -الرسـالة الخالـدة وتدريسه ككتـاب كـل عصـر وجيـل، وعنيـت باللغة العربية الـتي هـي مفتـاح فهمه وأمينة خزائنه، ووجهـت عنايتهـا إلى تعليم هـذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب، لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار أو الأسفار كما كان شان في الهند، وقللت قسط بعض العلوم القديمة التي لا تفيـد كثـيرا، وأبـدلتها بـبعض العلـوم العصـرية الـتي لا غـني عنهـا للعـالم العصري الذي يريد أن يخدم دينه وأمته، واجتهدت أن تخرج رجالا مبشرين بالـدين الإسـلامي الخالـد لأهـل العصـر الجديـد شـارحين للشـريعة الاسـلامية بلغة يفهمها أهل العصر، وبأسلوب يستهوي القلوب، أمة وسطا بين طرفي الجمود والجحود، وقد نجحت في مهمتها نجاحا لا يستهان بقيمته، فأنجبت

رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصري، لهم آثار جميلة خالدة في الأدب الاسلامي وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد، والسيرة النبوية علي صاحبها الصلاة والسلام- والتاريخ" ([1])

وقد أسس العلامة شبلي النعماني وبعض تلامذته من المتخرجين في الندوة أكاديمية علمية " دار المصنفين " في مدينة "أعظم كره" عام 1914م وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند، وكان العلامة شبلي النعماني يحلم بها ويجتهد لها بغية الأعمال العلمية وإعداد البحوث والكتب النافعة في مختلف العلوم، وكان علامة السيد سليمان الندوي رئيسها مدة وجوده في الهند، وهذه المؤسسة لها جهود علمية وروائع في التأليف والكتابة، وإعداد البحوث الأكاديمية ونشرها، وقد نشرت كتبا كثيرة متنوعة في الدين والأدب والتاريخ والسيرة وتراجم العلماء،

والعلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله هو الرجل العبقري الفذ العالم الكبير الذي ينبغي أن يعتبر في علمه ونبوغه في عداد أمثال الإمام الغزالي وابن القيم الجوزية، يدل على ذلك التراث العلمي الذي خلده في الأدب والسيرة والتاريخ وعلوم أخرى، وسنقدم ترجمته الحافلة فيما يلي،

عملي في هذا الكتاب:

([1]) المسلمون في الهند للشيخ الندوي 138- 139

لقد أمرني وكلفني فضيلة الشيخ الأستاذ سلمان الحسيني الندوي حفظه الله ورعاه بترجمة كتاب " حياة مالك" وما كنت أهلا لذلك، فبدأت في ذلك، ترجمت الكتاب، وراجعت النصوص من المصادر، وبذلت فيها جهدي، وأضفت بعض الفوائد المهمة في التعليقات في مواضع كثيرة مما كانت تحتاج إليها،

وقد طبع الكتاب باللغة الأردية أكثر من ثلاث طبعات، وأعتقد أن الطبعة الأولى طبعت من "مطبعة شاهي" في لكناؤ، والطبعة الثانية من "مطبعة معارف" في "أعظم جره"، كما طبع الكتاب في باكستان بطباعة جيدة من " مجلس نشريات إسلام، كراتشي"، وكان عندي نسخة من "مطبعة معارف"،

وقد أخذت تعريف المؤلف من مقدمة الأخ الفاضل رحمة الله الندوي، وجدت فيه كفاية وغنى عن كتابة تعريفه من جديد، وقد ترجمت الكتاب عام 2008م، ثم ما وجدت سعة من الوقت للمراجعة، وبقي الكتاب على ما تركته، حتى فكرت في طباعته من جديد، فراجعته، وقمت ببعض التعديلات، والتصحيح، وطلبت من الأستاذ الدكتور مُحَمَّد أكرم الندوي ليكتب مقدمة عليه عام 1442هـ، فأكرمني بقبول طلبي مشكورا، وبعد ذلك لم يطبع الكتاب، وبقي ينتظر الطباعة، حتى تواصل معي الأخ مُحَمَّد حارث وتحدث معي لطباعة الكتاب من "مجمع العلامة السيد سليمان

الندوي"، فوافقت على ذلك، ومن هنالك وددت أن أقوم بمراجعته والنظر فيه من جديد، فقد تم ذلك بتوفيق الله، والحمد لله.

ولا يسعني إلا أن أقدم الشكر وأسمى آيات التقدير والعرفان بالجميل إلى فضيلة الأستاذ الشيخ سلمان الندوي حفظه الله الذي حرضني على هذا العمل، ولقد وجدت فضيلته أستاذا حنونا ومربيا شفوقا ومشرفا لا يبخل على طلابه، كما أقدم خالص شكري وتقديري إلى الأستاذ الفاضل الدكتور مُحَمَّد أكرم الندوي حفظه الله ورعاه وجزاه خيرا، فقد كتب مقدمة علمية قمية لهذا الكتاب، وأدعو الله المولى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، وجعله خالصا لوجهه، وصلى الله على النبي الكريم

مجيب الرحمن عتيق الندوي

دار العلوم الامام الرباني

4 ربيع الثاني 1446

المصادف 9/ من أكتوبر2024م

نبذة عن مؤلف الكتاب العلامة السيد سليمان الندوي([1])

اسمه ونسبه وأسرته :

هو العلامة النحرير المفسر المحدث والفقيه والكاتب القدير، النابغة في الإنشاء والأدب والتحرير، سليمان بن أبي الحسن بن مُحَمَّد شير ، المعروف بالحكيم مُحَمَّدي بن عظمة الله علي بن وجيه الدين المعروف بالأمير جكن، يصل نسبه الشريف إلى سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ.

ولد هذا الإمام العلامة في أسرة علمية ودينية عريقة، حسينية النسب، شهيرة بالعلم والتقوى، والفضل والصلاح، بقرية (ديسنة) من ولاية بيهار – الهند يوم الجمعة لسبع بقين من شهر صفر سنة اثنتين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، الموافق الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة أربع وثمانين وثمان مائة وألف من الميلاد.

نشأته :

نشأ رحمه الله على حب الاطلاع، والعكوف على العلم، كان منذ نعومة أظفاره، ومن مستهل طفولته على دأب نادر في اكتساب العلوم والمعارف، فكانت تلوح على جبينه علائم الرشد، وتتجلي فيه بوارق الذكاء، حتى تفرس بعض ذوي البصيرة أنه سيكون له شأن كبير، ومكانة

([1]) هذه الترجمة للعلامة السيد سليمان الندوي مأخوذة من مقدمة الأخ محمد رحمة الله الندوي على كتاب " السيرة النبوية" للعلامة الندوي، وقد ترجم الأخ هذا الكتاب إلى العربية، وكتب ترجمة حافلة بالعلامة في بداية الكتاب، أنقلها هنا للفائدة العلمية

عالية رفيعة، ترعرع رحمه الله في بيئة علمية وأدبية يسودها جو من الصلاح والتقوى، ونشأ على أيد أمينة ربته على عقيدة صافية زكية لا تشوبها بدع أو خرافات، حيث قرأ كتاب (تقوية الإيمان) على أخيه.

يقول متحدثاً عن نفسه رحمه الله : "كان هذا أول كتاب علمني طريق الحق تعليماً ثبتت جذوره في قلبي".

طلبه للعلم :

تلقى رحمه الله العلوم الابتدائية من حضرة والده وشقيقه الأكبر السيد أبي حبيب النقشبندي (ت 1927م) ، ثم ارتحل في رحلته العلمية إلى "فلواري شريف" إحدى ضواحي العاصمة "بتنه" (patna) لولاية بيهار، ومكث هناك عاماً حيث قرأ على الشيخ محي الدين المحبي فنشأ فيه الذوق للأدب والشعر، كما أخذ دروس المنطق من العلامة سليمان الفلواروي، ثم ارتحل إلى المدرسة الإمدادية في مديرية "دربنجه" بولاية "بيهار"، ودرس هناك كتاب "الهداية" للمرغيناني في الفقه الحنفي على الشيخ مرتضى حسن الديوبندي، و"شرح التهذيب" في المنطق على الشيخ فدا حسين الآروي.

التحاقه بدار العلوم لندوة العلماء :

التحق العلامة رحمه الله بدار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ في عام (1901م) ، وارتوى من علوم أهلها ومعارفهم لمدة خمس سنوات ، وكانت ساحة ندوة العلماء إذ ذاك مزدانة مستنيرة بكبار أهل العلم، وتتلألأ

بجهابذة العلماء الربانيين وكبار المشايخ من المحدثين والفقهاء والمفسرين، فسنحت الفرصة للعلامة الندوي أن ينهل من علومهم، ويرتوي من معارفهم، ويكسب من فيوضهم وبركاتهم، ويروي غليله العلمي في الظل الوارف من هؤلاء العباقرة، حتى كسته صحبتهم علماً غزيراً وروعة وبهاء في الأخلاق والآداب، واكتملت ثقافته في بيئة علمية أدبية في ندوة العلماء.

ونذكر فيما يلي أهم الأعلام والعلماء الذين درس عليهم العلامة الندوي، واستفاد منهم في حياته العلمية :

1- المفتي الكبير العلامة الشهير الشيخ الفاضل عبد اللطيف بن إسحاق الحنفي السنبهلي، المتوفى عام (1379هـ) قرأ عليه الشيخ الندوي بعض كتب الفقه.

2- الشيخ العالم الكبير المحدث حفيظ الله البندوي، المتوفى عام (1362هـ)، وقد أخذ عنه السيد الندوي الحديث الشريف وشيئاً من علم الهيئة.

3- الشيخ العلامة مُحَمَّد فاروق بن علي أكبر العباسي الجرياكوتي، المتوفى عام (1327هـ)، وقد أخذ عنه السيد الندوي علم المنطق والفلسفة والأدب العربي.

4- العالم الصالح الشيخ الفاضل شلبي بن مُحَمَّد علي الجيراجفوري ، المتوفى عام (1364هـ).

5- العلامة الكبير مؤرخ الهند الشهير المحدث الطبيب والسيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، المتوفى عام (1341هـ) ، وقد قرأ عليه الشيخ الندوي "مقامات الحريري".

6- العلامة الجليل المؤرخ العظيم الباحث النقاد شبلي النعماني، المتوفى عام (1332هـ)، وقد أخذ عنه السيد الندوي الأدب العربي، وقرأ عليه "دلائل الإعجاز" ، كما أخذ عنه علم الكلام، وتدرب عليه في الكتابة والتأليف والإنشاء والعناية بالسيرة النبوية،

نبوغه وعبقريته ومكانته العلمية:

كان العلامة الندوي رحمه الله عالماً موسوعياً بمعني الكلمة ، يحمل في صدره مكتبة واسعة في العلوم والفنون، وكانت ذاكرته تزخر بأنواع من الدرر واللآلئ من جميع الفنون.

1- في القرآن الكريم وعلومه :

فإذا بحثنا عنه في مجال كتاب الله رأيناه دائم التدبر فيه، إيمانا منه بأن ثمرة التلاوة التدبر والتذكر مع الاهتمام الكبير باستنباط المسائل العقدية والفقهية والخلقية والسياسية من آلاي القرآن الكريم ، وقام بشرح لطائفه الأدبية ، وتحقيق مباحثه التاريخية ، وكتابه (أرض القرآن) خير دليل على ذوقه هذا، بالإضافة إلى ذلك كانت له دروس منتظمة في تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً تحقيقياً دقيقاً ، كما كانت لديه خطة لتدوين المسائل القرآنية وترتيبها وفق الأسلوب العصري، وإفراد الآيات القرآنية المتعلقة

بالقضايا والشؤون العقائدية ، والأحكام الفقهية والمباحث الاقتصادية ، وكلها على حدة.

2- في الحديث الشريف :

لم يكن نصيبه فيه أقل من الفنون الأخرى ، وكان كثير الاشتغال بكتب الأحاديث والسنن والآثار ، ومن حبه للسنن والآثار والاشتغال بها أنه كان دائم الحرص على اقتناء كتب السنة والحديث لدار المصنفين، حتى أصبحت خزانة دار المصنفين حافلة بكتب الحديث ورجاله.

وإن أهم مميزة تميز بها العلامة الندوي في شرح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم : هي أنه كان معنياً بأن يكون فهم الحديث الشريف في إطار العمل النبوي الشريف المشتمل على إدراك الجو الذي ورد فيه، ليكون تطبيقه على الحياة أوفق وأجدر.

وأما تصديه لمنكري السنة وتفنيد شبهاتهم ودحض مزاعمهم الباطلة فهو أمر معروف وأشهر من نار على علم، وقد ألف لهذا الغرض رسالة مشهورة بعنوان "تحقيق معني السنة وبيان الحاجة إليها" [1].

3- في الفقه الإسلامي :

(1) وقد طبعت مؤخرا بدار الفجر بدمشق ، بعد إضافة مباحث إليها من جنسها ، بقلم مؤلفها وآخرون.

وإذا نظرنا إلى الشيخ الندوي رحمه الله كفقيه نجد أنه كان يتمتع ببصيرة فقهية تامة، ولقد توفرت له ملكة تحقيق المذاهب والاجتهاد لما آتاه الله تعلى من معرفة اللغة العربية وآدابها، والفهم الواسع الدقيق للقرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف، والناسخ والمنسوخ، والاطلاع العميق على مصادر الفقه وأصوله وقواعده ومذاهب الأئمة، وآراء الفقهاء.

يقول رحمه الله : "إني ملتزم بالسنة ومتبع للتوحيد الخالص ، أرى السنة دليلي، وباب الاجتهاد مفتوحاً دائماً للعلماء ولا أرى الحق منحصراً في أحد من أئمة السلف".

ويقول في إحدى خطبه : "من مفاسد هذا العصر الجمود المشين على آراء الفقهاء المتأخرين وفتاواهم ،كأنهم معصومون من الأخطاء والزلات، وعدم الرجوع إلى المرجعين الأصيلين : القرآن والسنة ، واجتهادات الأئمة من السلف في البحث عن الحلول للمشاكل المدنية والقضايا الدينية ، والقول بإغلاق باب الاجتهاد للأبد".

4- في التاريخ والاعتناء بالسيرة:

و قال الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي : " إن السيد سليمان الندوي يستحق بدون مراء أن يعد أكبر مؤرخ وباحث في عصره ، وإن كتبه : "الخيام" و"الصلات بين الهند والعرب" و"الملاحة عند العرب" و"حياة الإمام مالك" و"سيرة أم المؤمنين عائشة ﵂" خير نموذج للكتابة في التاريخ

والبحث العلمي، وكتابه "أرض القرآن" لا يزال كتاباً فريداً لم ينسج على منواله في موضوعه ، وهو ثروة غنية في المواد العلمية"[1].

5- في الفلسفة وعلم الكلام :

كما أنه رحمه الله كان ضليعاً بالفلسفة وعلم الكلام ، وخير دليل على ذلك كتابه (سيرة النبي ﷺ) فإنه حقق بالسيرة والتاريخ أهدافاً لا تحقق إلا بعلم الكلام، فأسس علم كلام جديد يفوق علم الكلام القديم في التأثير على الذهن الجديد وإقناعه ، وفي توثيق الثقة بالشخصية النبوية والشريعة الإسلامية، وهو أكثر سداداً للحياة العلمية المعاصرة.

6- في اللغة العربية :

أما اللغة العربية فكان رحمه الله من كبار الأدباء ، وإنه أتى في حقل الأدب العربي بالعجائب ، وخلف آثارا في القول المنظوم والمنثور مما يعجز عن مثله نوابغ أدباء الهند وشعرائها.

وكان السيد الندوي رحمه الله مقدساً لدور اللغة العربية في توحيد المسلمين ، يقول في مقال له : "وبعد فللإسلام مزايا تفوق الإحصاء دررها، وتستغني عن الإنباء غررها ، إحداها أنه دين وحدة الشعوب والأمم ، ودين مؤاخاة البشر والنصيحة لعامة المسلمين ، ومن الوسائل التي اتخذها لتحقيق بغيته هذه، أن جعل للمؤمنين بقرآنه ، والخاضعين لسلطانه على اختلاف

(1) شخصيات وكتب للعلامة السيد أبي الحسن على الحسني الندوي ، ص 70-71.

ألسنتهم وبلدانهم وجنسياتهم وألوانهم لغة خاصة ، وهي لغة كتابه المنزل من السماء ، يتفاهمون بها معاني القلوب ،ويتعارفون هواجس الأفكار ، ويخطب بعضهم بها مودة بعض، فهي على تقلب من الأحوال لغة عصبة الأمم الإسلامية منذ قرون وأجيال"[1].

وفعلاً كان الله عز وجل قد أودع فيه موهبات عجيبة من خصوبة العقل، وقوة الذاكرة، والقريحة الوقادة المندفعة، والذكاء المتوقد، فما كان يسمع كلمة إلا ويحفظها ويعيها ويقيدها في ذهنه، فلم تخنه ذاكرته مدة حياته.

أهم مآثره العلمية وجلائل أعماله الخالدة :

من أبرز أعمالة العلمية وأرفعها ذكراً وأسماها مكانة إكماله كتاب (سيرة النبي ﷺ) الذي كان بدأ تأليفه أستاذه ومربيه المحقق العلامة شبلي النعماني رحمه الله ، ثم أوصى تلميذه أن يكمله على المنهج الذي سار عليه أستاذه ، وفعلا ثبت أن التلميذ خير مكمل لما بدا به أستاذه ، وطلعت هذه المعلمة أمام العالم من عيون ما ألفه علماء الإسلام منذ قرون ، ومن غرر ما أتحف به علماء الهند المكتبة الإسلامية العامة ، وتفتخر به المكتبات الإسلامية.

والكتاب في سبعة مجلدات كبار، تحدث في الجزء الأول منها عن أصول الرواية والدراية ومصادر السيرة، ومطاعن المستشرقين، وفصول في

[1] **(1) مجلة الضياء ، عدد المحرم ، سنة 1351هـ، ص 3-4.**

تاريخ العرب قبل الإسلام ، والجزء الثاني يحتوي على حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأما الجزء الثالث فهو يحتوي على مقدمتين علميتين من النظريات الفلسفية؛ وهما : القديمة والحديثة، أثبت فيها المؤلف إمكان المعجزات وعدم معارضة العلوم العقلية لها ، وقد اهتدى بها كثير من المنخدعين بعلوم الإفرنج وضلالاتهم ، أما الجزء الرابع فيتحدث عن منصب النبوة ومنزلتها ، والفرق بينها وبين منازل الإصلاح والتجديد ثم تكلم رحمه الله في العقائد ، ولم يكن يستند في بحوثه إلى شيء غير الكتاب والسنة.

أما المجلدات الثلاثة الباقية فإنها تبحث في العبادات والأخلاق والمعاملات ، وكل واحد منها معلمة في موضوعه.

وله مصنفات علمية أخرى فريدة من نوعها ومنها :

(أرض القرآن)[1] : وهذا الكتاب بمثابة مقدمة لكتاب (سيرة النبي ﷺ) وهو في جزأين ، وهو كتاب فريد من نوعه ، من أهم مزاياه أنه دراسة لأوضاع العرب السياسية والتاريخية والحضارية في ضوء القرآن الكريم ، مع الاستفادة من المصادر الأجنبية مثلاً العبرية والإنكليزية والمصادر الإسرائيلية والرومية واليونانية والاكتشافات الأثرية.

(سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها):

---

(1) وقد نقل الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي، وطبع من دار القلم بدمشق.

هذا الكتاب العظيم أولى المحاولات من نوعها بصدد دراسة حياة أم المؤمنين ﵂ دراسة علمية وافية، وكشف الستار عن مكانة هذه العبقرية الفذة والشخصية العظيمة التي صنعت العظائم، ولها فضلٌ كبيرٌ ومنّة عظيمة على المؤمنين والمؤمنات، وقد تم نقل الكتاب إلى اللغة العربية وطبعته دار القلم.

حياة الإمام مالك:

والكتاب عرضٌ علمي شامل ودقيق لحياة إمام دار الهجرة مالك بن أنس ﵁، وصفاته وأخلاقه، ومكانته العلمية العالية في الفقه والحديث ودراسة لكتابه (الموطأ).

الملاحة عند العرب:

مجموعة محاضرات عالج فيها الشيخ رحمه الله موضوع الملاحة عند العرب في الجاهلية والإسلام، ومدى معرفة العرب لبحار العالم، ومؤلفاتهم فيها واكتشافاتهم البحرية.

رسالة أهل السنة والجماعة:

مجموعة مقالات في تحقيق معنى أهل السنة والجماعة.

بالإضافة إلى عشرات المؤلفات التي أنتجها قلم العلامة الندوي السيَّال، وهي كلُّها نافعة تتسم بأقصى درجة من البحث والنظر والتدقيق والتحقيق. وتحتل أسمى مكانة في الأوساط العلمية، ولقد صدق الأستاذ مسعود

الندوي إذ قال عن الشيخ الندوي رحمه الله: "وقد بلغ في المواضيع المختلفة من التحقيق والإجادة ما لم يبلغه أحد من معاصريه في هذه البلاد، ولا تنحصر عظمته في ناحية دون ناحية، فإنه كان أديباً بين الأدباء، وسياسياً بين السياسيين، وعالماً بين العلماء، وخائضاً بحارَ القانون والتشريع بين علمائه...".

ثناء العلماء عليه:

يقول شاعر الإسلام الدكتور مُحَمَّد إقبال: "يتبوأ السيد سليمان الندوي اليوم أعلى مدارج حياتنا العلمية، إنه ليس مجرد عالم، بل هو أمير للعلماء، وليس بكاتب فحسب، بل إنه إمام الكتّاب والمؤلفين، إن شخصه بحرٌ للعلوم والمحاسن، تخرج منه مئات من الأنهار، وتسقي منه ألوف من المزارع اليابسة".

ويقول الإمام المحدّث الفقيه حكيم الأمة أشرف علي التهانوي[1]: "يتشابه شبلي النعماني وسليمان الندوي تشابه ابن تيمية وصاحبه ابن القيّم".

وقال إمام العصر الشيخ مُحَمَّد أنور شاه الكشميري: "إذا جُمع علم الغزالي والرازي إلى ورع الجنيد والشبلي تكوّن منه سليمان الندوي".

---

(1) اقرأ ترجمته في كتاب خاص به للشيخ رحمة الله الندوي نشرته دار القلم بدمشق في سلسلة (أعلام المسلمين).

وقال الأديب والأريب عبد الماجد الدريابادي: "يؤمن الزمان بأنّ السيد سليمان الندوي عالم فريد، وبحّاثةٌ منقطع النظير، يخضع العالم لإمامته في التاريخ، وتفرّده بكتابة السيرة، ولكن قلما عرف الناس مكانته في الأدب والشعر والنقد، وقلما علمه الناس أديباً ومنشئاً وشاعراً قديراً".

ويقول سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله: "كان السيد سليمان الندوي راسخاً في العلوم العربية وآدابها، عالي الكعب، دقيق النظر في علوم القرآن وعلم التوحيد والكلام، واسع الاطلاع، غزير المادة في التاريخ، وعلم الاجتماع والمدنية، منشئاً ، صاحب أسلوب أدبي في اللغة الأردية، كاتباً مترسلاً في اللغة العربية، شاعراً مقلاً في اللغتين، مع إحسان وإجادة"[1].

بعض صفاته وأخلاقه العالية:

يقول الأستاذ مسعود الندوي: "فقد كان رجلاً ذا مروءة غريبة، كريماً يجري الكرم في دمه، لا يغضب ولا يسخط ، يصفح عن عدوه، ويدعو لمن يتناوله بالسوء، أما التلاميذ والمخلصون فيشملهم بعطفه الأبوي، ويبسط على كل فرد منه ظلال شفقته وحنانه، كأنه قد مُنح في هذا الشأن لمحة من سيرة جده الكريم ﷺ"[2].

---

(1) منقول من كتاب الأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي: (السيد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندويين)، ص5-6، ط: دار القلم بدمشق، 1422هـ

(2) من مقال الأستاذ مسعود الندوي في مجلة (المسلمون) ، المجلد الخامس، ص384، العددان الرابع والخامس لشهر محرم وصفر عام 1376هـ، الموافق 1956م.

وفاته : بعدما أمضى عمره الحافل بالعمل الدؤوب، والمآثر الخالدة، والخدمات العلمية والدينية الجليلة، وافاه الأجل بباكستان في غرة ربيع الآخر عام 1373هـ الموافق 2 تشرين الثاني – نوفمبر عام 1953م. ودفن بجوار الشيخ شبير أحمد العثماني رحمهما الله تعالى وأمطر عليهما شآبيب رحمته ومغفرته.

قال تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي) [الفجر : 27-30].

تعريف بالمؤلف السيد سليمان الندوي

بقلم الأستاذ مسعود عالم الندوي

وفيما يأتي يجدر بنا أن نتحف القرَّاء الكرام بما فاض به قلم الكاتب الأديب الأستاذ مسعود عالم الندوي رحمه الله (أحد تلاميذ العلامة سليمان الندوي، ومن المقربين إليه، والملازمين له إلى آخر لحظات حياته) حول ترجمة أستاذه ومربيه، يقول رحمه الله:

"لقد علم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها: أن عالم الهند وعالم باكستان الأكبر، الأستاذ العلامة المحقق، السيد سليمان الندوي قد استأثرت به رحمة الله، وانتقل إلى دار الخلود، في الرابع عشر من شهر ربيع الآخر عام 1373هـ، وقلَّ من عرف منهم أي مصاب أصيب به المسلمون والعالم الإسلامي بوفاته، والذين عرفوا ذلك منهم، ربما لا يستطيعون أن يقدروا الخسارة العظمى التي خسرتها الدعوة الإسلامية في باكستان بارتحاله في هذا الآونة الخطيرة من حياتها، التي سيكون لها ما بعدها في تاريخ هذه البلاد إلى قرون وأجيال، وذلك للصراع الشديد الذي لا يزال قائماً بين أنصار الدستور الإسلامي، وبين أتباع الغرب، المفتتنين باللادينية الغربية.

فقد كان المغفور له بطلاً من أبطال هذا الكفاح، وطوداً من أطواد الحق، وسنداً يرجع إليه في المشكلات، وحجة على الخصوم الجاحدين، فإنه مهما بلغ من جحود المعاندين، وتعنت المكابرين، لم يكن في مكنتهم أن يردوا على السيد –رحمه الله– ونضّر وجهه يوم القيامة – في شيء من

أمور الشريعة، والقوم لا يتجرؤون على كرههم للدين، وبغضائهم للشريعة، أن يجحدوا بالشريعة علناً، خوفاً من الشعب المؤمن القوي، وإنما جُلُّ متاعهم المكابرة والتحريف. فكان دعاة الحق والمدافعون عن مبادئ الإسلام يلتجئون إلى السيد، ويحتمون بعلمه وشخصيته للرد على الجاحدين المتعالين، الذين يتكلمون في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من غير أن يكلفوا أنفسهم أن يصرفوا ولو سُويعات من أوقاتهم في دراسة اللغة الكريمة التي أُنزل بها القرآن العزيز، ونطق بها النبي الكريم ﷺ.

فمن حق قراء (المسلمون) وإخواننا في الأقطار الإسلامية أن يعرفوا نتفاً من سيرة الفقيد الراحل وأعماله ومساعيه، وجهوده المتواصلة المتتابعة للنهوض بالأمة الهندية المسلمة، وترقية مستواها العلمي والأدبي والخلقي. ومن حق أستاذنا على تلميذه الحقير أن ينوّه بمآثره، وجلائل أعماله، وخصائص حياته، التي يعرفُ منها ما لا يعرفه إلا قليل من الناس.

إن الذين نعرفهم من رجال العلم الإسلامي، والذين عرفناهم واتصلنا بهم، ودرسنا سيرتهم وتراجمهم من رجال الهند وباكستان، تنحصر عظمتهم ونبوغهم في ناحية دون ناحية، أو عدة من نواحي الحياة وشُعب العلم، ولكنا لا نعرف من بينهم من أخذ من كل شيء بقسط كالأستاذ سليمان.

تخرج السيد سليمان من دار العلوم التابعة لندوة العلماء على أساتذتها، ومنهم العلامة المحقق شبلي النعماني (1273-1332هـ) وجعل من بعد ذلك يساعدُ الأستاذ النعماني في تحرير مجلة (الندوة) التي كان يرأس تحريرها،

والتي كانت أم المجلات الأردية العلمية يومئذ. ثم عُيِّن مدرساً للغة العربية في دار العلوم التي تخرّج فيها، فظهر من كفاءته وملكته الأدبية وتفننه في طرق التدريس ما أنطق الألسنة بالثناء عليه.

فظل كذلك زهاء ست سنين (1906-1912م) كتب خلالها في مجلة (الندوة) مقالات تنبأت لكاتبها الشاب بنبوغ مأمول، ومستقبل زاهر، وأتى في حقل الأدب العربي بالعجائب، وخلّف آثاراً في القول المنظوم والمنثور مما يعجز عنه مثله نوابغ أدباء الهند وشعرائها. وما ظنُّك بهندي غريب عن مهد العروبة والعواصم العربية، تجود قريحته بمثل هذا القول المطبوع، وهو في عنفوان شبابه:

دِنٌّ من القهوة الصهباء في الأفق

والكأس تطفو به لا الشمس في الشفق

بل إنه برقـعٌ قانٍ له شيةٌ

والشمس وجهُ حبيبٍ بالحجاب يقي

بل إنما الشمس للصواع بوتقة

قد زان عسجدها وانثج في طرق

بل إنما الشمس من أعمارنا قتلت

يوماً، فسال دمٌ جارٍ من العنقِ

فذلك الشفقُ المحمر من دمه

وقبرهُ ليلُه المستورُ بالغسقِ

ثم التحق بصحيفة الهلال الأسبوعية الزاهرة لأبي الكلام – التي لم تصدر صحيفة أسبوعية مثلها باللغة الأردية إلى الآن – فعارض صاحبها المبدع في أسلوبه، وجعل ينشئ مقالات افتتاحية، لم يعرف الناس أبا عذرتها وابن جلدتها، فتارة نسبوها إلى أبي الكلام، صاحب الصحيفة، ورئيس تحريرها، وأخرى عزوها إلى السيد سليمان، حتى إن المقالة التاريخية (مشهد أكبر) التي ظهرت في الهلال بمناسبة قضية هدم بناء الجامع في مدينة كابور، والتي قامت لها البلاد وقعدت ما حاك وشيها ونسج بردها إلا يراع السيد سليمان الندوي.

وبعدما تقلب المترجم في عدة وظائف رسمية بعد الانقطاع عن دار الهلال أسس جمعية دار المصنفين الشهيرة التي كان وصى بها أستاذه شبلي النعماني، وعاجلته المنية دون إبراز أمنيته – أمنية تأسيس مجمع علمي – إلى عالم الوجود. تأسس هذا المجمع العلمي – دار المصنفين – سنة 1323هـ - 1915م في مدينة أعظم كره، مولد شبلي النعماني، ومنبت أرومته، فعكف السيد سليمان يتعهد الدار ويعنى بتدريب الشبان وتثقيف أحداث الكتاب وينشر نتاج قرائحهم بعد تهذيبه إلى أن تكونت جماعة صالحة من أفاضل الكتاب والمؤلفين الذين وقفوا حياتهم لخدمة الدين والعلوم الإسلامية، وما زالت تنمو هذه الجماعة ويكثر عددها وتتسع دائرتها حتى

يمكنني الآن أن أقول : إن الذين تخرجوا على السيد وتثقفوا على يده في دار المصنفين في الخمس والثلاثين سنة الماضية (1334-1370هـ/1916-1950م) هم أكثر عدداً وأوفر مادة وأخصب نتاجاً من المتخرجين في سائر الدوائر الإسلامية مجتمعة في هذه البلاد، أقول ذلك ولا أبالغ وإنما ذكرته تحدثاً بنعمة الله، وعلى الفقيد رحمة الله.

وهذه مجلدات مجلة "معارف" الضخمة لسان حال جمعية دار المصنفين تكوِّن مكتبة عظيمة بنفسها وهي من أرقى مجلات الهند، وأغزرها مادةً بلا نزاع.

ومصنفات السيد وزملائه أعضاء المصنفين وتلاميذه البارزين من الندويين، والذين تخرجوا على أيدي تلاميذه ولا يزالون يستفيدون من دروسه، والحضور في مجالسهم العلمية قد سارت سير الشمس، واخترقت حدود البلاد، وقد تُرجم كثير منها باللغات التركية والفارسية والإنكليزية واللغات الهندية الواسعة.

ومن أبرز أعماله العلمية وأرفعها إكماله لكتاب (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم) الذي كان بدأ بتأليفه أستاذه المحقق العلامة شبلي النعماني، وهذا الكتاب هو دائرة معارف في السيرة النبوية، نُشرت منه سبعة مجلدات ضخمة، لا يقل أحدها عن سبعمائة صفحة من القطع الكبير، وهذه المعلمة من عيون ما ألفه علماء الإسلام منذ قرون، ومن غرر ما أهداه علماء الهند إلى المكتبة الإسلامية العامة، وقد اشتمل المجلدان الأولان على

ترجمة حياة النبي ﷺ، عُني بتدوين معظمها المغفور له شبلي النعماني، الذي كان يعد هذا الكتاب خاتمة أعمال حياته .

وكان جد حريص على البحث والتنقيب، والرد على مطاعن الإفرنج، وكذلك كان يتألق في الكتابة، حتى إن بعض قطع المجلد الأول تعد أحسن ما كتب كاتب باللغة الأردية، لغة مسلمي الهند وباكستان العامة.

والمجلد الثالث خاص بالمعجزات عني بتأليفه وتأليف المجلدات التالية السيد سليمان. وفي المجلد الثالث مقدمتان علميتان من الوجهتين الفلسفيتين : القديمة والحديثة، أثبت فيها المؤلف بما لا مجال بعده للشك، إمكان المعجزات وعدم معارضة العلوم العقلية لها. وقد اهتدى بهما كثير من المنخدعين بعلوم الإفرنج وضلالاتهم.

أما المؤلف نفسه فيؤمن بكل ما جاء به النبي الأمي ﷺ، إيمان السلف الصالح من غير لجوء إلى فلسفة أو تكلف برهان.

والمجلد الرابع يحتوي بحثاً دقيقاً في منزلة النبوة، والفرق بينها وبين منازل الإصلاح والتجديد والزعامة، وهذا البحث يقع في نحو (300) صفحة، وهو من أحسن ما كتبه الأستاذ سليمان.

ثم تكلم الأستاذ في العقائد، ولم يكن يستند في بحوثه إلى شيء غير الكتاب والسنة. والذي أعرفه من علمه وعلم معاصريه: أنه ما كان يضاهيه أحد في الجمع بين أسرار الكتاب العزيز ومعرفة السنة النبوية، والاطلاع على كتب العلماء الأقدمين.

وجدير بالذكر أنه قد فاق أستاذه النعماني في الاطلاع على أسرار الشريعة، واستكناه وجوه التأويل، ومعرفة السنة النبوية.

والمجلدات التالية الثلاثة تبحث في العبادات والأخلاق والمعاملات. وكل واحد منها معلمة في موضوعه، يضيق بنا نطاق المقام عن سرد تفاصيل مواضيعها مما يشهد بذلك المحققون المطلعون على أجزاء السيرة النبوية الأولى والتالية، فهناك يتبين الفرق بين الأستاذ وتلميذه، ولا غرو ، فكم ترك المتقدم للمتأخر.

وله مصنفات علمية نافعة غير هذا الكتاب الضخم، سارت سير الشمس كمحاضراته في السيرة النبوية المعروفة بـ خطبات مدارس، وسيرة عائشة، وأرض القرآن، والعرب والهند، وخيّام، وغيرها من آثار قلمه التي تفاخرُ بها اللغة الأردية.

وقد بلغ في المواضيع المختلفة من التحقيق والإجادة ما لم يبلغه أحد من معاصريه في هذه البلاد، وأضربُ لك مثلاً بمصنفه الشهير في جغرافية القرآن التاريخية المسمى (أرض القرآن) ؛ فقد تناول فيه بالبحث والتحقيق جميع البلاد والأمم المذكورة في الكتاب العزيز، وأحاط بتاريخهم وجغرافية أماكنهم التي كانوا يقطنوها. صنفه منذ أربعين سنة، والموضوع بكرٌ لم تطمثه أقلام الباحثين، وقد نُقل هذا الكتاب النافع مثل بعض مؤلفاته الأخرى إلى اللغة الإنكليزية وكذلك كتابه عن الشاعر الشهير (الخيام) يعد من أحسن ما ألف في هذا الباب على كثرة ما ألف في الموضوع ببلاد الغرب، وقد

شهد بذلك بعض كبار رجال الهند المطلعين على مصنفات الغرب في هذا الموضوع.

قلتُ : إن (سليمان الندوي) لا تنحصر عظمته في ناحية دون ناحية، فإنه كان أدبياً من الأدباء، وسياسياً بين السياسيين، وعالماً بين العلماء، وقانونياً أي: عالماً بالقانون والدستور – بين علماء القانون والتشريع. وناهيك بمكانته في الأوساط السياسية الإسلامية العالمية.

إنه الرجل الخبير الذي انتدبته الهند الإسلامية بين آونة وأخرى لمخاطبة العالم الإسلامي، وبعثته على رأس وفود مؤلفة من خيرة رجال البلاد إلى الحجاز، فهو الذي رأس وفد الخلافة في المؤتمر الإسلامي العام المنعقد بمكة المكرمة سنة 1346هـ-1926م، وكذلك كان أحد أعضاء الوفد الإسلامي الذي سافر إلى لندن وأوروبة ليبلغهم كلمة الهند الإسلامية في مسألة الخلافة، وذلك سنة 1920م.

أما أعماله وخدماته في المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة فذلك يفوق الوصف والبيان. فقد كان السيد همزة الوصل بين وفود الهند ووفود البلدان الإسلامية الأخرى. واختير لنيابة رئاسة المؤتمر من بين رجالات العالم الإسلامي وعيون ساستها، ولما أراد ملك الأفغان نادرخان المعروف بنزعته الدينية السديدة منذ عشرين سنة أن يؤسس جامعة علمية في عاصمة بلاده، فانتدب ثلاثة من كبار رجال التعليم في الهند الإسلامية ليستشيرهم في الأمر، وقع اختياره وهو من أبصر الناس بالرجال كما شهد بذلك

الدكتور مُحَمَّد إقبال على الأستاذ سليمان والدكتور مُحَمَّد إقبال والسيد مسعود حفيد سيد أحمد خان الرئيس الأعلى لجامعة علي كراه وقتئذ.

وثم شيء أذكره وفاءً بالموضوع وأداءً لأمانة الترجمة:

وذلك أن أستاذنا كان من أول عهده بالبحث والتحقيق محققاً في الفقه لا يتقيد بمذهب كما صرح بذلك في مقدمته لكتاب تراجم علمائي حديث هند – سلفي النزعة في العقائد ، يؤمن كما آمن السلف الصالح من غير تكييف ولا تعطيل، وما زال يكتب ويحاضر متشبعاً بهذا المنهاج الفكري إلى أن أربى على الخمسين من عمره، ثم جعل يميل شيئاً فشيئاً إلى التنسك والتصوف، إلى أن انخرط في سلك إحدى الطرق الصوفية، وبايع بالطريقة قبل ثلاثة عشر عاماً، فمن ذلك اليوم بدأت تظهر آثار التدرج نحو الحنفية والمتصوفة في كثير من المسائل.

وكذلك تغيرت وجهة نظره في كثير من المسائل المستحدثة والمشكلات الجديدة المتنوعة – فمن تلاميذه من لا يزال على طريقته الأولى، طريقة السلف الصالح التي لا تشوبها كُدرةٌ ولا غبار، ومنهم من استأنس بسلوكه الجديد ومنهاجه الأخير، ولم ير بذلك بأساً، بل منهم من ازداد ميلاً إليه، وحباً له بعد انخراطه في سلك الطريقة الصوفية. وللناس فيما يعشقون مذاهب.

وبعدُ: فقد كان السيد سليمان عملاً دائباً، وجهداً متواصلاً وسعياً متتابعاً طوال الخمسين سنة الماضية لم يعرف فيها الراحة أو الكسل ولم يذق

حلاوة الانزواء أو مرارته وإنما كان حركة دائمة مستمرة طول حياته فتراه مشتغلاً ببحث أو تحقيق دائماً لا يفتر عنه طرفة عين. رأيته كذلك قبل سبع وعشرين سنة، وهو يتمتع بصحة جيدة، ووجدته كذلك قبل سنة، وهو شيخٌ بلغ السبعين، أنهك المرض قواه الجسدية، وجعلته قلة النوم والانقطاع إلى العبادة في الليالي في غاية من الضعف. فكأن البحث العلمي والتحقيق والتأمل الدقيق قد أصبح له سجية، وعلاوة على كل ذلك فقد كان رجلاً ذا مروءة غريبة، كريماً يجري الكرم في دمه، لا يغضب ولا يسخط، يصفح عن عدوه، ويدعو لمن يتناوله بالسوء.

أما التلاميذ والمخلصون ، فيشملهم بعطفه الأبوي ويبسط على كل فرد منهم ظلال شفقته وحنانه، كأنه قد منح في هذا الشأن لمحة من سيرة جده الكريم ﷺ.

أقول ذلك عن تجربة شخصية ومعرفة ذاتية. وأكتب هذه الكلمات والعين ملؤها الدموع أسفاً وحسرة.

فوداعاً أيها الأستاذ الراحل ! نم في جوار الله وكنفه، نضَّرَ الله وجهك يوم القيامة، وأعلى مقامك بين الأبرار الصالحين(1).

---

(1) إلى هنا ينتهي كلام الأستاذ مسعود الندوي رحمه الله، من مقاله المنشور في مجلة المسلمون.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله والمنة والصلاة والسلام على رسوله صاحب السنة،وعلى آله وأصحابه وتابعيه قامعي البدعة والفتنة،

إن ما نراه اليوم في البلاد من قلة الإهتمام وبرودة الحمية والإهمال والجفاء بالعلوم الإسلامية والتي تزداد على مر الأيام بتطور العلوم الإنجليزية، يفكر المصلحون والعلماء في التصدي لهذه الجفوة ومعالجة هذه الظاهرة في مختلف الطرق والمناهج، ومن جملة هذه الطرق أن تؤلف كتب التاريخ والثقافة الإسلامية ضمن سير الأعلام والمشاهير وتراجم علماء الإسلام ورجاله إستغلالا لعموم النزعة والرغبة في الناس لدراسة التاريخ، والاطلاع عليه، وأن يبين ما تشتد إليه الحاجة في ذلك،

وإن المذاهب الفقهية المتبعة في العالم الإسلامي تنتمي إلى الأئمة الأربعة: الإمام أبي حنيفة ، والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل- رحمهم الله-

لقد ألف العلامة شبلي النعماني([1]) حول حياة الإمام أبي حنيفة في اللغة الأرية كتابا باسم " سيرة النعمان" كما تمت ترجمة كتاب" سيرة الشافعي"

(1) هو العلامة المحقق البحاثة الأديب الأريب المؤرخ الأسلامي صاحب السيرة النبوية التي لم يسبق له نظير في المكتبة الإسلامية، وهو من مؤسسي ندوة العلماء، من أبرز علماء الهند

للإمام الرازي إلى الأردية أيضا، وأما الإمام مالك إمام دار الهجرة، فقيه مدينة الرسول ﷺ، الذي هو المرجع والملتقى للمذاهب الفقهية الثلاثة ما عدا مذهب أبي حنيفة، حتى اعتبرت المذاهب فروعا لمذهبه،([1]) إنه من العجب أنه لا يوجد في اللغة الأردية عنه شيئ يذكر، ويلفت الإنتباه،

وكنت أجد في نفسي من التقدير والإجلال والإعتقاد ما الله به عليم لشخصية الإمام مالك بن أنس وكتابه " الموطأ" في أيام طلبي للحديث النبوي الشريف، وهذا الذي حفزني أن أضطلع بهذه المهمة وأقوم بهذا الواجب، وقد كنت بدأت هذا العمل العلمي في زمن الطلب، وكتبت في مجلة "الندوة" بحثا عن سيرة الإمام مالك بن أنس في يناير عام 1907م،

في العصر الحديث، وأحد أعلام النهضة الأدبية والعلمية بها، ومن رواد الإصلاح والفكر الإسلامي الذين ساهموا بجهود ملموسة في حركة الأدب والتاريخ والدعوة الإسلامية، ولد شبلي النعماني في قرية "بندول" من أعمال" أعظم كره" =بالهند سنة (1275هـ=1858م) وانطفأت هذه الجذوة التي طالما أضاءت الطريق أمام الدارسين وطلاب العلم ورواد الحقيقة، وتوفي شبلي النعماني في (30 ذو الحجة 1332 هـ=18 نوفمبر 1914م) عن عمر بلغ 56 عاما بعد أن ساهم بنصيب و افر في نشر الدعوة الإسلامية، و إبراز العديد من الجوانب الحضارية المشرقة في تاريخ الإسلام، وله مؤلفات ضخام، وأهمها : السيرة النبوية

([1]) قال الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي في المسوى شرح الموطأ: "من تتبع مذاهبهم ورزق الإنصاف من نفسه علم لا محالة أن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه، وعمدة مذهب الشافعي وأحمد ورأسه، ومصباح مذهب أبي حنيفة ونبراسه، وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون، وهو منها بمنزلة الدوحة من لغصون" راجع مقدمة المسوى شرح الموطأ 63/1، أوجز المسالك 91/1

فلما تخرجت غلبني التفكير في إكمال هذا الموضوع وإصدار كتاب فيه أول ما غلبني واستولى على خاطري، وقد كدت أن أنتهي من التأليف إذ توفي فضيلة الأستاذ وانتقل إلى جوار رحمة ربه، فهو وصاني وعهد إلي العمل باتمام السيرة النبوية، فتوقف عمل البحث والكتابة عن حياة الإمام مالك بن أنس رحمه الله، وحط الكاتب رحله عند البحث الذي أكمله وتوقف مسافر القلم، وليس أمامي إلا أن أقدم إلى القراء ما تجهز وتيسر، قال الشاعر الفارسي: ولايستطيع أحد أن يدعي الإكمال والإتمام لأي عمل في الدنيا، وكل من ينجز لا ينجز إلا قدرا يسيرا،

السيد سليمان الندوي

30 / أغسطس 1917م

الإمـــــام مـالك بـن أنـــس

إسمه ونسبه ومولده:

إسمه: مالك ، كنيته: أبو عبد الله، ولقبه : إمام دار الهجرة، وكان إسم أبيه : أنس، ونسبه: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن حارث بن غيمان([1]) بن جثيل بن عمرو بن حارث ذي أصبح، ([2])

وينحدر الإمام مالك بن أنس من سلالة عربية خالصة كانت لها مكانة ومجد في الجاهلية والإسلام، كان آباءه من اليمن، ولكنهم ألقوا عصاهم بعد إسلامهم في مدينة الرسول ﷺ واستقروا بها، وكان الإمام من " أصبح " بطن من "حمير" وهي السلالة الملكية الأخيرة في اليمن، وكان جده الأعلى شيخا لهذه الأسرة، ومن هنالك اشتهر بلقب "ذي أصبح"

وأول من دخل في الإسلام من آباءه في العهد النبوي الشريف جده الأعلى أبو عامر، ولعل تاريخ دخوله في الإسلام قديم، ويرجع إلى

---

(1) بغين معجمة وياء تحتية ، ويقال : "عثمان" بعين وثاء مثلثة، واختار ابن فرحون الأول، وقال ذكره غيرواحد، وهكذا ضبطه ابن ماكولا: غيمان بن جثيل-بجيم وثاء مثلثة وياء ساكنة فلام- كما جزم به ابن خلكان، قال ابن فرحون: هكذا قاله الدارقطني، وحكاه عن الزبير، وقيل: خثيل – بخاء معجمة – على ما ضبطه الحافظ في الإصابة، كذا قيده الأمير أبو نصر، وحكاه عن محمد بن سعيد عن أبي بكر بن أويس، وأما من قال : عثمان بن جميل أو ابن حنبل فقد صحف" أنظر أوجز المسالك : 1/ 73

([2]) الأنساب للسمعاني / مادة " أصبحي"

سنة إثنتين من الهجرة، لأن القاضي أبابكر بن العلاء روى أن أبا عامر قد شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ما خلا بدر، ولكنه لم يثبت عند المحدثين، وذكر الإمام الذهبي في "تجريد الصحابة" في ترجمة أبي عامر الأصبحي: "لم أر أحدا ذكره في الصحابة، وقد كان في زمن النبي ﷺ" ([1])

واكتفى الحافظ بن حجر في القسم الثالث (الكنى) من "الإصابة" بذكر قول الإمام الذهبي بصدد الحديث عن أبي عامر الأصبحي،([2])

فثبت بذلك أنه لم يحظ بشرف اللقاء بالنبي ﷺ،

وجد الإمام : فهو مالك بن أبي عامر من كبار التابعين ورواة الصحاح، وكانت له علاقة خاصة بسيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، ومن المقربين لديه حتى هو يطالب منه بأن يفرض له، ، وكان يحب عثمان رضى الله عنه كثيرا، وهو من الشباب الأبطال الذين حملوا جسد أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان بعد استشهاده من بين الأعداء وخاطروا بحياتهم، وتولوا دفنه،([3])

---

(1) تنوير الحوالك للسيوطي ص: (3) تزين الممالك ص 20، تجريد الصحابة 289/2

(2) الإصابة في تمييز الصحابة 7/ 289، تزين الممالك ص:20، حكى القاضي عن أبي بكر بن العلاء القشيري: هو صحابي جليل شهد المغازي كلها خلا بدر، وبه جزم السيوطي في التنوير، أوجز المسالك 74/1

(3) قال الزرقاني: وهو من الأربعة الذين حملوا عثمان ليلا إلى قبره، وغسلوه ودفنوه ، وقد فرض له عثمان ﷺ، وأغزاه إفريقية، ففتحها، أوجز المسالك نقلا عن الزرقاني 1/ 74، شرح الزرقاني 2/1

روى الحديث عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة، وعقيل بن أبي طالب، وأبي هريرة وأم المؤمنين عائشة، وغيرهم من كبار الصحابة ﷺ،

وأخذ عنه الحديث وتلمذ عليه أبناءه وسليمان بن يسار فقيه مدينة الرسول، وفي الموطأ رواية عنه ([1])، وثقه النسائي، توفي سنة 104هـ

وكان لمالك بن أبي عامر ثلاثة أولاد: أنس والد الإمام مالك، ربيع وأبوسهيل نافع، يعتبر أبوسهيل نافع من أجلة المحدثين وثقات التابعين وأئمة الحديث، روى الحديث في الصحابة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه، وفي طبقة التابعين عن أبيه مالك بن أبي عامر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم، أخذ عنه مالك في الموطأ،

ومن أخص تلامذته : الإمام مُحَمَّد بن شهاب الزهري، ومالك وإسماعيل بن جعفر، وغيرهم، وثقه أجلة وكبار من علماء الجرح والتعديل مثل أحمد بن حنبل وأبي حاتم والنسائي،

وربيع عم الإمام وأنس وإن كانا لم يبلغا في فن الحديث والعلم مبلغ المتقنين المتضلعين في الأسرة، ولم يخرج عنهما الإمام في الموطأ، ولكنهما لم يحرما التراث العلمي من هذه الأسرة الطيبة، ([1])

(1) موطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني باب تسوية الصفوف، التعليق الممجد 370/1

واختلفوا في مولد الإمام، ذكر اليافعي سنة 94هـ في "طبقات الفقهاء"، وابن خلكان سنة 95هـ، والصحيح الراجح في تاريخ مولده أنه كان في سنة 93هـ، كما صرح بذلك الإمام الذهبي في "تذكرة الحفاظ"، واختاره السمعاني في "الأنساب"، وهو المروي متصلا عن يحيي بن بكير تلميذ الإمام الذي صحبه مدة من الزمن، ([2])

وسموه "مالك" لأنه قد قدر في حكمة الله البالغة أن يمتلك هذا المولود الخزائن العلمية في مدينة الرسول في المستقبل، وحكى ابن سعد في "الطبقات" عن الواقدي، وحكاه الآخرون أن الإمام بقي في رحم أمه ثلاث سنين، ([3]) وهو ليس بصحيح، ولو سلمنا بصحة هذه الرواية فهي ناشئة عن الجهالة بالحقائق والعلوم الطبية، حيث تخالف ما أثبته الطب الحديث في مدة الحمل، ذلك لأنه يعتري أحيانا بعض النساء عوارض الحمل، فتظل المرأة تشعر بأنها حامل، ويبقى هذا الوهم سنوات إلى أن تحمل المرأة في أية

([1]) أنظر: تزئين الممالك بمناقب مالك للسيوطي، ص: 20 وفيات الأعيان/ ترجمة الإمام مالك 300/2، إسعاف المبطا برجال الموطأ للسيوطي، ترجمة ابن أبي عمر ونافع بن مالك، تذكرة الحفاظ للذهبي، الربيع عم الإمام ليس له رواية في الكتب الستة ولا في الموطأ، لكن ذكره الحافظ في الرواة عن أبيه مالك بن أبي عامر، كذلك أنس والد الإمام، أوجز المسالك 1/ 75

(2) أخرج الغافقي عن يحيى بن بكير قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ولدت سنة ثلاث وتسعين، تزيين الممالك ص:25، مسند الموطأ للغافقي ص: 116

(3) الطبقات الكبرى 1/ 434، قال القاصي : واختلف في حمل أمه به ، فقال ابن نافع الصائغ والو اقدي ومعن ومحمد بن الضحاك : حملت به أمه ثلاث سنين ، وقال نحوه بكار بن عبد الله الزبيري وقال: أنضجته والله الرحم" ترتيب المدارك 1/ 50

لحظة حملا حقيقيا، فيحسب من لا علم له هذه المدة كلها مدة الحمل الحقيقي،

وقد أبصر الإمام أبوحنيفة النور سنة 80هـ، ومن ثم كان الإمام مالك أصغر منه في عمره بثلاث عشر سنة، وعندئذ كان عهد بني أمية في أوج الرقي والإزدهار، وكان نجمهم متألقا، وتولى عرش الخلافة وليد بن عبد الملك الذي كان الخليفة الثالث من الخلفاء الأمويين، وكان الفتح الإسلامي الذي تدفق سيله وتجاوز "تركستان" و"كابل "و "السند" في المشرق، كذلك يموج في المغرب في " إفريقيا" وفي " الأندلس" ومن العجيب المدهش وصنع الله أن الإمام ولد في هذا العهد المشرق الذي كان قدر الله أن يفتح خليفته تلك البقاع من الأرض بقوته وسيفه وجيوشه، ويضمها إلى الفتح الإسلامي من طرابلس، وتيونس، والجزائر،ومراكش، والأندلس وغيرها التي فتحها الإمام بعلمه وقلمه، وفكره،وفقهه، حتى أصبحت تربة خصبة لانتشار مذهبه،

نشأته وتعلمه:

المدينة: لما بلغ الإمام رشده وسن التمييز وجد نفسه في بيئة علمية وبين أحضان العلم والثقافة، لأن بيته وبلده كذلك كان مهدا للعلم والعلماء، وإن كان قد تدفق كثير من العلماء والفضلاء من أصحاب النبي ﷺ من المدينة المنورة إلى المناطق المترامية الأطراف بعد إلتحاقه بالرفيق

الأعلى، لكن معدن الذهب يبقى معدنا، ولا يفقد أصالته ولو أخرج منه أطنان من الذهب، فكان عدد هائل من صحابة النبي ﷺ وأمناء الوحي وأوعية العلوم الشريعة لم يبرحوا مدينة الرسول ﷺ، وبقوا بها، وظلت المدينة المنورة عاصمة الحكومة الإسلامية في العهد النبوي وبعده طيلة 24-25 / سنة، ومن هنا تصدر الأحكام والفتاوى إلى العالم الإسلامي كله بعد إجماع الصحابة واتفاق كلمتهم على شيئ، ([1])

فقهاء الصحابة في المدينة المنورة:

وكان بالمدينة المنورة من أجلة الصحابة الفقهاء أمير المؤمنين أبوبكر الصديق، وعمر الفاروق، وأم المؤمنين عائشة ﵂، الذين كانوا عارفين بدقائق الشريعة الإسلامية ومتضلعين في العلوم، وعبد الله بن عمر رضى الله عنه الذي لم يكن أحد متتبعا لسنن رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله أكثر منه، وعبد الله بن عباس ﵁ حبر هذه الأمة، وزيد ثابت كاتب الوحي،

([1]) قال الشيخ عبد الفتاح أبوغدة: "كان لكل بلد من البلدان التي فتحها الاسلام الحنيف واستقر فيها المسلمون نصيب من العلم، يختلف عن الآخر قلة وكثرة، بحسب كثرة الصحابة الواردين عليه والمقيمين فيه ،فكان نصيب دار الهجرة النبوية، المدينة المنورة أوفى نصيب، لتوفر وجود الصحابة الكرام فيها، إذ كانت هي ومكة المكرمة بعد فتحها دار الإسلام الأولى ومهوى أفئدة المؤمنين، فعاشت فيها السنة وجاشت، و انتشرت في آفاق الإسلام،وتوارثها الناس جيلا بعد جيل، وقبيلا عن قبيل، وكثر في دار الهجرة الفقهاء والمحدثون" مقدمة الشيخ عبدالفتاح على التعليق الممجد 8/1

كانت مدارس هؤلاء الصحابة الأجلة العظام عامرة في هذا البلد الطيب الكريم، تخرج فيها آلاف من العلماء المتضلعين في علوم الكتاب والسنة،

تلامذة الصحابة في المدينة المنورة:

وكان في المدينة المنورة من ورثة بيت الصديق إبنته أم المؤمنين عائشة وتلامذتها الكبار، و ابن أخيها قاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق، وابن أختها عروة بن الزبير،

وكان من أمناء مدرسة الفاروق عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وتلامذة عبد الله بن عمر الأخيار الأبرار من نافع وعبد الله بن دينار وغلاماه، وسالم بن عبد الله بن عمر، وترك زيد بن ثابت ﷺ تراثه العلمي في بيته، حيث ورثه عنه إبنه خارجة بن زيد رضي الله عنهما، وقد سلم هذه الأمانة أبوهريرة ﷺ صهره سعيد بن المسيب، وقد نهل من منهل حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس أهل مكة والبصرة والكوفة خارج المدينة المنورة، وأخذ تراثه من أهل المدينة سعيد بن المسيب،

وإن تلامذة الصحابة والتابعين وإن انتشروا في الجزيرة العربية كلها، لكننا نحن نتحدث عمن بقي منهم في المدينة المنورة ولم يبرح منها، وكان منهم من تقدم ذكره من القاسم بن مُحَمَّد، وعروة بن الزبير، ونافع، وعبد الله دينار، وسالم بن عبد الله، وخارجة بن زيد، وسعيد بن المسيب،

وكـان في المدينـة المنـورة غـيرهم مـن المشـاهير وأعـلام التـابعين مثـل هشام بن عروة، ومُحَمَّد بن المنكدر، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود، ومُحَمَّد بن مسلم بـن شـهاب الزهـري ، وعـامر بـن عبـد الله، وجعفـر الصـادق، وربيعـة الرأى، وأبو سهيل نافع بن مالك، وسليمان بن يسار وغيرهم، وكان هؤلاء هـم الأئمـة الفطاحـل الـذين نمـت الثقافـة الإسـلامية في أحضـان علمهـم وفضلهم، وازدهرت، وتطورت بجهودهم وفكرهم وعلومهم،

الفقهاء السبعة:

واشـتهر بالمدينـة المنـورة الفقهـاء السبعة، منهم: أبـوبكر بـن الحـارث (ت/94هـ) وخارجـة بـن زيـد (ت/ 99هـ) وقاسـم بـن مُحَمَّد (ت/101) وسعيد بن المسيب (ت/ 101هـ) وعبيد الله بن عتبة (ت/102هـ) وسالم بن عبد الله (ت/ 106هـ) وسليمان بن يسار (ت/ 107هـ)

وكـان يؤخـذ بقـولهم بعـد الصـحابة في جميـع الفتـاوى والأحكـام الشرعية والخصومات والأقضية، وكانـت نـدوتهم التي يجتمعـون فيهـا لمعالجـة القضـايا تعتـبر هـي المحكمـة العليـا في ذلـك العهـد، وكـان فقـه المدينـة المنـورة الذي نتحدث عنه فيما بعد كان من إنتاج المجالس الشرعية العلمية لهؤلاء الفقهاء الأئمة، وندواتهم

مشايخ الإمام مالك بن أنس

لما أبصر الإمام النور وفتح عينيه كانت المدينة المنورة زاهرة مشرقة وزاخرة بالعلم وأهله، وكان جل من تقدم ذكره من العلماء والمحدثين والفقهاء مشتغلين بالتعليم والإفتاء، صارفين عنانهم إلى الإفادة والتوجيه، لقد استفاد الإمام من أكثرهم ونهل من منهلهم، فاجتمع لديه من العلم ما كان مشتتا في مختلف الصدور، ولأجل ذلك لقب بـ" إمام دار الهجرة"

ومشايخ الإمام مالك بن أنس وإن كانوا كثيرين، كما إتفقت كلمة العلماء والمؤلفين في أسماء الرجال وتراجم الرواة على أن الإمام روى عن خلق كثير، وجميع مشايخه الذين أخذ عنهم في "الموطأ" من المدينة المنورة ما خلا ستة أشخاص عند الإمام ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوي كما قال في مقدمة " المسوى " شرح الموطأ، وهم تسعة عندي، ([1])

فثبت بذلك وبعدم خروجه من مدينة الرسول أن الإمام مالك بن أنس لم يخرج من المدينة المنورة في طلب الحديث في يوم من الأيام، وسببه ظاهر، وهو أن الذي يمتلئ بيته دررا وجواهر لا يحتاج إلى أن يمد يده إلى

([1]) ومشايخ الإمام أكثر من أن يحصر عددهم، قال الزرقاني أخذ عن تسع مأة شيخ فأكثر، قال الغافقي: عدة شيوخه الذين سماهم خمسة وتسعون رجلا، وعدة صحابته خمسة وثمانون رجلا، ومن نسائهم ثلاث وعشرون إمرأة، ومن التابعين ثمانية وأربعون رجلا، كلهم مدنيون إلا ستة: أبوالزبير المكي، وحميد الطويل، و أيوب البصريان، وعطاء الخراساني، وعبد الكريم الجزري، و ابراهيم بن عبلة الشامي" نقلا عن أوجز المسالك 1/ 84

غيره، فمثله يكون في غنى عن ذلك، وبالتالي كانت المدينة المنورة مهدا للعلماء والمحدثين، يفدون إليها من البلاد كلها، ولا سيما في أيام الحج كان حادي الشوق والحب يحدوهم إلى زيارة المدينة المنورة فيأتون إليها من كل فج عميق، ويضربون أكباد المطايا حنينا إلى زيارتها،

مشايخه من أقربائه وأسرته:

وكان في بيت الإمام جده وعمه ووالده من المحدثين المتقنين الكبار، لما بدأ في طلب الحديث كان بيته بيت علم وفضل، ومرجعا للعلماء والمحدثين، و كان جده الذي هو من الأئمة الثقات حيا إلى أن بلغ الإمام رشده، توفي جده وكان الإمام في العاشرة من عمره، ولكن عند المحدثين والعامة لا يصلح هذا العمر لتحمل الرواية، إما لصغر الإمام أو لكبر جده، لم ينهل الإمام من مورد جده ولم يتمتع بصحبته،

وكان عم الإمام مالك رأسا في الحديث، أخذ عنه الزهري وغيره، وأخذ عنه الإمام أيضا، ووالده أنس وعمه ربيع كلاهما يرويان عن والدهما، ولكن الإمام لم يخرج عنهما في "الموطأ"،

ولعل الإمام بدأ في طلب الحديث منذ نعومة أظفاره، لأنه يقول بنفسه كما ذكر الذهبي عنه: "كنت آتي نافعا وأنا غلام حديث السن، ومعي غلام فينزل ويحدثني" ([1]) وعلم منه تعلمه في الصغر،

وكان المنهج التعليمي عندئذ ساذجا بسيطا ومشتملا على تعلم القرآن والحديث والفقه، نال الإمام الإجازة في علم القراءة من إمام القراء في المدينة المنورة أبورويم نافع بن عبدالرحمن (ت/169هـ) الذي كان هو العمدة في علم القراءة والتجويد في العالم الإسلامي، صرح بذلك الإمام نفسه من دون تحديد الوقت،

وبناء على ما عرف من عادة المسلمين في تعليم أبناءهم القرآن الكريم في صباهم يمكن القول بأن الإمام أخذ الإجازة في علم القراءة في باكورة عمره،

كذلك بدأ الإمام في طلب الحديث في الصغر، كما يتضح مما تقدم من قول الإمام الذهبي، ويثبت بذلك أن نافعا أول من تعلم منه الحديث، ويحتمل أن يكون شيخه الأول عمه أبوسهيل لأنه كان من أهل بيته وأسرته، ولكن لم يصرح به أحد من علماء التراجم،

([1]) الذهبي 88/1

نافع مولى ابن عمر: ([1])

كان نافع عبدا مملوكا معتقا ومولى لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذي اتفق على جلالته وعظمته القاصي والداني، ولا يوهم أحدا كلمة "العبد المملوك"، لأن معناه ومدلوله يخالف المعنى المصطلح الغربي الأوروبي لكلمة "العبد المملوك"، لأن في العرف الأروبي الغربي كلمة "العبد" عبارة عن الذل والمهانة، والإحتقار والإزدراء والجهل والعبودية الدنيئة، ولكن

---

(1) له ترجمة وافية في تذكرة الحفاظ وكتاب العبر،وسير أعلام النبلاء وانظر: أسماء شيوخ مالك لابن خلفون ص: 143، وكان نافعٌ مولى ابن عمر من سَبْيِ نيسابور؛ (التاريخ الكبير للبخاري جـ 2 صـ 391)، (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ 5 صـ (342،)تاريخ دمشق لابن عساكر جـ 61 صـ 427)، قال مالك بن أنس: بلغني أن عبدالله بن عمر دخل على عبدالله بن جعفر ومع ابن عمر مولاه نافع، فقال له: بِعْني هذا، قال: فكان ابن عمر إذا جاءه بعد ذلك يقول لنافع: لا تأتِ معي، قال مالك: يخاف أن يفتنه بما يعطيه، فيبيعه منه، فكأن نافعًا تعمد ذلك، لا يدخل مع ابن عمر على عبدالله بن جعفر؛ مخافةَ أن يبيعه منه؛ (تاريخ دمشق لابن عساكر جـ 61 صـ 428). قال نافعٌ: دخلت مع ابن عمر على عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، فأعطاه اثني عشر ألف درهم، فأبى أن يبيعني، وأعتقني، أعتقه الله من النار؛ (تاريخ دمشق لابن عساكر جـ 61 صـ 428) قال سالم بن عبدالله بن عمر: سلُوا نافعًا؛ فإنه أعلمُنا بحديث ابن عمر؛ (المعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي جـ 1 صـ 424) قال مالك بن أنس: كنت آتي نافعًا مولى ابن عمر وأنا يومئذٍ غلامٌ حديث السن ومعي غلامٌ لي، فينزل إليَّ، فيقعد معي ويحدثني،قال: وكان يجلس بعد صلاة الصبح في المسجد لا يكاد يأتيه أحدٌ؛ (المعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي جـ 1 صـ 646). قال مالكُ بن أنس: كنتُ إذا سمعت نافعًا يحدث عن ابن عمر لا أبالي ألا أسمعه من غيره؛ (تهذيب الكمال للمزي جـ 29 صـ 303). قال مالك بن أنس أيضًا: إذا قال نافعٌ شيئًا، فاختِمْ عليه؛ (تاريخ دمشق لابن عساكر جـ 61 صـ 432)

الإسلام منح العبد العز والكرامة والشرف والفضل، وجعل على رأسه تاج العلم والوفاء، والفخر والإعتزاز بالنيابة عن سيده، كان عكرمة "مولى" عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هو الذي عليه مدار علم التفسير، وهذا نافع "مولى" عبد الله بن عمر الذي يعتبر إماما متقنا ثبتا في الحديث وعلم الرواية والدراية.

لقد قضي نافع في خدمة سيده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلاثين سنة، كما نال شرف الرواية عن أم المؤمنين عائشة، وأم سلمة، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري ﷺ مع الرواية عن سيده عبد الله بن عمر، وأخذ عنه الأئمة الأعلام مثل الإمام الأوزاعي، والزهري، وأيوب السختياني، وابن جريج، ومالك بن أنس وغيرهم،

ويستدل على جلالة قدره وعلو منزلته بأن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله مع كونه عالما متضلعا ومجتهدا بصيرا بعث نافعا إلى أهل مصر للتعليم والإفتاء، ولقد توفي نافع سنة 117هـ، رحمه الله،

وكان الإمام مالك بن أنس ملازما لحلقة نافع ما امتدت به الحياة، يذهب إليه ويسأله في مجلسه: " ما يقول عبد الله بن عمر في كذا " فكان نافع يجيب على الأسئلة ويذكر أقوال وآراء عبد الله بن عمر، وكان هذا الطالب يعتز بعلم شيخه وفضله وكماله ونبوغه في العلم، ويعتمد عليه حتى يقول: " كنت إذا سمعت نافعا يحدث حديثا عن ابن عمر لم أبال ألا أسمعه من غيره "

ويدل على العلاقة الطيبة والود بين الطالب وشيخه وشرفهما وقبولهما في الأمة الإسلامية أن رواية مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر إشتهرت على ألسنة المحدثين إطلاقا بأنها " سلسلة الذهب"

وقد أخذ الإمام مالك من المشايخ الأجلة وكبار الأعلام في المدينة المنورة مع شيخه نافع مولى عبد الله بن عمر، ومن أشهرهم: الإمام مُحَمَّد بن شهاب الزهري، وجعفر الصادق بن مُحَمَّد، ومُحَمَّد بن يحيى الأنصاري، وأبوحازم، ويحيى بن سعيد.

مُحَمَّد بن شهاب الزهري: ([1])

إسمه: مُحَمَّد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، واشتهر بـ " ابن شهاب الزهري" واحتل الإمام الزهري مكانة مرموقة بعد سعيد بن المسيب من رواة الحديث المشهورين في طبقة التابعين، وإن الصحاح الستة التي هي مأثرة فخر وإعتزاز في تاريخ الثقافة الإسلامية زاخرة ومليئة بمرويات الإمام الزهري، وكان الزهري ممن دون علم السنة والحديث بعد أبي بكر بن حزم،

نال شرف اللقاء والرواية في طبقة الصحابة عن أنس وجابر وعبدالله بن عمر وسهل بن سعيد وغيرهم ﷺ،

([1]) انظر لترجمته: العبر1/151، تذكرة الحفاظ 108/1، حلية الأولياء360/3 شذرات الذهب 162/1، النجوم الزاهرة 194/1، اسماء شيوخ مالك لابن خلفون ص: 103

والإمام الزهري أول من حفظ العلم وجمع منه ما كان متفرقا عند الفقهاء السبعة والمشايخ الأعلام في المدينة المنورة، ووعاه في صدره ثم جمعه في المؤلفات، وقيده بالكتابة، وهذا هو العلم الذي إنتقل منه إلى الإمام مالك بن أنس، يقول الإمام مالك : قدم علينا ابن شهاب الزهري فنزدحم على بابه، ثم غادر الزهري المدينة المنورة وألقى عصاه في الشام، وكان مالك لا يحب مغادرة شيخه عن المدينة ولا يرضى بأن يبتعد عنه، وعز عليه خروج شيخه من المدينة حتى قال له يوما : "طلبت العلم حتى إذا كنت وعاء من أوعيته، ونضجت علما وفقها تركت المدينة ونزلت "إداما" (موضعا في الشام) ؟ فقال: كنت أسكن المدينة، وكانت تحتضن "الرجال" فلما تغير الناس وذهب الرجال تركتهم".([1])

وكان الليث المصري يعترف بفضل الإمام الزهري ويقول: "ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب" ويقول الزهري نفسه: "ما استودعت قلبي

([1]) أنظر جامع بيان العلم لإبن عبد البر، قال فيه: " حدثنا خلف بن أحمد نا أحمد بن سعيد ثنا محمد بن أحمد نا ابن وضاح نا ابن أبي مريم نا نعيم نا سفيان بن عيينة قال : قال :ربيعة بن أبي عبد الرحمن للزهري لو جلست للناس في مسجد رسول الله ﷺ في بقية عمرك قال فقال رجل للزهري إما إنه لا يشتهي أن يراك فقال الزهري أما إنه لا ينبغي أن أفعل ذلك حتى أكون زاهدا في الدنيا راغبا في الأخرة وروي عن ابن شهاب أنه قيل له : تركت المدينة ولزمت شغبا وإداما وتركت العلماء بالمدينة يتامى فقال : أفسدها علينا العبدان ربيعة و أبو الزناد) جامع بيان العلم وفضله - ت السعدني ط العلمية - المجلد 1 - الصفحة 438 ، باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض

شيئا قط فنسيته " ويقول نقاد الحديث: لم يكن أحد أتقن وأحفظ للحديث من ابن شهاب الزهري([1])

وقد أخذ عنه غير الإمام مالك: الإمام أبوحنيفة، والاوزاعي، وعطاء بن أبي رباح شيخه، وعمرو بن دينار، وسفيان بن عيينة، وابن جريج وعامة المحدثين في طبقته، وكان الإمام مالك من أشهر تلامذة الزهري الذي نشر علم شيخه ونور إسمه، ومن يكون أعرف بالرجال من أحمد بن حنبل جبل الجرح والتعديل! سأله ابنه عن أثبت الناس في الزهري، فقال أحمد بن حنبل: "مالك أثبت الناس في الزهري" ([2]) ومع هذه المكانة السامية والمنزلة الرفيعة والتضلع في العلم لم يستحي الشيخ عن أن يروي من

---

(1) كان الإمام الزهري رحمه الله آية من آيات الله في الحفظ، وموهبة نادرة في استظهار المعلومات، ولقد كان نعمة من نِعم الله على هذه الأمة في حفظ حديث رسولها ﷺ، فإنه قد عرف بالحفظ والإتقان وحُسن سَوق النصوص؛ فلذلك كثُر طلابه والآخذون عنه، ومن قرأ ترجمته في كتب الرجال رأى العدد الكبير من الرواة الذين أخذوا عنه حديث رسول الله ﷺ، ولم يكن الزهري حافظًا للحديث ومسائل العلم حفظًا مجردًا، و إنما كان يجمع بين الحفظ والفهم وجودة الاستنباط، ومن باب التحدث بنعمة الله كان يحكي عن نفسه ما وهبه الله من قوة الحفظ، فيقول: "ما استودعت قلبي شيئًا قط فنسيته"، ويقول أيضًا: "ما استعدت حديثًا قط، وما شككت في حديث إلا حديثًا واحدًا، فسألت صاحبي، فإذا هو كما حفظت"ويبدو أن قوة حفظ الزهري قد شهرت عنه حتى أثنى عليه معاصروه من الأئمة بذلك، قال عمر بن عبدالعزيز: "ما ساق الحديث أحد مثل الزهري"، وقال عمرو بن دينار: "ما رأيت أحدًا أنص للحديث من الزهري" أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي 5/ 332

(2) تزيين الممالك ص: 21، الجرح والتعديل 1/ 15 مناقب مالك للزواوي ص: 69

تلميذه، فأخذ الزهري عن مالك، كما يلتقيان في الأخذ عن بعض المشايخ، توفي الزهري سنة 124هـ

جعفر بن مُحَمَّد ([1])

جعفر بن مُحَمَّد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب الذي عرف بـ "الإمام جعفر الصادق، أخذ عن والده الإمام باقر، وعروة بن الزبير، وعطاء، ومُحَمَّد بن المنكدر،

ومن تلامذته: الإمام أبوحنيفة، والإمام مالك، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وشعبة، وأبوعاصم، ويحي الأنصاري، وكان أبوحاتم يقول: " جعفر لا يسأل عن مثله " وقال ابن حبان: كان الإمام جعفر من أئمة أهل البيت، والعباد في تبع التابعين، ومن أعلام العلماء في المدينة المنورة، وقال يحي بن معين: "ثقة مأمون"

---

(1) هو الإمام أبو عبد الله جَعْفَرُ الصادق بنُ مُحَمَّدِ الباقر بن عَلِيّ زين العابدين ابْنِ رَيْحَانَةِ النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَمَحْبُوبِهِ الحُسَيْنِ بن أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهم وأرضاهم. وَأُمُّه: هِيَ أُمُّ فَرْوَةَ بِنْتُ القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ التَّيْمِيّ ، وَأُمُّهَا: هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي بَكْرٍ، فأمه يتصل نسبها إلى أبي بكر الصديق من جهة أمها ، ومن جهة أبيها أيضا،وَلِهَذَا كَانَ يَقُوْلُ : وَلَدَنِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ مَرَّتَيْنِ. وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانِيْن ، وَرَأَى بَعْضَ الصَّحَابَةِ ، قال الذهبي " : أَحْسِبُهُ رَأَى : أَنَسَ بنَ مَالِكٍ ، وَسَهْلَ بنَ سَعْدٍ. " سير أعلام النبلاء(6/255-270) " و انظر ترجمته : حلية الأولياء 192/3، ميزان الاعتدال 414/1، تذكرة الحفاظ1/ 166، أسماء شيوخ مالك لابن خلفون ص: 67

وكان الإمام جعفر يختبر تلامذته أحيانا، سأل أباحنيفة مرة، ما يجب لو كسر المحرم رباعية الظبي؟ فقال أبوحنيفة: لا أدري يا ابن رسول الله! فقال جعفر: ألا تدري أنه لايكون للظبي رباعية، إنما هي الثنايا فحسب، ([1])

لقد ذكر الإمام الذهبي في "ميزان الإعتدال" عن مصعب بن عمير شيئين مما يتعجب لمثله، أحدهما أن الإمام مالك بن أنس لم يرو عن جعفر الصادق إلى نهاية عهد بني أمية، حتى إذا ظهر أمر بني العباس فروى عنه، يمكن أن يكون ذلك صحيحا، ولكن يشكل عليه أمران :

الأول : السبب والخوف الذي كان لا يروي لأجله الإمام مالك عنه في العهد الأموي كان هو موجودا في عهد بني العباس أيضا

الثاني: ولم يكن هذا الخوف مختصا بالإمام مالك بن أنس، وكان هناك عدد من الرواة الذين ارتكبوا ذنب الرواية عن الإمام جعفر الصادق، والأهم من ذلك أن الإمام إذا لم يخش التعلم والأخذ عن الإمام جعفر في العهد الأموي فكيف يخاف في الرواية عنه،

والشئ الثاني مما ذكره الذهبي في الميزان عن مصعب بن عمير أن الإمام مالك كان لايروي عن جعفر الصادق حتى يضمه إلى أحد، ويعنى

([1]) مناقب الإمام مالك / عيسى الزواوي ص 10

ذلك ضعفه عند مالك، ([1]) ولكن لا يعتمد علي هذا القول، وهو غير صحيح، وأصدق دليل على ذلك كتابه "الموطأ"، لأن الإمام مالك أخذ عنه أحاديث فيه، دون أن يضم إليه أحدا، وعجبا لمثل الإمام الذهبي الناقد البصير يذكر هذا القول بدون أن ينقد أو يعقب عليه، توفي الإمام جعفر الصادق عام 148 هـ، وذكر في بعض المآخذ التاريخية أن الإمام جعفر جعل مالك خليفة له([2]) وما وجدت هذا القول عند من يعتد بقوله من الأئمة والمحدثين.

مُحَمَّد بن المنكدر:([3])

مُحَمَّد بن المنكدر المدني كان من كبار التابعين، روى عن والده منكدر بن عبد الله وأم المؤمنين عائشة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة وغيرهم من أجلة الصحابة ﷺ،

أخذ عنه الإمام مُحَمَّد بن شهاب الزهري، والإمام أبوحنيفة، ومالك، وشعبة، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري وغيرهم من الأئمة الأعلام

([1]) قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام جعفر الصادق: " قال مصعب عن الدراوردي قال: لم يرو مالك عن جعفر حتى ظهر أمر بني العباس، قال مصعب بن عبد الله: كان مالك لا يروي عن جعفر حتى يضمه إلى أحد"

(2) مناقب الإمام مالك / عيسى الزواوي ص 10

(3) خلاصة تذهيب الكمال ص: 376

الكبار، قال ابن عيينة: كان من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون([1])، توفي سنة 131هـ

مُحَمَّد بن يحيى:([2])

مُحَمَّد بن يحيى الأنصاري من كبار التابعين، روى عن أبيه يحيى بن حبان، وعمه واسع بن حبان، وأخذ في طبقة الصحابة عن عبد الله بن عمر، وأنس، ورافع بن خديج وغيرهم من الصحابة العظام ﷺ، وأخذ عنه أمثال ليث بن إسحاق، كان يلقي الدروس في المسجد النبوي الشريف في

([1]) روى ابن راهويه عن سفيان قال: كان من مَعادِن الصدق، ويجتَمِع إليه الصالحون، ولم يدرك - سفيان - أحدًا أجدر أن يَقبَل الناس منه إذا قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منه.، وقال أبو حاتم البستي: كان من سادات القُرَّاء، لا يَتَمالَك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله -ﷺ. وقال مالك: كان ابن المُنكَدِر سيِّد القراء. قال أبو معشر: كان سيِّدًا يُطعِم الطعام، ويجتمع عنده القرَّاء.قال يعقوب الفسوي: هو غايَةٌ في الإتقان والحفظ والزهد، حجَّة، وقال ابن الماجِشون: إنَّ رؤية مُحمد بن المُنكَدِر لتنفعني في ديني، قال أحمد بن إبراهيم الدورقي: حدثنا يحيى بن الفضل الأنيسي، سمعت بعض مَن يذكر عن مُحمد بن المُنكَدِر: أنه بينا هو ذات ليلة قائِمٌ يصلِّي إذ استَبكَى، فكثُر بكاؤه حتى فزع له أهله، وسألوه، فاستَعجَم عليهم، وتَمادَى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرَّتْ بي آية، قال: وما هي؟ قال :﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾، فبكى أبو حازم معه، فاشتدَّ بكاؤهما، أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، وحلية الأولياء وتاريخ دمشق

(2) خلاصة تذهيب الكمال ص 363، أسماء شيوخ مالك ص: 137، وقال الذهبي : " الإمام الفقيه الحجة أبو عبد الله الأنصاري النجاري ، المازني المدني ، حفيد الصحابي الذي كان يخدع في البيوع . ويقول : لا خلابة ، مولده في سنة سبع وأربعين.... وكان ثقة كثير الحديث ، عاش أربعا وسبعين سنة . قلت(الذهبي) : أرخ جماعة موته في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وهو من أعيان مشيخة مالك -رحمه الله" سير أعلام النبلاء 187/5

حلقة مستقلة خاصة به، وكان يفتي بالمدينة المنورة، وثقه النسائي وابن معين وأبو حاتم ، توفي عام 121هـ عن سبعين سنة

أبوحازم سلمة:([1])

أبوحازم سلمة بن دينار، لقي سهل بن سعد الذي كان آخر الصحابة الذين توفاهم الله بالمدينة المنورة، والذي توفي عام 88هـ عن حياة عامرة لمدة 100 سنة، وروى عنه، كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عمر، ولكن لم يثبت السماع منهم،

وأخذ في طبقة التابعين عن مُحَمَّد بن المنكدر، وسعيد بن المسيب، وأم الدرداء الصغرى، وأبي إدريس الخولاني، وكان الإمام الزهري وإن كان أكبر منه في علمه وفضله وسنه يروي عنه، وأخذ عنه الإمام مالك، وابن عيينة، والثوري، وحماد وغيرهم،

واشتهر أبوحازم عند المحدثين بكثرة الرواية وهو ثقة، كان يعظ أحيانا في المسجد النبوي، فيحتشد الناس إلى مجلسه، ومن يتأخر في الوصول أحيانا لا يجد مكانا في حلقته لكثرة الناس،

---

(1) النجوم الزاهرة 342/1، تذكرة الحفاظ 123/1 العبر1/ 189، أسماء شيوخ مالك: 209، قال الذهبي: " سلمة بن دينار، الإمام القدوة ، الواعظ ، شيخ المدينة النبوية أبو حازم المديني ، المخزومي ، مولاهم الأعرج ، الأفزر التمار، القاص ، الزاهد، .... وثقه ابن معين ، وأحمد ، و أبو حاتم .وقال ابن خزيمة :ثقة ، لم يكن في زمانه مثله" سير أعلام النبلاء 97/6

وصل الإمام مالك متأخرا يوما إلى حلقته، وكان المكان مكتظا بطلبة العلم، لم يجد الإمام موضعا يجلس فيه، فرجع، سأله بعض الناس عن سبب رجوعه، فقال: "كرهت أن آخذ حديث النبي ﷺ وأنا قائم" ([1])، لأن ذلك يؤثر على السماع من الشيخ، ويصعب في مثل الوضع صحة السماع، توفي أبوحازم عام 140هـ

أبوسعيد يحي بن سعيد([2]):

أبوسعيد يحي بن سعيد الأنصاري ، روى عن أنس ، وعدي بن ثابت، وعلي زين العابدين بن الحسين، وروى عنه : الإمام مالك بن أنس ، وشعبة ، والثوري، وابن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والليث وغيرهم، وكان قد ولي القضاء في المدينة المنورة، وعدد مروياته عند ابن المديني 300/ حديث، وقال ابن سعد عنه: " ثقة كثير الحديث حجة

([1])أخرج أبو نعيم في الحلية والخطيب في الرواة عن ابراهيم بن عبد الله بن قديم الأنصاري قاضي المدينة قال: مر مالك على أبي حازم وهو يحدث، فجازه، فقيل له، فقال: إني لم أجد موضعا أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم" تزين الممالك ص: 37 ، حلية الأولياء 321/6

([2]) قال الذهبي في النبلاء : " يحيى بن سعيد ابن قيس بن عمرو ، وقيل : يحيى بن سعيد بن قيس بن قهد الإمام العلامة المجود ، عالم المدينة في زمانه ، وشيخ عالم المدينة ، وتلميذ الفقهاء السبعة أبو سعيد الأنصاري الخزرجي النجاري المدني القاضي مولده قبل السبعين ، ... قال الحاكم :هو قاضي حرم رسول الله -ﷺ- ومفتيها في عصره، ... وقال حماد بن زيد : قدم أيوب من المدينة ، فقيل له : من أفقه من خلفت بها ؟ قال : يحيى بن سعيد الأنصاري " أنظر سير أعلام النبلاء 469/5

ثبت"، وعده سفيان بن عيينة وسفيان الثوري في "الحفاظ"، وقال أحمد بن حنبل: " سعيد أثبت الناس" توفي عام 143هـ.

عدد مشايخ الإمام مالك:

لقد روى الإمام مالك ما عدا مشايخ المدينة المنورة عن شيوخ مكة المكرمة، والبصرة، وخراسان، والجزيرة، ومشايخه الذين أخرج عنهم في الموطأ إنما هم خمس وسبعين شيخا عند الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي،

ولما تصفحت كتاب الإمام السيوطي " إسعاف المبطا برجال الموطأ" وجدت أن عددهم أربع وتسعين شيخا،([1]) نسرد أسماءهم حسب الترتيب الهجائي فيما يلي مع الإشارة إلى أوطانهم وبلادهم، وهذا العدد حسب الأحاديث والآثار التي أخرجها الإمام في "الموطأ" والتي يبلغ عددها 1720/ حديث، ويبلغ عدد رواياته الصحيحة وغير الصحيحة إلى عشرة آلاف رواية، وهي التي بقيت بعد البحث والغربلة والتحقيق حوالى 1720/حديث، ([2])

([1]) ذكر ابن خلفون في كتابه "أسماء شيوخ مالك" 102/ شيخا حسب الترتيب الهجائي، وأربعة من مشايخه في أصحاب الكنى،

([2]) قال محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت ١٣٦٠هـ) في كتاب " شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" عن عدد أحاديث المؤطأ: "ذكر ابن الهياب أن مالكاً روى مائة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة ويختبرها بالآثار حتى رجعت إلى خمسمائة قال أبو بكر الأبهري :جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي - ﷺ - عن الصحابة والتابعين ١٧٢٠ حديثاً ، المسند منها ٦٠٠ والمرسل ٢٢٨

وهـذا العـدد المـذكور لمشـايخ الإمـام مالـك الـذي يبلـغ إلى 97/ شيخا إنما هـو بالنسبة إلى الأحاديث الصحيحة الموجودة في "الموطأ"، ولـو يوازن هـذا العـدد بالنسبة إلى جميع روايات الإمـام الموجـودة أمامنـا في المؤطـا وغـير الموجـودة يـزداد عـدد مشـايخه، وقـد أفـرد الإمـام مسـلم بـن الحجـاج القشيري كتابا في مشايخ مالك، وهوغير موجود وغير متداول بين أيدينا،

والموقـوف ٦١٣ ومـن قـول التـابعين ٢٨٥ وقـال السـيوطي في تقريبـه نقـلاً عـن ابـن حـزم : أحصيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند خمسمائة ونيفاً مسندة وثلاثمائة مرسلاً وفيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفة وهاها جمهور العلماء ولا منافاة بين ما نقله السيوطي وما قاله الأبهري لأن روايات الموطأ كثيرة تختلف زيادة ونقصاً" (شجرة النور الزكية 1/ 190) وقال صالح المنجد: "وإن عدد أحاديث الموطأ يختلف باختلاف الروايات ، كما يختلف بحسب اختلاف طريقة العدّ ، وذلك أن بعض أهل العلم يعد كل أثر من كلام الصحابة أو التابعين حديثا مستقلا ، وبعضهم لا يعتبره ضمن العدد ، لذلك نكتفي بذكر العدد الذي جاء في بعض الطبعات المحققة للموطأ ، وهي: رواية يحيى الليثي : (وهي الرواية الأشهر ، والمقصودة عند إطلاق الموطأ : (رقمها ترقيما كاملا الشيخ خليل شيحا ، فبلغ عدد الأحاديث بترقيمه (1942)حديثا ، تشمل المرفوع والموقوف.

وأما رواية أبي مصعب الزهري : فقد رقمت في طبعة مؤسسة الرسالة ، فبلغ عدد أحاديثها (3069) حديثا ، وقد شمل الترقيم كل شيء حتى أقوال الإمام مالك ، لهذا السبب كان العدد كبيرا.

فهرس مشايخه حسب الترتيب الهجائي

ألف:

1- إبراهيم بن أبي عبلة المقدسي
2- إبراهيم بن عقبة الأسدي المدني
3- إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة
4- إسماعيل بن أبي حكيم المدني
5- إسماعيل بن مُحَمَّد بن سعد المدني
6- أيوب بن تميمة السختياني البصري
7- أيوب بن حبيبة المدني

ب:

1- بكير بن الأشج المدني

ث:

- ثور بن زيد المدني

ج:

1- جعفر بن مُحَمَّد بن علي الهاشمي المدني
2- جميل بن عبد الرحمن المدني

ح:

1- حميد بن أبي حميد الطويل البصري
2- حميد بن قيس الأعرج المكي

خ:

1- خبيب بن عبد الرحمن المدني

د:

1- داؤد بن حصين الأموي المدني

ر:

1- ربيعة بن عبد الرحمن الرأى المدني

ز:

1- زياد بن سعد خراساني
2- زيد بن أسلم المدني
3- زيد بن أبي أنيسة الجزري
4- زيد بن رباح المدني

س:

1- سالم بن أبي أمية المدني
2- سعيد بن إسحاق القضاعي المدني
3- سعيد بن أبي سعيد كيسان المدني
4- سلمة بن دينار
5- أبوحازم المدني
6- سلمة بن صفوان الأنصاري المدني
7- سمي المخزومي المدني
8- سهيل بن أبي صالح ذكوان المدني

ش:

1- شريك بن عبد الله المدني

ص:

1- صالح بن كيسان المدني
2- صفوان بن سليم المدني
3- صفي بن زياد الأنصاري المدني

ض:

1- ضمرة بن سعيد الأنصاري المدني

ط:

1- طلحة بن عبد الله الخزاعي

ع:

1- عامر بن عبد الله الزبير المدني
2- عبد الله بن أبي بكر بن حزم المدني
3- عبد الله بن دينار المدني
4- عبد الله بن ذكوان أبو الزناد المدني
5- عبد الله بن عبد الله جابر المدني
6- عبد الله بن عبد الرحمن أبو طوالة المدني
7- عبد الله بن فضل بن عباس المدني
8- عبد الله بن يزيد المخرمي المدني
9- عبد ربه بن سعيد الأنصاري المدني
10- عبد الرحمن بن خرملة المدني
11- عبد الرحمن بن عبيد الله بن أبي صعصعة المدني
12- عبد الرحمن بن القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق المدني
13- عبد الكريم بن مالك الجزري
14- عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المدني
15- عبيد الله بن سليمان

16- عبيد الله بن عبد الرحمن
17- عطار بن أبي مسلم الخراساني
18- علقمة بن أبي علقمة بلال المدني
19- عمارة بن عبد الله الأنصاري
20- عمر بن الحارث أبو أمية المدني
21- عمرو بن أبي عمر ميسرة المدني
22- عمرو بن يحيى اللاذقي المدني
23- العلاء بن عبدالرحمن الحرقي المدني

ف:

1- فضيل بن أبي عبد الله المدني

ق:

1- قطن بن وهب المدني

م:

1- مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني
2- مُحَمَّد بن أبي أمامة سهيل بن حنيف الأنصاري المدني
3- مُحَمَّد بن أبي بكر عوف الحجازي
4- مُحَمَّد بن أبي خرم الأنصاري المدني

5- مُحَمَّد بن عبد الله بن صعصعة المدني
6- مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي المدني
7- مُحَمَّد بن عمارة بن عمرو الأنصاري المدني
8- مُحَمَّد بن عمرو بن حلحلة الديلي المدني
9- مُحَمَّد بن عمرو بن علقمة الليثي المدني
10- مُحَمَّد بن مسلم أبو الزبير المكي
11- مُحَمَّد بن مسلم بن شهاب الزهري المدني
12- مُحَمَّد بن المنكدر المدني
13- مُحَمَّد بن يحيى بن حبان الأنصاري المدني
14- مخرمة بن سليمان الأسدي المدني
15- مخرمة بن بكير الأشج المدني
16- مسلم بن أبي مريم المدني
17- مسور بن رفاعة القرظي المدني
18- موسى بن أبي تميم المدني
19- موسى بن عقبة المدني
20- موسى بن ميسرة المدني

ن:

1- نافع بن مالك أبو سهيل الأصبحي المدني
2- نافع مولى بن عمر المدني

3- نعيم بن عبد الله المجبر المدني

و:

1- وليد بن عبد الله بن صياد المدني
2- وهب بن كيسان القرشي المدني

هـ:

1- هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المدني
2- هشام بن عروة بن الزبير بن العوام المدني
3- بلال بن أسامة المدني

ي:

1- يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني
2- يزيد بن رومان الأسدي المدني
3- يزيد بن زياد المدني
4- يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثي المدني
5- يزيد بن عبد الله بن خصيفة الكندي المدني
6- يزيد بن عبد الله بن نسيط الليثي المدني
7- يونس بن يوسف المدني

بـــاب الكـــــنى

1- أبوبكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطاب المدني
2- أبو بكر بن نافع مولى عبد الله بن الخطاب المدني
3- أبو ليلى بن عبد الرحمن المدني

مشايخه من خارج المدينة المنورة

ولو تمعن النظر في هذا الفهرس الطويل لمشايخ الإمام مالك بن أنس، ترى أنهم كلهم من المدينة المنورة، بيد أن هناك عددا من المشايخ من خارج المدينة المنورة، وهم ستة شيوخ عند الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي كما قال هو في مقدمة "المسوى شرح الموطأ "، ولكنهم تسعة شيوخ عندي، أحدهم من الشام، إثنان من مكة المكرمة، إثنان من خراسان، إثنان من الجزائر، وإثنان من البصرة، وأسماءهم كما يلي:

1- إبراهيم بن أبي عبلة المقدسي من الشام
2- مُحَمَّد بن مسلم أبو الزبير من مكة المكرمة
3- حميد بن قيس الأعرج من مكة المكرمة
4- عطاء بن أبي مسلم الخراساني
5- زياد بن سعد الخراساني
6- عبد الكريم بن مالك الجزري
7- زيد بن أنيسة الجزري

8- أيوب السختياني البصري

9- حميد بن أبي حميد الطويل البصري

لم يخرج الإمام مالك من المدينة المنورة إلى خارجها للأخذ والتلقي من هؤلاء المشايخ، بل أخذ عنهم في المدينة المنورة، لأنهم يأتون إلى زيارة المسجد النبوي مرة في كل سنة أو أكثر،

علم الفقه ومشايخه فيه:

وقد ذكرنا أحوال مشايخ الإمام في الحديث النبوي الشريف وسردنا أسماءهم ، ومعروف أن المحدث إنما يكون جل همه الاهتمام بالمباحث المتعلقة بالرواية من جمع طرق الحديث وأسانيده، وتصحيح الحديث أو تضعيفه، وكون الحديث متصلا أو منقطعا أو مرفوعا أو مرسلا، وتوثيق رجاله أو تضعيفهم، وغيرها من المباحث المتعلقة بعلم الرواية، وهو مثل الصيدلي الذي يعرف أسماء العقاقير والأدوية، ويعرف تاريخ الصلاحية المكتوب على الدواء،

ويأتي بعده دور الفقيه الذي يخوض أعماق النصوص وغمارها، ويكون مهمة الفقيه بذل الإهتمام بموضوع النسخ والتطبيق بين الأحاديث التي يكون ظاهرها التضاد، وإستنباط الأحكام الشرعية، وتفريع الفروع، وتقسيم الأحكام الشرعية إلى الفرض والسنة والمستحب والمباح، وقياس

النوازل والمستجدات الفقهية على المنصوص، ويكون هو مثل الطبيب الماهر الذي يعرف خواص العقاقير والأدوية وطرق إستعمالها في الأمراض،([1])

ويثبت بذلك أنه يجب أن يكون كل فقيه محدثا متضلعا متقنا في الحديث، عارفا بأحوال الرواية من الرفع والإرسال والاتصال والانقطاع، مميزا بين الصحيح والسقيم الضعيف، خبيرا بأحوال الرواة من العدالة والمروءة والثقة والقوة، وأسباب الجرح والتعديل، وإذا كان الفقيه لا يعرف هذه المباحث المهمة فكيف يقيم الأحاديث؟ ويستنبط الأحكام ويجتهد في النصوص؟ وعلى أي أساس يبني أحكام النسخ والتطبيق والإجتهاد وتقييم الرجال؟؟ ومن هنالك تصور الفقيه الذي لا يكون محدثا من المضحكات والعجائب، وهنا نذكر بعض مشايخه الذين أخذ عنهم الإمام الفقه وعلم الفروع والاجتهاد،

شيخ الفقه ربيعة الرأى:([2])

وإن الإمام مالك بن أنس وإن كان أخذ علم الفقه من نافع مولى ابن عمر ﷺ ولكنه تفقه على أبي عثمان ربيعة الرأى بصورة خاصة،

([1]) ذكر البغدادي في كتابه :" الفقيه والمتفقه" عن عبيد الله بن عمرو ، قال: كنا عند الأعمش وهو يسأل أبا حنيفة عن مسائل ، ويجيبه أبو حنيفة ، فيقول له الأعمش : من أين لك هذا ؟ فيقول : أنت حدثتنا عن إبراهيم بكذا ، وحدثتنا عن الشعبي بكذا ، قال : فكان الأعمش عند ذلك ، يقول " : يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة"

([2]) انظرترجمته: تذكرة الحفاظ 175/1، العبر1/ 182، تاريخ بغداد 420/8، سيرأعلام النبلاء، أسماء شيوخ مالك لابن خلفون: ص 83

كان هو من أجلة التابعين في المدينة المنورة، روى عن أنس وغيره من الصحابة، وتربى على أيديهم، وأخذ عنه الإمام مالك ويحيى الأنصاري وشعبة والأوزاعي والليث والأعلام المشاهير في هذه الطبقة، وكان للإمام مالك علاقة خاصة بشيخه ربيعة الرأى حتى إشتهر عند علماء التاريخ والتراجم بلقب" شيخ مالك"، وكان ربيعة ممتازا بالإجتهاد والرأي والقياس والإستنباط وتفريع المسائل الفقهية حتى أصبح لفظ "الرأي" جزءا من إسمه، فلا يعرف إلا بـ"ربيعة الرأي"،

وقال أحمد بن حنبل عنه :" ثقة "، وقال ابن شيبة: "ثقة ثبت، أحد المفتين بالمدينة"، وقال الخطيب البغدادي: " كان فقيها عالما حافظا للفقه والحديث"([1])

كان يدرس بالمسجد النبوي الشريف ويلقي الدروس، وكان من تلامذته الأئمة الأعلام مثل الإمام مالك بن أنس، والحسن البصري، وشعبة، والأوزاعي، والليث المصري، ويحيى الأنصاري، وكانت المدينة المنورة يومئذ تحتضن مئات العلماء والمحدثين والفقهاء، وكانت مهمة الفتوى في المدينة تقتضي دقة وبراعة في العلم ونظرة ثاقبة، وكان ربيعة متحليا بتلك

([1]) قال الذهبي في النبلاء بصدد ترجمته: " وكان من أوعية العلم ، وثقه أحمد بن حنبل ، وأبو حاتم ، وجماعة... وقال يعقوب بن شيبة :ثقة ، ثبت ، أحد مفتي المدينة " ... وقال مصعب الزبيري :كان يقال له : ربيعة الرأي ، وكان صاحب الفتوى بالمدينة ، وكان يجلس إليه وجوه الناس . كان يحصى في مجلسه أربعون معتما . وعنه أخذ مالك بن أنس " سير أعلام النبلاء 90/6

الأوصاف والخصائل، وكان من الأئمة الفقهاء الأجلة الكبار الذين نالوا شرف الإفتاء في مدينة الرسول ﷺ، كان الخليفة منصور الذي عرف بلقب السفاح ولاه القضاء في دار الخلافة، توفى عام 136هـ في " الأنبار " عاصمة الخلافة العباسية الأولى.

وكانت إجتهادات ربيعة وآراءه مقبولة عند الناس، وكان الإمام مالك يذكر أحيانا في مجلسه إجتهادات شيخه ربيعة الرأي، قال بكر بن عبد الله الصنعاني: أتينا مالك بن أنس، فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي، فكنا نستزيده من حديث ربيعة، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة، وهو نائم في ذاك الطاق، فأتينا ربيعة فنبهناه، وقلنا له: أنت ربيعة قال: نعم، قلنا أنت الذي يحدث عنك مالك بن أنس قال: نعم،([1]) وكان الإمام مالك يقول: "ذهبت حلاوةُ الفقه منذ مات ربيعة"([2])

يذكر عنه المؤرخون حكاية عجيبة، أن فروخ والد ربيعة، خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً، وكان ربيعة حملا في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فرس، وفي يده رمح، فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، فقال: يا عدُوَّ الله، أتهجم على منزلي؟ فقال: لا. وقال فروخ: يا عدُوَّ الله أنت رجل دخلت على حرمتي، فتواثبا، وتلبث كُلٌّ

([1])

([2]) قال مطرف بن عبد الله :سمعت مالكا يقول : "ذهبت حلاوة الفقه ، منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن" سير أعلام النبلاء 90/6

واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران. فبلغ مالك ابن أنس والمشيخة، فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا أفارقك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول كذلك، ويقول: وأنت مع امرأتي. وكثر الضجيجُ، فلما أبصروا بمالك، سكت الناسُ كُلُّهم، فقال مالك: أيها الشيخ: لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري، وأنا فروخ مولى بني فلان. فسمعت امرأته كلامه، فخرجت، فقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلفته، وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً، وبكيا، فدخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابني؟ قالت: نعم. قال: فأخرجي المال الذي عندك، وهذه معي أربعة آلاف دينار، قالت: المال قد دفنته، وأنا أخرجه بعد أيام.

فخرج ربيعةُ إلى المسجد، وجلس في حلقته، وأتاه مالك بن أنس، والحسن بن زيد، وابن أبي علي اللِّهْبِيّ، والمساحِقي، وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناسُ به.فقالت امرأته: اخرُجْ صلِّ في مسجد الرسول فخرج فصلَّى، فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاه فوقف عليه، ففرجوا له قليلاً، وَنكَّسَ ربيعةُ رأسَه، يُوهِمُه أنه لم يره، وعليه طويلة، فشكَّ فيه أبوعبد الرحمن، فقال: من هذا الرجلُ؟ قالوا له: هذا ربيعةُ بن أبي عبد الرحمن. فقال: لقد رفع الله ابني. فرجع إلى منزله، فقال لوالدته: لقد رأيتُ ولدك في حالة، ما رأيتُ أحداً من أهل العلم والفقه عليها. فقالت أمُّه: فأيما أحبُّ إليك: ثلاثون

ألف دينار، أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا. قالت: فإني قد أنفقتُ المال كُلَّه عليه، قال: فوالله ما ضيعته، ([1])

وعدد مشايخ الإمام مالك بن أنس قليل نظرا إلى عموم الرغبة في الإكثار من الشيوخ يوم ذاك، ولعل الذين يفضلون كثرة العدد يتعجبون من هذا العدد الضئيل لمشايخ مالك، ولكن لمالك فيه مزية ربما تخفى على الكثيرين،

مزية الإمام في إنتخاب المشايخ:

لقد بدأ عهد التابعين بعد الصحابة ﷺ، وهذا العهد وإن كان عهد الخير والبركة والصدق والعفة والطهارة في السيرة والسلوك بصفة عامة ولكن لم يأت على الإنسان حين من الدهر- ولا يمكن أن يأتي — يكون فيه خاليا من عناصر الشر والشقاء وشوائب الفساد، وكون الزمان شرا أو خيرا أمر نسبي، وعهد الصحابة ﷺ وإن كان عهدا بناءا زاهرا وخير العهود

([1]) قال الذهبي بصدد ذكر هذه الحكاية: " ذكر حكاية باطلة قد رويت" ثم قال بعد ذكرها مفصلا: " قلتُ: لو صح ذلك، لكان يكفيه ألفُ دينار في السبع والعشرين سنة، بل نصفها، فهذه مجازفة بعيدة. ثم لما كان ربيعة ابنَ سبع وعشرين سنة. كان شاباً لا حلقة له، بل الدَّسْتُ لمثل سعيد بن المسيِّب، وعُروة بن الزبير، ومشايخ ربيعة. وكان مالك لم يُولد بعد أو هُو رضيع، والطويلة: إنما أخرجها للناس المنصورُ بعد موت ربيعة، والحسن بن زيد وإنما كبر واشتهر بعد ربيعة بدهر، وإسنادها منقطع. (سير أعلام النبلاء للذهبي)
وأشار المؤلف (سليمان الندوي) في حاشيته بأن أحوال ربيعة كلها مأخوذة من وفيات الأعيان لابن خلكان، وإسعاف المبطأ للسيوطي

والقرون، لكنه لم يكن خاليا من أمثال ماعز الأسلمي والإمرأة المخزومية، بيد أن هؤلاء كانوا أفضل وأشرف من الأخيار الأبرار والصلحاء في العهود المتأخرة في قوة الإيمان والمحبة، والإعتراف بالذنب، والخشية والتقوى، والتوبة والتوجه والإنابة إلى الله تعالى،

وكان عهد التابعين منبع البركة والخير والكمال بالنسبة إلى ما بعده من العهود، ولكنه مع ذلك أيضا لم يعدم الطوائف والفئات الإنسانية المختلفة، كان عشرات من الناس يتعمدون الكذب، وكم كان من الناس يتحدثون في سذاجتهم كل ما يسمعون من رطب ويابس دون التحري في صدق الكلام، ومن ثم يقعون في الكذب لغفلتهم، وكان مئات من الرواة غير الفقهاء الذين لا يعلمون معاني الأحاديث التي يروونها، وكان عدد منهم لا يستطيع أن يميز بين الجيد والردئ، وبين الصحيح والسقيم، وعلى ذلك كله كانت النزعة السائدة يومئذ هي الاهتمام بإشاعة السنة النبوية والإهتمام برواية الأحاديث الشريفة، وكان يعتبر ذلك فخرا وشرفا واعتزازا، ومن ثم كان ينتهز بعض الجهلاء غير المتأهلين هذه الفرصة ويتربعون على مجالس العلم في جنب العلماء المحدثين والفقهاء، وكان الوافدون الذين يأتون من الخارج —وأغلبهم من العراق– لا يعرفون الخبيث من الطيب، فكانوا يستعذبون الملح ويستحلون المر، ويحملون من كل صبرة، ويأخذون من كل أحد دون التحري في الصدق والكذب، وإذا رجعوا إلى بيوتهم كان يزعم

أحد منهم أنه تفقه، ولديه أكبر نصيب في الفقه والعلم، ويكون بما لديه فرحا مسبتشرا،

وكان مدينة الرسول ﷺ التي كانت زاخرة بالعلم وأهله يومئذ موطن الإمام مالك بن أنس، ترعرع مالك في بيئة علمية خالصة وبين العلماء والفقهاء بمدينة الرسول، رأى كل من فيها من العلماء واحتك بهم، وتعرف عليه عن قرب، وكانت لقاءاته مع كل أحد تشتمل أعواما وسنوات، إختبر بضاعة كل أحد، وعرف كل واحد من أهل العلم والحديث والفقه، ومن ثم يستحيل أن يخفى عليه حال الناس، فلا يمكن أن يختفي على "أهل مكة ما بشعابها"، وأحوال غير المتأهلين على أهل البلد،

خصائص مشايخ الإمام مالك:

أخذ الإمام مالك عن العلماء وجهابذة الفن الذين كانوا على قمة من العلم والأهلية، وجلس في حلقات أولئك الأئمة العظام الذين كانوا آية في الصدق والعفة والحفظ والإتقان، والفقه والعرفان، وكان الإمام مالك بن أنس يقول عنه : "ما جالست سفيها قط" ويقول الإمام أحمد بن حنبل: "هذه كانت نعمة من الله بها على مالك بن أنس" وكان مالك يقول دائما: "أدركت سبعين ممن يقول: "قال فلان" و "قال رسول الله ﷺ" عند هذه الأساطين، فما أخذت عنهم شيئا"([1]) وكم من رواة للحديث في المدينة

([1]) أخرجه الغافقي في مسند الموطأ عن ابن أبي أويس ، مسند الموطأ ص: 99 ، تزيين الممالك ص:26

المنورة يتعلم منهم الناس ولكني ما أخذت عنهم، بعضهم يتعمدون الكذب، وبعضهم كانوا لايعرفون شيئا ولا يتفقهون،

فكان الإمام مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة، وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث، ولم يكن أهلا لهذا الشأن، ولم يكن يروي إلا ما صح، ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك،

يروي ابن وهب تلميذ الإمام مالك بن أنس عنه : "سمعت مالكا يقول لقد أدركت بالمدينة أقواما لو استسقي بهم المطر لسقوا، وقد سمعوا من العلم والحديث شيئا كثيرا، ولكني ما أخذت عن أحد منهم، وذلك أنهم كانوا قد ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن يعني الحديث والفتيا يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم، حتى يعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غدا في القيامة، فأما زهد بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به، وليس هو بحجة، ولا يحمل عنهم العلم" ،

ويقول ابن أخت الإمام إسماعيل بن أويس أني سمعت خالي مالك بن أنس يقول: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال فلان، قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين، فما

أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو ائتمن على مال لكان به أمينا، لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن"([1])

يقول مطرف بن عبد الله سمعت مالك بن أنس يقول: "لقد وجدت في هذا البلد كثيرا من العباد الزهاد والأتقياء، فما أخذت عنهم شيئا، سأله الناس عن سببه، فقال: "إنهم حملوا شيئا لم يعقلوه"([2])

لماذا لم يأخذ الإمام عن أهل العراق:

وفي مشايخ الإمام ليس أحد من العراقيين، يروى المحدث الشهير وتلميذ الإمام مالك بن أنس أبومصعب، قيل لمالك: " لما لم تأخذ عن أهل العراق؟ قال رأيتهم يقدمون هاهنا فيأخذون عن أناس لا يوثق بهم، فقلت إنهم هكذا في بلادهم يأخذون عمن لا يوثق بهم"

كذلك يقول شعيب بن حرب، إنه سأل الإمام مالك بن أنس مرة عن عدم أخذه عن أهل العراق يقول : قلت لمالك: ما لكم لا تحدثون عن أهل العراق؟ فأجاب إجابة عقلية وقال:"لم يحدث أولونا عن أوليهم فكذلك آخرونا لا يحدثون عن آخرهم"([3]).

([1]) المصدر السابق

(2) مناقب مالك للزواوي ص:86

([3]) قال الذهبي في ترجمة " أيوب السختياني" : قالوا لمالك: إنك تتكلم في حديث أهل العراق وتروي مع هذا عن أيوب فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا و أيوب أوثق منه " سير أعلام النبلاء ترجمة أيوب السختياني

وكان الإمام مالك بن أنس حينما يريد أن يأخذ عن مشايخ غير المدنيين فيقوم بالبحث والتحقيق والنقد، وكان من مشايخه من أهل العراق المحدث التابعي الشهير أيوب السختياني (ت/311هـ) من البصرة الذي كان من أئمة الحديث الثقات المتقنين، يقول عنه ابن سعد: " كان حجة ثقة ثبتا في الحديث جامعا كثير العلم" واعتبره شعبة "سيد الفقهاء" ووصفه علماء التراجم والرجال "أحد الأئمة الأعلام"

يقول الإمام مالك بن أنس : " رأيت أيوب السختياني بمكة حجتين فما كتبتُ عنه، ورأيته في الثالثة قاعدا في فناء زمزم، فكان إذا ذُكِر النبي ﷺ عنده يبكي حتى أرحمه، فلما رأيت ذلك كتبتُ عنه"([1])

لماذا لم يأخذ الإمام عن جده وعن بعض الفقهاء السبعة:

لما بلغ الإمام رشده كان جده مالك بن أبي عامر حيا، وكان الإمام في السنة الثانية عشر أو الثالثة عشر من عمره، وتوفي سالم بن عبد الله من الفقهاء السبعة عام (106هـ) وكان الإمام في السادسة عشر، توفي سليمان بن يسار سنة 107هـ وكان الإمام في السابعة عشر من عمره، ومن العجب أنه في مثل هذا العمر لم يأخذ الإمام عن هؤلاء مباشرة، يقول هو نفسه وهو يتحدث عن سبب ذلك، أدركت بالمدينة بعض المشايخ أبناء

([1]) ترتيب المدارك

مأة أو أكثر، ([1])، ولكبر سنهم لا تحل الروية عنهم، ولو يأخذ أحد منهم يعاب، لانه يتأثر العقل والحفظ بالكبر والهرم،

ومن أثر هذه الحيطة والحذر والإهتمام بالنقد والتمييز أن الشيخ الذي كان يأخذ عنه الإمام مالك يعتبر عند علماء التراجم والرجال ثقة عدلا حافظا، كأن رواية الإمام مالك كفى بالمروي عنه ثقة وثبتا وعدلا، وكان يحي بن معين إمام الجرح والتعديل يقول: أين نحن من مالك بن أنس، !! نحن نتتبع آثار الإمام مالك، وننظر إلى الشيخ، إن كتب عنه وإلا تركناه،([2])

سئل أحمد بن حنبل عن أحد من رواة الحديث، فقال: هو ثقة لأنه أخذ عنه مالك بن أنس، ([3])

---

(1) قال أشهب سمعت مالك يقول: أدركت بالمدينة مشايخ أبناء مأة، أو أكثر، فبعضهم قد حدثت حديثه، وبعضهم لم أحدث بأحاديث عنهم، لأنهم لم يكونوا ثقاة فيما حملوا إلا أنهم حملوا شيئا لم يعقلوه" مناقب مالك للزواوي ص: 86

([2]) مقدمة إسعاف المبطا للسيوطي، وأخرج الغافقي عن يحيى بن معين قال: قال سفيان بن عيينة: من نحن عند مالك، إنما كنا نتتبع آثار مالك، وننظر الشيخ إن كان مالك كتب عنه، وإلا تركناه" تزيين الممالك ص:28 مسند الموطأ ص 100

(3) وقال الأثرم: سألت أحمد بن حنبل عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، فقال يزين أمره عندي أن مالكا روى عنه. وقال أبو سعيد بن الأعر ابي: كان يحيى بن معين يوثق الرجل لرواية مالك عنه. سئل عن غيرواحد، فقال ثقة روى عنه مالك" مقدمة إسعاف المبطا

اعتراف الأساتذة والمشايخ بفضل الإمام:

وكان الإمام مالك بن أنس قوي الحفظ حسن الذاكرة، حاد الذهن، كان يقول عن نفسه : "ما استودعت قلبي شيئا فنسيته"،([1])

وكان الناس يعترفون بذلك، يقول أبوقلابة : " مالك أحفظ أهل زمانه" ([2])

ذهب الإمام يوما إلى حلقة الإمام الزهري مع شيخه ربيعة الرأي، يقول حسين بن عروة عن مالك: قدم علينا الزهري، فأتيناه ومعه ربيعة، فحدثنا نيفا وأربعين حديثا، قال: ثم أتيناه الغد، فقال: أنظروا كتابا حتى أحدثكم منه، أرأيتم ما حدثتكم به أمس، أي شيئ في أيديكم منه،؟ فقال له ربيعة: ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس، قال: ومن هو؟ قال : "ابن أبي عامر"، قال: هات، فحدثته بأربعين حديثا منها، فقال الزهري: ما كنت أقول بقي أحد يحفظ هذا غيري"([3])

قلما اجتمع شوق العلم والرغبة في تحصيله والحرص عليه والفراغ لأحد في تاريخ الأعلام وتراجم الرجال، لقد جاء على الإمام البخاري رحمه الله ثلاثة أيام لم يجد فيها إلا الأعشاب، وهي قصة مشهورة من حياته،

---

(1) تذكرة الحاظ للذهبي ترجمة مالك

(2) تزيين الممالك ص 29 مسند الموطأ 108

(3) تزيين الممالكً ص 30، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (1/ 71)

كذلك الإمام مالك بن أنس لم يتخلف في مسيرة الصبر على الشدائد والمرائر في تلقى العلم، حتى اضطر مرة إلى بيع جذوع السقف للبيت، وصمد في طريق العلم صابرا محتسبا،([1])

وكان يقول الإمام: " لا يبلغ أحد ما يريد من هذا العلم حتى يضربه الفقر ويؤثره على كل حال"([2])

ولم يخرج الإمام من المدينة المنورة ما عدا موسم الحج، فلا يذهبن بأحد أجنحة الخيال إلى مسارح الظنون أن الإمام لم يكابد شدائد السفر ولم يواجه معاناة الطلب في سبيل العلم، أو لم يلق تعبا وعناء في طلب العلم،

لقد روى ابن سعد في "الطبقات" عن مالك بواسطة، يقول: إني كنت أخرج في الظهيرة بلا ظل إلى بيت شيخي نافع لتلقى العلم عنه عند البقيع، وكان يسكن الفقيه ابن هرمز خارج المدينة المنورة كنت أخرج إلى بيته صباحا وأعود مساء" ([3])

---

(1) أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ترجمة مالك بن أنس

(2) تزيين الممالك ص 36 / الحلية لأبي نعيم (331/6)

(3) طبقات ابن سعد، قال ابن سعد: حدثنا مطرف بن عبيد الله اليساري: قال : حدثنا مالك بن أنس قال: كنت آتي نافعا مولى ابن عمر نصف النهار، وما يظلني شيئ من الشمس، وكان منزله بالبقيع، وكان حدا، فأتحين خروجه، فيخرج فأدعه ساعة، وأريه أني لم أرده، ثم أتعرض له فأسلم عليه، ثم أدعه، حتى إذا دخل البلاط أقول: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا، فيقول: كذا وكذا، فأخنس عنه، وكنت آتي ابن هرمز بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل، وكان من الفقهاء" الطبقات436/1، تزيين الممالك ص: 26

حلقة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

وكان من أخص مشايخ الإمام مالك في الحديث الشريف نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الذي عرف من عادته الشريفة أنه كان أكثر الصحابة تتبعا لسنن رسول الله ﷺ، وكان هو من أعلم الناس بالسنة في زمن الصحابة، وكان من رأي بعض الصحابة عند نشوب الخلافات الشديدة أن يتولى أمر الخلافة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقال عبد الله بن عمر بهذا الصدد : "لا أريد الخلافة التي يهراق فيها قطرة من دماء المسلمين"،

وقد روي عن عدد من الصحابة أنه تغير كل أحد بعد إلتحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى سوى عبد الله بن عمر، وعاش عبد الله بن عمر بعد وفاة النبي صلى الله وسلم مرجعا في الحديث والفقه والإفتاء في مدينة الرسول،

حلقة نافع:

وأما نافع تلميذ خاص لعبد الله بن عمر المعروف بـ " مولى ابن عمر" فقد لازمه ملازمة الغريم لصاحبه، كان ملازما له في حله وترحاله، في قيامه وقعوده، في ليله ونهاره، في خلواته وجلواته، واشتهر بعده خلفا صالحا صادقا لعبد الله بن عمر، توفي سنة 117هـ، وقد إستفاد الإمام مالك بن أنس منه حوالى 12/ سنة،

حلقة الإمام مالك بن أنس:

ولما توفي نافع مولى ابن عمر فخلفه الإمام مالك بن أنس، فكان خير خلف لخير سلف، يقول شعبة رأس المحدثين بالكوفة: "أتيت المدينة بعد موت نافع بسنة فإذا الحلقة لمالك بن أنس"([1])

ويظهر من ذلك أن الإمام تولى الحلقة وجلس للفقه والإفتاء سنة 117هـ، وكان مجلس الإمام مالك بن أنس يتزين بالنمارق المطرحة والسجاد الغالية الجميلة،([2])

وكان يجلس على ضجاع له للإملاء، وتوضع المراوح للجالسين في مجلسه، وتوضع المجمرات ليتعطر المجلس بالعود والبخور عند إملاء الحديث النبوي الشريف، وكان غاية في النظافة والطهارة، حتى تضايقه تبنة في مجلسه، وكان إذا أراد الحديث توضأ أو اغتسل، سرح لحيته ، ولبس ما عنده من ثياب فاخرة، وتعطر، ثم يتمكن من الجلوس بهيبة ووقار، ([3])

([1]) تذكرة الحفاظ ترجمة مالك، و انظر: تزيين الممالك لسيوطي ص: 30 و أخرجه أبو نعيم في الحلية (319/6)

(2) ذكر السيوطي في التزيين: " وكان مالك يجلس في منزله على ضجاع له، ونمارق مطرحة يمنة ويسرة في سائر البيت لمن يأتيه من قريش والأنصاروالناس، وكان مجلسه مجلس وقار وحلم، وكان مالك رجلا مهيبا نبيلا، ليس في مجلسه شيئ من المراء واللغط ، ولا رفع صوت، " تزيين الممالك عن ابن سعد ص : 34

([3]) أخرج أبو نعيم عن ابن أبي أويس قال: كان مالك إذا أراد الحديث توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرح لحيته، وتمكن من الجلوس بوقاروهيبة، ثم حدث ، فقيل له في ذلك،

وكان يجلس الناس في حلقته بأدب ووقار وتواضع، وقد جاء إليه الإمام أبوحنيفة مرة فجلس إليه بأدب ووقار، وحينما يجلس الإمام مالك بن أنس يعلوه الوقار والهيبة، ويسود في المجلس صمت وسكوت، ويجلسون كأن على رؤوسهم الطير،

يقول الشافعي: "نحن لا نقلب الصفحة مخافة أن يكون لها دوي، لو يمر أحد بمجلسه يظنه قصر الأمراء والملوك، لما يراه من روعة وبهاء وعظمة ومهابة للمجلس، ويملأ رعبا ومهابة جمع حاشد لطلبة الحديث، وازدحام المستفتين، والعلماء، وكثرة الزوار، وجلوس الناس حول الإمام بأدب وتواضع، وكثرة المطايا على بابه، مربه أحد من الشعراء فأنشد:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان ([1])

فقال إني أعظم حديث رسول الله ﷺ، فلا أحدث به إلا على طهارة متمكنا" تزين الممالك ص 38 وعن مطرف بن عبد الله قال: كان مالك إذا حدث عن رسول الله ﷺ إغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا، ثم يحدث" تزين الممالك عن مسند الموطأ ص:38 ، وعن أبي مصعب قال: كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على الطهارة إجلالا لحديث رسول الله ﷺ" نفس المصدر ص: 38

(1) تزين الممالك ص 39، قال السيوطي : أخرج الخطيب : قال عمرو بن عثمان بن أبي تباعة الزهري : دخل شاعر على مالك بن أنس فمدحه بقوله: (ذكر بيتين) ، وذكره ابن عبد البر في الإنتقاء ص 45 ولكنه قال: " ومما رثى به مالك رحمه الله قول عبد الله بن سالم الخياط، ذكره محمد بن الحسن بن زبالة عنه" ثم ذكر بيتين،

لم يكن الإمام مالك ملكا من الملوك أو أميرا من الأمراء ولكن يخر له الأمراء ويخضع لسلطانه الملوك، أراد الإمام الشافعي من والي المدينة المنورة وطلب منه أن يشفع له عند الإمام مالك بن أنس، فأجاب : أنى لنا ذلك!!

ولما قدم هارون الرشيد ورغب في أن يسمع الموطأ من الإمام، فقال له الإمام: غدا سيكون موعد له، وظل هارون الرشيد منتظرا أن يأتي إليه الإمام نفسه، وبقي الإمام في مجلسه يملي ويدرس، سأله هارون الرشيد عن عدم الإستجابة لرغبته، فقال له الإمام: "العلم يزار ولا يزور" فحضر هارون الرشيد مجلسه، ولم يكن عند الإمام تخصيص لأحد دون أحد، لما أراد هارون الرشيد أن ياتي إلى منزله ليسمع منه، طلب منه أن يخرج الناس حتى يقرأ هو عليه، فقال له مالك: "إن العلم إذا منع منه العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة" ([1])

سبحان الله، كيف كانوا يجلون العلم ويحترمونه، لله درهم!!

(1) قال ابن العماد في شذرات الذهب: "قام الرشيد يمشي مع مالك إلى منزله يسمع منه الموطأ، فأجلسه معه على المنصة، فلما أراد أن يقرأه على مالك، قال لي : تقرأه علي؟ قال: ما قرأت على أحد منذ زمان،قال فيخرج الناس حتى أقرأه عليك، فقال : "إن العلم إذا منع منه العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة" فأمر معن بن عيسى القزازليقرأه عليه، وقال مالك لهارون : يا أمير المؤمنين! أدركت أهل العلم ببلدنا وأنهم يحبون التواضع، فنزل هارون عن المنصة، وجلس بين يديه، وسمعه " شذرات الذهب (291/1)

آداب الدرس في مجلسه:

وكان من عادة الإمام أنه لا يحدث خارج المسجد النبوي أو خارج مجلس العلم، أراد مهدي وهارون الرشيد أن يحدث الإمام في القصر الملكي، فرد الإمام ذلك ولم يقبل، وكان من غاية أدبه وتوقيره للحديث أنه كان لا يحدث وهو يشتغل بغيره، أو يكون في الطريق أو يكون على عجل، لأن ذلك يخالف أدب العلم والطلب، والأصل في الأخذ والسماع للحديث أن يكون مع الفهم وحضور القلب،([1])

فكان يجتنب الإمام عن كل ما يخل بالطمأنينة والفهم، وكان من الممنوع عنده رفع الصوت في مجلس الحديث، وكان الخليفة "منصور" يناقش مع الإمام مرة في المسجد النبوي إذ رفع صوته، فزجره الإمام وقرأ عليه هذه الآية: " لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي" ([2])

([1]) قال السيوطي في التزيين: " كان يكره أن يحدث في الطريق هوه قائم، ويستعجل، فقال: أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ" تزيين الممالك ص 38 قال مطرف: "كان مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية، فتقول لهم،يقول لكم الشيخ:تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا:المسائل، خرج إليهم و أفتاهم، وإن قالوا : الحديث، قال لهم: إجلسوا ، ودخل مغتسله، فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا، وتعمم ووضع على رأسه قلنسوة طويلة" الإمام مالك / تقي الدين الندوي نقلا عن المدارك (13/2)

(2) عن معن بن عيسى قال: إذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره، وقال: قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله وسلم" تزيين الممالك ص 36 ، أسنده الحافظ ابن الصلاح في معرفة علوم الحديث ص(240) من كلام إسماعيل بن أويس

وكان من عادته أنه كان يجلس بعد صلاة الصبح إلى طلوع الصبح ويشتغل بالوظائف والأحزاب اليومية، ويأتي إليه الناس بعد الطلوع، فيقبل إلى الناس، ويسألهم عن أحوالهم،ثم يبدأ الدرس ولا يجيب إلا الحديث بعد الحديث ([1])

وفي مجلسه يدنوا منه أولوا الأحلام، ثم يجلس إليه الناس على قدر مراتبهم في الحفظ والقوة، وكان الإمام يقول : ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى، يملي بوقار وطمأنينة، يبدأ بالحديث الثاني بعد الإنتهاء من قراءة الحديث الأول،([2]).

بنحوه، وذكر القاضي عياض بسنده: إن أبا جعفر المنصور ناظر مالكا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فان الله عزوجل أدب قوما فقال: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) ومدح قوما فقال: (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ألئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وذم قوما فقال: (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) وإن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان لها أبوجعفر" مناقب مالك للزواوي ص: 77

(1) عن سعيد بن جهم قال: كان مالك إذا صلى الصبح جلس في مجلسه لايتكلم ولا يكلمه أحد حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت إنتقل إلى حلقته، فقال: السلام عليكم، ثم يقبل على طليب- يعني صاحب له- وهوعن يمينه، فيقول: كيف أصبح أبو خالد؟ فيقول : بخير أصلحك الله، فكان هذا شأنه في كل يوم" تزيين الممالك ص : 37

(2) ذكر السيوطي في التزيين، قال : عن إسماعيل بن أبي أويس قال: كان مالك إذا جلس للحديث يقول: ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى، فربما قعد القصي عن يمينه" تزيين الممالك ص: 38

منهج الإمام في الدرس:

وكانت مناهج الدرس عند أئمة الحديث مختلفة في مجالسهم وحلقاتهم، وكان من عادة عامة المشايخ أنهم كانوا يجلسون أو يقومون على مكان عال مشرف، ويجلس تلامذتهم وطلبة الحديث حول الشيخ بأقلامهم وأوراقهم، ويقرأ عليهم الشيخ إما عن حفظه أو يملي عن جزئه ، ويكتب الطلبة عن الشيخ، وإذا كان في المجلس عدد كبير من الطلبة فيقوم المستملي على مرأى من الشيخ ومسمع منه، ويملي من كلمات شيخه، ويستخدم الإمام مالك هذا المنهج في حلقته، وكان ابن علية تلميذ الإمام النابغ مستمليا للإمام،

وكان منهج مشايخ المدينة المنورة أنهم كانوا يكتبون مروياتهم وفتاويهم وتعليقاتهم أو يأمرون أحدا من تلاميذهم النابهين بأن ينسخ ذلك، ثم يقرأ الكاتب عن الأجزاء المكتوبة في المجلس التي نسخها، ويشرح الشيخ فينا بعد فين، وإذا أخطأ الكاتب فتح عليه، وكان ابن حبيب الذي كان من كبار المحدثين كاتبا للإمام مالك بن أنس، ويقرأ أحيانا في مجلسه معن بن عيسى وغيره، ولأجل ذلك نجد بعض تلامذة الإمام مثل يحيى ، يقول : "قرأت على مالك" فضلا عن "حدثنا مالك" أو " أخبرنا مالك"

وكان الإمام مالك بن أنس يلتزم بهذا المنهج بشدة، حتى خرج من مجلسه مرة يحيى بن سلام، وسخط على الإمام أنه لا يقرأ هو عليه بنفسه، بل يقرأ تلامذته، وأين يحيى من هارون الرشيد الخليفة؟ !! طلب من الإمام

مالك أن يقرأ الإمام على المأمون والأمين إبني هارون، فأجاب الإمام وعد أسماء مشايخ المدينة المنورة وقال: أدركت بهذا البلد عددا من المشايخ على هذا المنهج، ويا للعجب!! أن المنهج الذي أصر عليه هؤلاء لقد أصبح هو اليوم منهجا متبعا في المدارس الإسلامية!

ميزة هذا المنهج:

ومهنج مشايخ المدينة المنورة هذا أفضل المناهج وأحوطها لعدة وجوه، منها: إذا كان الكاتب نسخ أولا ثم أملاه عن جزئه فتكون فيه صحة النص، والثقة بها وطمأنينة القلب أكثر من غيره، بل ربما يجلس الشيخ للدرس فيمكن أن تتزعزع ثقته أحيانا إما لكثرة الناس حوله، أو للعجلة، أو لأي سبب آخر، فتقع مسامحات وأخطاء دون أن يتنبه إلى ذلك،

والسماع من التلميذ وأن لا يقرأ المحدث نفسه أحسن وأنفع، لأنه يقع كثيرا أن الإنسان حينما يقرأ تأليفه بنفسه ويراجعه بنفسه فلا يدرك نظره أخطاء نفسه، ويثق بصحة النص والألفاظ رغم كونه غير صحيح أحيانا، بيد أن شخصا آخر لما يقرأه يقف عند كل حديث و عند كل حرف، بل ربما يقرأ كل سطر مرارا، ومن ثم يتنبه المحدث الشيخ إلى ما وقع من نسيان أو خطأ أو تغيير كلمة، فيصحح ويبدل ويغير حسب المقتضى،

وأهم من ذلك كله أن المحدث حينما يسمع من الكاتب فأحيانا يشرح الغريب، ويفصل الغموض، ويبين ويستنبط، فلا يختلط الحديث بغيره، ولا يشتبه على الطلبة الذين لا يستطيعون التمييز بين شرح الشيخ لغريب أو بيان أو استنباط رأي، ومن هنالك كان منهج الإمام مالك أحفظ وأحوط وأوثق، كان يقرأ كاتبه والإمام يبين ويشرح ويستنبط، فيأخذ الطالب الحديث ومعناه، ويعرف الفرق بين حديث الرسول واجتهاد الشيخ،

صيت مجلس الإمام في العالم:

وقد حظي مجلس الإمام ببعض الخصائص والميزات الهامة، منها : أنه كان في مهد الإسلام ومهبط الوحي، المدينة المنورة التي ظلت هي مركزا للعلوم والثقافة الإسلامية، ومحط الرحال للعلماء، ومهوى أفئدة الناس،

كذلك كانت أسرة الإمام منارة العلم وممتازة بالعلم والحديث والفقه من أول يومها، وإضافة إلى ذلك لقد منح الله الإمام المواهب والقدرات والخصائص الشخصية من الحفظ والإتقان والفهم والفقه مالم تتوفر لغيره،

ومن ثم ذاع صيته في العالم الإسلامي من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وطبقت شهرته الآفاق، وأصبح مجلسه مرجعا للخلائق ومركزا جامعا شاملا لأهل العلم والفقهاء على اختلاف المذاهب والبلدان وتنائي الديار،

الشمول الجغرافي:

لقد نرى في الشخصيات الذين أخذوا عن الإمام مالك الشمول الجغرافي من أقصى العالم الإسلامي إلى أدناه، إتصلت حدود "سيستان" الناحية الشرقية من الدولة الإسلامية في القرن الثاني، وحدود "قرطبة" الجانب الغربي للدولة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد اتجه إلى المدينة المنورة القوافل المستمرة لطلاب العلم والحديث، وضربوا إليها أكباد الإبل من "آسيا" و "إفريقية" و "أوربا" القارات الثلاثة المعروفة، وتدفقوا منها للإستفادة من إمام دار الهجرة،

ففي الجزيرة العربية جاء إليه طلبة العلم والحديث من : "المدينة المنورة"، و"مكة المكرمة" و"صنعاء"، و"ايلة"، و"سيراف"، و"عدن"، و"طائف"، و"اليمامة"، و"هجر"، و"حضرموت"،و "زبيد"، و"فدك"، و"بلقا" من البلدان المختلفة.

ومن دول الشام: "الشام" ، و"دمشق"، و"عسفان"، و"خلاط"، و"مصيصة"، و"بيروت"، و"حمص"، و"طرسوس"، و"رملة"، و"نصيبين"، و"حلب"، و"بيت المقدس"، و"الأردن"، و"صور"، و"انطاكية" من بلاد الشام المباركة.

ومن العراق: "بغداد"، و"البصرة"، و"الكوفة"، و"حران"، و"الموصل"، و"الجزيرة"، و"واسط"، و"أنبار"، و"الرقة"،

ومـن العجـم: "جرجـان"، و"كرمـان"، و"همـدان"، و"الـرى"، و"الطالقـان"، و"النيشـابور"، و"طبرسـتان"، و"الطـوس"، و"المـدائن"، و"قـزوين"، و"قوهسـتان"،و"صـنعان"، و"كردسـتان"، و"دينـور"، و"السجستان"،

ومـن بـلاد الأتـراك: "الهـراة"، و"بخـارى"، و"سمرقنـد"، و"خـوارزم"، و"مرو"، و"سرخس"،و"ترمذ" ، و"بلخ"، و"نسأ"،

ومـن مصـر: "مصـر"، و"الإسـكندرية"، و"فيـوم"، و"اسـوان"، و"تينس"

ومـن بـلاد إفريقيـا: "إفريقيـة"، و"تيـونس"، و"قـيروان"،و"برقـه"، و"طرابلس"، و"المغرب"، و"مراكش"،

ومـن الأنـدلس: "طليطلـة"، و"سـبطة"، و"باجـة"، و"قرطبـة"، و"سرقسطة"، و"إيطاليا"، و"سسلي"،

ومن آسيا: "ازمير"، ([1])

وفد إليه طلبة العلم من هذه البلاد المختلفة النائية، وحضروا إليه ليأخذوا العلم في مدينة الرسول من عالمها ([1])

([1]) ذكر الخطيب البغدادي أسماء تلامذة الإمام الذين أخذوا عنه، وذكرهم السيوطي في التزيين، وهنا ذكرت أسماء بلدانهم ومو اقعهم (المؤلف)

وصدق في شخصية الإمام مالك بن أنس ما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، و تنبأ به، أخرج الترمذي وابن حبان والطبراني عن أبي هريرة والحاكم عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل، فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة"، اللفظ للترمذي، وقال هذا حديث حسن،([2])

وحينما ننظر في جميع التلامذة وعداد المستفيدين من الإمام وأسماءهم نقطع بنان العجب، أنه كيف قام شخص واحد بمثل هذه الأعمال الجليلة، وأفاد ما أفاد، وأنجز منها ما لا تنجزه الجامعات.

---

(1) قال السيوطي: " الحظ الذي حصل لمالك ممن روى عنه لم يحصل قط لغيره، فإنه روى عنه الأكابر من كل طائفة من حفاظ الحديث والفقهاء خلائق كثيرون، ومن أئمة المذهب المتبوعين: أبوحنيفة، والشافعي، والأوزاعي وسفيان الثوري ومن الخلفاء : أمير المؤمنين المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، والأمين والمأمون ، ومن أقرانه جماعة، ومن شيوخه جماعة، منهم: الزهري،ويزيد بن عبد الله بن الهاد، وربيعة ويحيى بن سعيد" تزيين الممالك ص: 83

(2) رواه الترمذي في سننه في كتاب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة، الحديث: 2680، وقال: هذا حديث حسن، وهو حديث ابن عيينة، وقد روي عن ابن عيينة أنه قال في هذا: من عالم المدينة؟ فقال : إنه مالك بن أنس، وقال اسحاق بن موسى: سمعت ابن عيينة يقول : هو العمري عبد العزيز بن عبد الله الزاهد، وسمعت يحيى بن موسى يقول: قال عبد الرزاق: هو مالك بن أنس" انتهى كلام الترمذي، رواه ابن حبان في صحيحه (53/9) وراه النسائي من حديث ابي هريرة ولفظه: " يضربون أكباد الإبل يطلبون العلم" السنن الكبرى الحديث (4291) وروى الحاكم من حديث أبي موسى، ولفظه: يخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة" عوالي أنس بن مالك لأبي أحمد الحاكم، (1/ 55) وعقد السيوطي بابا في تزيين الممالك بـ" فصل في تبشير النبي صلى الله عليه وسلم بالإمام مالك" ص 50

تلامذة الإمام مالك بن أنس

كيف كانت مدرسة الإمام مالك بن أنس؟ وماذا كان مدى تأثيرها ونفوذها؟ يظهر ذلك جليا من تلامذته الذين تخرجوا فيها، لقد تخرج فيها شخصيات كانوا عباقرة الزمان، ونوابغ الدهر، الذين قاموا بجلائل الأعمال في نشر العلوم والحديث والفقه، وعم أثر مدرسته في أقاصي البلاد عن طريق تلامذته ومسترشديه، قال الذهبي: "وحدث عنه أمم لا يكادون يحصون "([1])

وكان من تلامذته بعض من أخذ عن غيره من العلماء، وكذلك نجد في عداد المستفيدين منه بعض مشايخه الذين روى عنهم نفسه، يقول الإمام مالك: "ما أحدا أخذت عنه إلا سألني" ([2])

خصائص تلامذته:

لقد كان للإمام مالك مزايا عديدة من ناحية تلاميذه ومسترشديه لم تحصل لغيره من الأئمة والمحدثين، لقد أخذ عنه وتخرج في مدرسته وتلمذ على يديه عدد كبير من أهل العلم، ولم يتخرج هذا العدد الهائل من الطلبة،

([1]) تذكرة الحفاظ للذهبي ترجمة مالك،

(2) قال السيوطي في التزيين: أخرج أبو الحسن بن فهر في "فضائل مالك بن أنس" عن محمد بن إبراهيم بن دينار قال: قال مالك بن أنس ما أحدا أخذت عنه إلا قد سألني" وأخرج ابن وهب قال: حدثني مالك قال: قلما رجل كنت أتعلم منه ما مات حتى كان يجيئني فيستفتيني، منهم ابن شهاب" ص 50

والأئمة الكبار العباقرة والمشاهير في أي مدرسة من مدارس المحدثين والفقهاء سوى مدرسة الإمام مالك بن أنس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم، وكان لتلاميذ هذه المدرسة أربع خصائص ومزايا،

1- **كثرة عدد التلاميذ** : خرجت مدرسة الإمام مالك بن أنس عددا كبيرا هائلا من التلاميذ وطلاب الحديث، وهم أكثر من 1300/ شخص، ونحن نعرف أن عدد تلاميذ الإمام البخاري 90000/ طالب وفق ما روى الفربري، ولو ننظر إلى الأوصاف والخصائص بين تلاميذ البخاري وتلاميذ مالك، فلا يعدل هذا الجمع الحاشد الذي يشتمل على تسعين ألف من العامة والخاصة تلك النخبة المختارة من 1300 / شخصا، الذين كان كل واحد منهم إماما متضلعا في علمه وفنه، ومتقنا ثبتا في الحديث والفقه، سوى أربع أو خمسة أشخاص، وهو عدد زهيد لا يعبأ به،

2- **الشهرة والمعرفة**: ونحن لا نعرف أحوال تسعين ألف شخص من جميع الرواة العامة عن الإمام البخاري وتلاميذه، ماذا كانت أسماءهم؟ وأماكنهم، ؟ وصفاتهم ومكانتهم ؟ بيد أن تلاميذ الإمام مالك هم معروفون إسما ووصفا وجرحا وتعديلا، لقد عد وجمع أسماءهم أبوبكر الخطيب البغدادي، وابن بشكوال الأندلسي، والقاضي عياض، وشمس

الـدين الدمشـقي، وذكـرهم السـيوطي ورتبهم علـى حـروف المعجـم في التزيين،([1])

3- **الشـمول الجغـرافي** : ونرى أنه لا يوجـد الشـمول الجغـرافي عنـد تلاميـذ المحدثين مثل الإمام مالك بن أنس، فإن مدرسته جمعت طلبة العلم من أقصى العالم الإسلامي إلى أقصاه، وقد ذكرنا أسماء بلادهم وأماكنهم، لقـد إسـتفاد العـرب والعجـم مـن أبي حنيفـة النعمـان، وانتشـر تلاميـذه فيهمـا، ولكـن استغنت عنـه " الإفريقيـا" والأنـدلس" وعـم علـم الإمـام الأوزاعي في الأندلس وانتشر فيها، ولم يصل منه شيئ إلى العجم، وأما مالـك بـن أنـس فشـمل علمـه وعـم فيضـه في المنـاطق المترامية الأطـراف والبلاد النائية، ولم يترك الغيث العميم من علمه وفقهه أي قطعة أرض إلا أفاض عليها،

4- **الفضل والكمال**: لقد كان كل واحد من تلاميذ الإمام إماما في علمه وفنه، وأهـم خصـائص تلاميذه والـتي هـي أفضـل عنـدنا مـن كثـرة العـدد والشـمول الجغـرافي هـو فضـلهم ومكـانتهم العلميـة السـامية، وكمـالهم وإتقـانهم، وهـذه الميـزة كانـت منحـة ربانيـة ونعمـة مـن الله الـتي قـدرها الله

([1]) لقـد ذكـرهم السـيوطي في التزيين مرتبـا لهـم على حـروف المعجـم، ملخصـا مـن كتـاب الخطيب البغـدادي، وعـدهم ألـف رجـل إلا سـبعة عشـر، ثم قـال في النهايـة، " هـذا مـا أورده الخطيب في كتابه ، وقد فاته جماعة كثيرون" تزيين الممالك ص: 50

وألـف الخطيب كتابـا " الـرواة عـن مالـك بـن أنـس وذكـر حـديث لكـل منهم " في تسـعة أجـزاء، وذكـر ابن خير الإشـبيلي في فهرسته : أنه مبوب على حروف المعجم"

سبحانه لعالم المدينة، يمتاز بذلك الإمام مالك عن غيره من الأئمة والمحدثين،

فمن تلاميذه: الأئمة المتبوعون والأعلام المشاهير الذين اعترفت الدنيا بفضلهم ونبوغهم، ومنهم بعض مشايخه: إمام المحدثين مُحَمَّد بن شهاب الزهري، والإمام الصادق جعفر بن مُحَمَّد، وإمام الحديث يحيى بن سعيد الأنصاري التابعي، وإمام القراء نافع بن أبي نعيم، وهشام بن عروة فقيه المدينة المنورة، والإمام أبوحنيفة النعمان، والإمام مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، وناقد الحديث إمام الجرح والتعديل يحيى بن سعيد القطان، وسفيان الثوري إمام الكوفة، والإمام الأوزاعي فقيه الكوفة، والإمام مُحَمَّد بن الحسن الشيباني، والقاضي أبويوسف، ووكيع بن الجراح، وابن أبي ذهب فقيه المدينة المنورة، وشيخه عبد الله بن دينار، وإمام الحديث سفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك إمام خراسان، وعبد الرحمن بن القاسم فقيه مصر، وليث بن سعد إمام مصر، وشيخ المحدثين سليمان الأعمش، وشيخه أيوب السختياني، وزبير بن بكار إمام الحديث، وشعبة بن الحجاج الحجة في الحديث، وإمام السير والمغازي موسى بن عقبة، وعبد الرحمن بن مهدي، وابن جريج وغيرهم من الأئمة الكبار وأعلام الحديث والفقه، كلهم إستفادوا وأخذوا عن عالم المدينة مالك بن أنس، بيد أن كل أحد منهم إمام متضلع في علمه وفنه، وحاكم مستقل في سلطانه،

الشرائح المختلفة من تلامذة الإمام:

ومن أعجب وأهم خصائص المتخرجين في مدرسة مالك أنها كانت تضم أنواعا من الناس، والطبقات والشرائح المختلفة، ومما يقطع منه بنان العجب أن هذه الجهات المختلفة والطبقات المتنوعة من الناس كيف تتحد وتتفق على ملتقى واحد !!

الخلفاء:

فمن الخلفاء الذين أخذوا عن عالم المدينة: أبو جعفر المنصور، ومهدي، وموسى، والهادي، وهارون الرشيد، ومُحَمَّد الأمين وعبد الله المأمون إبنا هارون الرشيد،

أمراء البلاد:

ومن الأمراء كان حسن بن المهلب الشيباني أمير خراسان، عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان الأموي، وهاشم بن عبد الله أمير برقة (إفريقية)

التابعون ومشايخه:

ومن التابعين والمشايخ : مُحَمَّد ابن شهاب الزهري، يحيى بن سعيد الأنصاري، مُحَمَّد بن عبدالرحمن أبوالأسود، وشعبة، ونافع ،وجعفر الصادق، وهشام بن عروة، وربيعة الرأي، وأبوسهيل نافع، سفيان الثوري، وحماد،

وأيوب السختياني،ومُحَمَّد بن المطرف أبوغسان، وعبد الله بن دينار، ويزيد بن عبد الله وغيرهم،

أئمة الحديث:

ومن أئمة الحديث : مُحَمَّد بن عجلان، وحيوة بن شريح، وسلام التيمي، ويحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن بكير، ويحيى المصمودي، وزيد بن أسلم، ووهيب بن خالد، وابن أبي ذئب، ووكيع بن الجراح، ووليد بن مسلم الدمشقي، وخالد إمام خراسان، ومسلم بن خالد الزنجي، وسليمان الأعمش، وزبير بن بكار، وابراهيم إمام "مصيصه "، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وابن لهيعة، وعبد الرحمن بن المهدي، وعبدالعزيز بن مُحَمَّد الدراوردي، وأبونعيم فضل بن دكين، وعبد الملك بن جريج، وعبد الرزاق بن الهمام، وليث بن سعد، وشيخ الإسلام مُحَمَّد بن المبارك، وهيثم بن جميل محدث انطاكية، وقتيبة بن سعيد محدث خراسان، والحافظ أبومُحَمَّد الزهراني، وسليمان بن داؤد الطيالسي، ومعن بن عيسى، وأبو مصعب الزبيري، وأبوحذافة السهمي، وغيرهم

الأئمة المجتهدون:

ومن الأئمة المجتهدين الفقهاء: الإمام أبوحنيفة النعمان، والإمام مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، وأبويوسف، وابن القاسم المالكي، ومحد بن الحسن الشيباني،

الفقهاء:

حسن بن زياد صاحب أبي حنيفة، وعبد الله بن وهب مفتي مصر، وأبوعمر، وأشهب فقيه مصر، وأسد بن الفرات فقيه" إفريقية"

القضاة:

وكان من القضاة : ابراهيم بن إسحاق قاضي مصر، وأيوب بن سويد قاضي "سرو" وأسد بن عمر القاضي، وأحرم بن حوشب قاضي همدان، وداؤد بن منصور قاضي "مصيصه" وشريك بن عبد الله القاضي، وشجرة بن عيسى قاضي قيروان، وعبد الله بن عمرو بن الغانم قاضي إفريقية، ويحيى بن بكير قاضي كرمان، وابن أشرس العمري قاضي طرسوس، ومُحَمَّد بن عبد الله الكناني قاضي افريقية، وأسد بن الفرات قاضي "سسلي" إيطاليا، وزياد بن بسيط قاضي طليطلة، ومُحَمَّد بن سعيد قاضي "باجة" في الأندلس،

الزهاد والصوفية:

ومن الصوفية وأهل التزكية والزهد: ابراهيم بن الأدهم، وأبونصر بشر بن الحارث الزاهد، وثابت بن مُحَمَّد الزاهد الكوفي، وحسن بن الحسين بن عطية الصوفي، وذوالنون المصري، وكارح بن رحمة الزاهد، ومُحَمَّد بن الفضيل بن عياض الزاهد،

الأدباء والشعراء:

وكان من الأدباء: أبوالعتاهية الشاعر المعروف، ودعبل الشاعر، ومُحَمَّد بن عبد الملك القعنبي، وعبدالملك الأصمعي اللغوي، وعمرو بن سهل المازني البصري النحوي،

المؤرخون:

وكان منهم: أحمد بن مُحَمَّد بن الوليد الأزرقي صاحب تاريخ مكة، وموسى بن عقبة صاحب السيرة النبوية، ومُحَمَّد بن عمر الواقدي صاحب المؤلفات والتصانيف، وعلى بن مُحَمَّد المدائني صاحب الأنساب،

المفسرون:

وكان منهم: مقاتل بن سليمان صاحب التفسير

الفلاسفة:

وكان منهم: أحمد بن مُحَمَّد صاحب بيت الحكمة،

ثم جميع المحدثين الكبار والأعلام المشاهير في العهد الذي يلي عهد الإمام إنما هم يصلون إلى الإمام مالك بن أنس بواسطة أو بواسطتين، ويدخلون في ضمن تلاميذه، وكان منهم: الإمام أحمد بن حنبل، والإمام البخاري، والإمام مسلم بن الحجاج القشيري، والإمام الترمذي، وأبوداؤد

والنسائي، وجميع أصحاب الصحاح والمسانيد إنما هم ينخرطون في سلك تلاميذ الإمام بواسطة، وهم يعتزون به، حتى نجد هذا الفخر والإعتزاز في القرن الثامن، حيث يقول الإمام شمس الدين الذهبي : أنا من تلاميذه والمستفيدين منه بسبع وسائط، ويفتخر الإمام النووي بنسبته إلى الإمام مالك، فيقول هو في مقدمته على صحيح مسلم:

" وقع لنا أعلى من هذه الكتب وان كانت عالية موطأ الامام أبي عبد الله مالك بن أنس فبيننا وبينه رحمه الله سبعة وهو شيخ شيوخ المذكورين كلهم فتعلو روايتنا لاحاديثه برجل ولله الحمد والمنة " (1)

ولولم يكن إساءة الأدب فأقول أنه وقع لي أعلى الأسانيد إليه، ولله الحمد والمنة

(1) شرح مسلم للإمام النووي 1/ 6

الفقه والفتوى

الفرق بين مهمة الفقيه والمحدث:

تختلف مهمة الفقيه والمجتهد عن مهمة المحدث الذي يروي الأحاديث وينقل الأخبار فحسب، فكأن المحدث صاحب رأس المال، والفقيه يذهب بهذا المال إلى السوق ويتجر به، والمحدث بمثابة صيدلي يبيع الأدويات والعقاقير، ويعرف أسماءها فحسب، وأما الفقيه فهو طبيب يعرف خواصها، وكيفية إستعمالها، وإن الفقيه المجتهد إنما هو يميز بين الجيد والردئ، يفرع الأحكام ويجتهد في النصوص، ويبين الخاص من العام، والعام من الخاص، ويفرق بين المطلق والمقيد، وبين الناسخ والمنسوخ، ويوضح مراتب الأحكام الشرعية من الفرض والواجب والسنة والمباح، ويجتهد فيما لا نص فيه، يبحث عن مصالح الأحكام وعللها، ويوفق بين الأحكام الشرعية والحوائج الإنسانية، ويعد الدستور الشرعي للحكومة الإسلامية، هذا كله من مهمة الفقيه المجتهد الذي يفوق على المحدث الخالص الذي يروى الأحاديث وينقل الآثار فقط،

العهد النبوي:

وكان عدد المسلمين في العهد النبوي يتراوح ما بين ستين ألف إلى مأة ألف، وكان يقطن بالمدينة المنورة ثلاثون ألف من صحابة رسول الله

ﷺ، وكان الباقون منهم متفرقين في البحرين واليمن ومكة وطائف وغيرها من بلاد العرب،

وكان النبي ﷺ يرسل من فقهاء الصحابة أحيانا إلى خارج المدينة المنورة وإلى القبائل للتعليم والدعوة وبيان الأحكام الإسلامية، وهم يسمون "القراء "، وكان جل هؤلاء القراء من أصحاب الصفة، وأحيانا كان يفد إلى النبي ﷺ وفود من القبائل، ويقيم عدد منهم عند النبي صلى الله وسلم عدة أيام، يعلمهم النبي ﷺ الأحكام والسنن، ثم يبعثهم إلى مناطقهم بعد ما يتفقهون مبادئ الإسلام، وأما المدينة المنورة فكان فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تفوح بشذى وجود الشارع عليه السلام، وكان حوالي مأة شخص من الثلاثين ألف الذين كانوا في المدينة المنورة من الصحابة يقضون آناء الليل وأطراف النهار في طلب العلم على الصفة في المسجد النبوي الشريف، ويتعلمون من النبي ﷺ في غدوتهم وروحتهم، وظلت المدينة المنورة بعد وفاة النبي ﷺ مركزا للفقه والإفتاء للعالم الإسلامي كله حوالى خمس وعشرين سنة، حيث كانت تعالج جميع المستجدات والنوازل الفقهية للعالم الإسلامي، وتصدر الأحكام والفتاوي من المدينة المنورة، لأن مدينة الرسول ﷺ كانت تحتضن كبار الصحابة ، وأجلة الفقهاء الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وتربوا على أيدي النبي ﷺ،

الطبقة الأولى من فقهاء الصحابة:

وكان من أشهر الفقهاء في الصحابة سبعة أشخاص، عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأم المؤمنين عائشة الصديقة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم،

هؤلاء كانوا في الطبقة الأولى من فقهاء الصحابة، ولو جمعنا ما أثر من فتاويهم لكان لكل واحد منهم مجلد ضخم مستقل،

الطبقة الثانية :

ويلي هذه الطبقة الأولى بعض فقهاء الصحابة الذين كانت فتاويهم وقضاياهم أقل من الطبقة الأولى، ويمكن جمعها في تأليف صغير، وفي هذه الطبقة حوالي 20/ شخصا،

منهم: أبوبكر الصديق، وأم المؤمنين أم سلمة، وأنس بن مالك، وأبوسعيد الخدري، وأبوهريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن زبير، وأبوموسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، ومعاذ بن جبل، وطلحة، وزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وعمران بن الحصين، وعبادة بن الصامت، ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ،

الطبقة الثالثة:

والطبقة الثالثة من أولئك الصحابة الذين كانت فتاويهم أقل من أهل الطبقة الثانية([1])، وهم عامة الصحابة ﷺ.

أصحاب المدينة المنورة وغيرها:

كان عدد من الصحابة سكنوا في المدينة المنورة، بينما خرج بعضهم إلى المناطق الأخرى، قضى سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أربع سنوات من عهد خلافته في الكوفة، وكان معه سلمان الفارسي رضي الله عنهما،

وخرج عبد الله بن مسعود وأنس رضي الله عنهما إلى الكوفة بعد نشوب الفتن والمشاجرات، وكان عبد الله بن عباس ولاه علي بن أبي طالب في عهد خلافته في البصرة، ثم سكن في عهد عبد الله بن زبير في مكة وطائف،

وكان يقطن عبد الله بن عمرو بن العاص في آخر عمره في مصر، وبقي معاوية ﷺ في الشام، وبقية الصحابة الذين ذكرناهم في الطبقة الأولى والثانية قد قضوا حياتهم في مدينة الرسول ﷺ، ولم يبرحوا المدينة المنورة،

فقهاء التابعين في المدينة المنورة:

([1]) ذكر هذا التفصيل الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين ، أنظر المجلد الأول فصل: الأصحاب الذين قاموا بالفتوى بعده،

وبعد خير القرون جاء القرن الذي يليه، وبدأ بعد الصحابة عهد التابعين لهم بإحسان، يوجد في طبقة التابعين مئات المحدثين والمشتغلين بالحديث النبوي الشريف، وقد ذكرنا بعضهم ضمن مشايخ الإمام مالك، وأما أعلام الفقهاء في عهد التابعين فمن أشهرهم: خارجة بن زيد بن ثابت، وسالم بن عبد الله بن عمربن الخطاب، وقاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عتبة، وأبوبكر بن الحارث، وسليمان بن يسار، وأبوسلمة، وأبوبكر بن عبد الرحمن، وأبوبكر بن عمرو، وعمر بن عبد العزيز، وسعيد بن المسيب رحمهم الله،

المجمع الفقهي في المدينة المنورة:

وكان هؤلاء الفقهاء وأئمة الفتاوى والاجتهاد مجتمعين في المدينة المنورة ويقطنون بها، وكانت تحل وتعالج جميع المستجدات الفقهية والنوازل بآرائهم واجتهادهم الجماعي وبالشورى بينهم في المدينة المنورة، ويرجع إليهم في أمر الفتوى ([1])

ولما ولي المدينة عمر بن عبد العزيز رتب هذا المجلس الفقهي ونظمه، وبعث إلى عروة الزبير، وعبد الله بن عتبة، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وأبي بكر بن سليمان، وسليمان بن يسار، والقاسم بن مُحَمَّد، وسالم بن عبد الله وضمهم إلى أركان الشورى لديه،

([1]) فتح المغيث للسخاوي ص 399 (الطبعة الهندية)

وكانت تؤخذ القرارات النهائية بعد النقاش والحوار مع هؤلاء الفقهاء الأجلة ، ويكون ذلك بمثابة القرار الذي أصدرته المحكمة العليا في المدينة المنورة، ويكون جل الاعتماد في ذلك على أقضية أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب وعلى أقواله، لأن في عهده استجدت القضايا الكثيرة، وحدثت نوازل فقهية عديدة لأجل الفتح الإسلامي الشامل، حيث كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله يجمع فقهاء الصحابة للنوازل الفقهية، ويعالج القضايا الجديدة بمشورتهم، ويعمل على مبدأ الاجتهاد الجماعي، وكان أغلب فقه المدينة المنورة قد دون قبل الإمام مالك بن أنس في العهد المشرق الزاهر من خلافة عمر بن الخطاب تحت إشرافه في المجلس الفقهي للصحابة، وفي المجلس الفقهي للفقهاء التابعين في عهد عمر بن عبد العزيز،

فقه الإمام مالك:

وكان فقه علماء المدينة المنورة مبدأ أساسيا لفقه الإمام مالك بن أنس، وجميع فتاويه وأقضيته، وقد كتب الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي في مقدمته "للمسوى في شرح الموطأ":

" لقد جعل الإمام مالك بن أنس أساس فقهه وفتاويه على الأحاديث المسندة المتصلة إلى النبي ﷺ أو على الحديث المرسل للثقات، ثم على أقضية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ثم على فتاوى عبد الله بن عمر، ثم على فتاوى وأقوال سائر الصحابة وفقهاء المدينة المنورة، مثل سعيد

بن المسيب، وعروة الزبير، وقاسم، وسالم، وسليمان بن يسار، وأبي سلمة، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وعمر بن عبد العزيز"([1])

ولو أمعن أحد النظر في "موطأ" الإمام مالك ومنهجه والأحاديث والآثار التي أوردها الإمام فيه رأى أن الإمام بنى اجتهاده وفقهه وفتاويه على هذه المبادئ والأصول، فكان لا يجيب في الأحكام والفتاوى إجابة إلا يرجع إليها،

وكان جميع مشايخ المدينة المنورة يعترفون بفضل الإمام مالك ونبوغه وتضلعه في العلم والفقه، ومع هذه المكانة العالية والقدرة والعلم والورع كان من شدة احتياط الإمام وغاية حذره أنه لم يجلس للإفتاء ولم يقتحم في هذا المجال حتى شهد له سبعون من مشايخ المدينة المنورة بأنه أهل لذلك، ([2])

وكان من عادته أنه لا يجيب على أي إستفتاء شرعي إلا يقول: "ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله" ([3])

([1]) أنظر مقدمة المسوى شرح الموطأ للإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي،

(2) قال السيوطي في التزيين أخرج أبو نعيم عن أبي مصعب قال: سمعت مالكا يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك" ص :27 ، وراجع حلية الأولياء لأبي نعيم(6/ 316)

(3) أخرج الخطيب عن أبي إبراهيم المزني قال: حججت سنة فأتيت المدينة،فحدثني إسماعيل بن جعفر الخياط قال: نزلت بي مسألة، فأتيت مالكا فسألته، فقال : انصرف حتى أنظر في مسألتك، فانصرفت و أنا متهاون بعلمه، وفلت : هذا الذي تضرب إليه المطي

الإعلان الرسمي من الحكومة:

وكان لايرجع إليه الناس من المدينة والحجاز فحسب، بل يضرب إليه المطايا من البلاد المترامية الأطراف، ومن جميع الجوانب، وفي موسم الحج الذي يجمع القاصي والداني في عرصة واحدة في يوم واحد، ويحضر العلماء والفقهاء المجتهدون من الكوفة والبصرة وخراسان وغيرها من المناطق ويأرزون إلى الحرم المكي الشريف كان ينادى مناد من الحكومة " لا يفتي إلا مالك بن أنس أو ابن أبي ذئب" ([1])

رأي الإمام في طلاق المكره:

كان الإمام مالك لا يؤثر على حريته في القول والرأي أحد، أصدر الفتوى بأنه لا يقع طلاق المكره، مع أن هذا الفتوى كان يخالف ما كانت عليه الحكومة وموقفها، وكان الحكام والخلفاء يعظمون الإمام ويجلونه، وكان للإمام مكانة واحترام وتبجيل لديهم، وذلك كان يقتضي منه أن يوافق رأي الحكومة ويصدر الفتاوى في المسائل الإجتهادية بما لا يخالف رأي الحكام والأمراء، ويترك ما يصل إليه اجتهاده وتقتضي حريته في القول والرأي، وكان

لم يحسن مسألتي، فأتاني آت في منامي، فقال: أنت متهاون بعلم مالك، أما إنه لو نزل بمالك أدق من الشعر وأصلب من الصخر لقوي عليه باستعانته بـ" ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" تزيين المالك ص : 33و اورده القاضي عياض في ترتيب المدارك (1/ 75)

(1) وفيات الأعيان ترجمة مالك 300/2

الإمـام رحمـه الله لم يكـن ليـدع حريتـه في الـرأي والفتـوى ولـو يخـالف ذلـك الحكـام والأمـراء المستبدين ألف مـرة، وكـان لا يخـاف في الله لومـة لائـم، ولا يخشى أحدا، كان يفتي بعدم وقوع طلاق المكره على رغم أنف الحكام في ذلـك الوقـت، كمـا يقـع طـلاق المكـره عنـد الإمـام أبي حنيفـة وغـيره مـن الفقهـاء، ولا يقـع عند الإمـام مالك بـن أنس، وعليه جمهـور المحدثين، وكـان والي المدينة جعفر بن سليمان العباسي ابن عم الخليفة منصور العباسي أراد من الإمام وأصر عليه بأن لا يفتي في طلاق المكره، ولكن الإمام صمد على رأيـه صـمودا دونـه الراسـيات وأعلـن علـى رؤوس الأشـهاد أن طـلاق المكـره ليس بشيئ، وصبر على عقاب السياط،([1])

قوله "لا أدري" والإجتناب عن الرأي فيما لا يحسنه:

([1]) أنظر تزيين الممالك للسيوطي عن أبي نعيم ص 35، أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي داؤد قال: ضرب جعفر بن سليمان مالك بن أنس في طلاق المكره، قال ابن وهب: وحمل على بعير، فقال: ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا مالك بن انس بن أبي عامر الأصبحي، و أنا أقول أن طلاق المكره ليس بشيئ، فبلغ جعفر بن سليمان ،أنه ينادي على نفسه بذلك، فقال: أدركوه ، انزلوه، الحلية لأبي نعيم (316/6)

قال بن سعد في الطبقات: " لما دعي مالك بن أنس وشووروسمع منه، وقبل قوله، شنف الناس له، وحسدوه وبغوه بكل شيئ، فلما ولي جعفر بن سليمان على المدينة سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشي، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت الأحنف في طلاق المكره أنه لا يجوز،فغضب جعفر بن سليمان ودعا بمالك، ومده وضربه بالسياط،ومدت يده حتى انخلع كتفاه، وارتكب منه أمرا عظيما،فوالله مازال مالك بعد ذلك الضرب في رفعة عند الناس، وعلو من أمره، وإعظام الناس له، وكأنما كانت تلك السياط التي ضربها حلي بها" الطبقات الكبرى(44/1) وذكره السيوطي في التزيين: ص 34

وكان ما أفتى به الإمام في طلاق المكره وصدع به في وجه الحكام دون مداهنة وخوف، هو يعبر عن صموده وحريته ضد الحكومة، ويدل على رصانة موقفه وجلده أمام الحكام، ولعل ذلك هو أهون من صمود الإنسان في صراعه مع النفس، وحاجة المفتي إلى هذا النوع من الصمود والثبات والحرية من القيود والأغلال النفسية أشد من الحرية الأولى،

ونجد الإمام مالك بن أنس صامدا ثابتا لا يتزعزع في الموضعين، ولا يتزلزل موقفه أمام الحكام وأمام النفس، وكان الإمام إذا سئل عن شيئ لا يستحضره في ذلك الوقت، قال بكل رحابة صدره وطلاقة وجهه: " لا أدري " وكان يقول ابن وهب تلميذ الإمام مالك بن أنس: "لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك:" لا أدري" فعلت ([1])

إجتناب الإمام عن الرد على الأسئلة من المناطق البعيدة:

ويحترز الإمام بالقدر المستطاع عن الرد على الأسئلة والقضايا التي كان يأتي بها المستفتي من المناطق البعيدة والبلاد المترامية،

روى ابن عبد الله أن رجلا جاء إليه من بلاد بعيدة، وقطع المسافات الطويلة، وتحمل مشاق السفر إليه، سأل مسئلة، فقال له الإمام: "لا أحسن مسألتك" فقال السائل: أتيت إليك من مسافة ستة أشهر،

([1]) تزيين الممالك ص:39 و (حلية الأولياء 6/ 323)

مـاذا أقـول لهـم إذا رجعـت إلـيهم، " فقـال الإمـام : أخـبرهم: أني لا أحسنها"([1])

وذكـر مثلـه أبـونعيم في الحليـة أن رجـلا سـأل مالكـا عـن مسـألة، فقال: "لا أحسنها" ، فقال الرجل إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: "إذا رجعت إلى مكانك فأخبرهم أني قلت لك : "لا أحسنها" ([2])

كذلك ذكر أبونعيم قصة أخرى عن عبدالرحمن بن المهدي تلميذ الإمام يقول : رأيت رجلا جاء إلى مالك يسأله عن شيئ أياما فلم يجبه، فقـال: يا أبا عبـد الله، إني أريـد الخـروج، قـال فـأطرق طـويلا ثم رفـع رأسـه، فقـال: مـا شـاء الله، يا هـذا إني إنمـا أتكلم فيمـا أحتسب فيـه الخير، ولسـت أحسن مسألتك هذه" ([3])

---

(1) جامع بيان العلم لإبن عبد البر

(2) تزيين الممالك ص: 39 حلية الأولياء 323/6

(3) تزيين ص: 39 ، والحلية 6 /323 وكان من دأب السلف الصالح أنهم كانوا لا يجيبون فيمـا لا يستحضـرون، ويحتـاطون غايـة الاحتيـاط، وذلـك لأنهـم يعرفـون خطـورة مهمـة الفتـوى والتوقيـع عـن رب العـالمين، روي عـن القاسـم بـن محمد بـن أبي بكروهـو مـن الفقهـاء السـبعة المشـاهيرفي المدينـة أن رجلا جـاء إليـه، وقـال: حملني قـومي مسـئلة إليك، فقـال : هات، فلما ذكر مسئلته، قال : لا أدري، فتحير الرجل وقال : أتيت إليك من كذا وكذا ماذا أقول لأهل بلدي؟ تقول: لا أدري و أنت أعلم النـاس، فمن يدري بعدك ؟فقال: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي ، فإني أقول لك : " لا أدري " فلا أدري

وكان هذا الإحتياط والورع والإجتناب عن الفتوى في المسائل التي كان يأتي بها السائل من بلاد نائية لسبب مهم، وهو أن المفتي ربما يتغير رأيه في تلك الجزئية ويبدو له غير ما أجاب به ويرجع عن قوله، فلا يمكن له أن يستدرك فيه، إلا إذا كان المستفتي أو السائل من مناطق قريبة، يسهل الوصول إليه، وإخباره بالجديد، وأما إذا كان السائل من بلاد بعيدة فلا يتمكن المفتي من إخباره، لأن وسائل السفر والخبر لم تكن سهلة ميسرة في ذلك الوقت،

استغرب أحد من أصدقاء الإمام هذا الأمر وسأله: كيف ترد الذين يأتون إليك ويتحملون مشاق السفر ويسألون، تقول لهم : "لا أدري"!! فقال الإمام يأتيتي الشامي من شامه ، والعراقي من عراقه، والمصري من مصره، فيسألونني عن شيئ، لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به، فأين أجدهم؟؟

ولما سمع الليث المصري قول الإمام مالك بن أنس، بكى، وقال: "والله مالك أقوى عليه من الليث، والليث والله أضعف فيه من مالك" ([1])

([1]) تزيين الممالك ص: 35 أخرج أبو نعيم في الحلية عن الحارث بن مسكين، عن عمر بن يزيد-شيخ من أهل مصر صديق لمالك بن أنس، قال : قلت لمالك: يأتيك ناس من بلدان شتى، قد أضنوا مطاياهم، وأنفقوا نفقاتهم، يسألونك عما جعل الله عندك من العلم، تقول: لا أدري، فقال : يا عبد الله! يأتيني الشامي من شامه، والعراقي من عر اقه، والمصري من مصره، فيسألونني عن الشيئ لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به" الحلية 6/ 324قال

وكان كثيرا ما يقول عندما يجيب على السائل: "قال رسول الله صلى عليه وسلم كذا" سأله أحد: "ما رأيك أنت في كذا" فزجره وتلا عليه هذه الآية: " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "(1) وكان عندما يتكلم عن جزئية قياسية يقول: " إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ"(2)

بذله أقصى جهده في الإجابة على السائل:

وكان من عادة الإمام أنه كان يبذل أقصى جهده في الإجتهاد وإعمال الفكر عندما يجيب على أي جزئية فقهية، يقول ابن أبي أويس أن مالك بن أنس قال مرة: يأتينا أحيانا بعض المسائل يأرق النوم ويقلق المضاجع، فقال ابن أبي أويس: يقبل قولك في الناس ويكون لهم مثل النقش في الحجر، فلماذا تتحمل هذا التعب والعناء؟ فأجاب الإمام بدقة وإمعان ما يدل على ورعه وشدة حيطته في الفتوى، قال: يا ابن أبي أويس! هذا الوضع يقتضي منى أن أبذل كل وسعي وجهدي، ولا أتكلم إلا بعد تأكيد وتمحيص، ([3])

السيوطي: قال عمرو: فأخبرت الليث بن سعد بقول مالك هذا، فبكى، ثم قال: مالك والله أقوى عليه من الليث، والليث والله أضعف فيه من مالك" تزيين الممالك ص: 35

(1) تزيين الممالك ص 36 أخرجه أبونعيم عن عثمان في الحلية (326/6)

(2) مناقب مالك للزواوي عن سعيد سليمان ص: 86

(3) مناقب مالك الزواوي عن عبد الرحمن بن عبد العزيز ص: 31

وكان من عادته أنه إذا أخطأ ونبهه عليه أحد يعترف به ويرجع في قوله، سأله رجل عن تخليل أصابع الرجل في الوضوء، فقال: ليس ذلك على الناس، وكان ابن وهب تلميذ الإمام قال له بعد المجلس:عندي حديث يستدل به على التخليل، سمع الإمام الحديث وقال : حديث حسن، ثم أفتى به بعد،([1])

واستمر الإمام مالك بن انس في مجال الفقه والإفتاء ستين سنة يفتي ويدرس، وقام تلامذته بتدوين فقهه وفتاويه، وأول من ألف بهذا الصدد أسد بن الفرات قاضي إفريقية كتابه "أسدية"، وأضخم كتاب في الفقه المالكي من تلامذة الإمام هو "المدونة الكبرى" لابن القاسم (ت/191) وكان قد بدأ تدوينه في حياة الإمام، وهو مطبوع متداول، والكتاب الثالث هو "كتاب المجالسات عن مالك" لابن وهب المصري (ت/ 197)، وهذه الكتب تتضمن آلافا من فتاوى الإمام وأقواله، والمشهور عن ابن القاسم

(1)قال الزواوي : " قال ابن وهب : سئل مالك عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء،فقال:ليس ذلك على الناس، فتركته، حتى خف الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة، قال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وعمروبن الحارث و ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحلي عن المسوربن شداد القرشي قال: رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه، فقال : إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة، ثم سمعته بعد ذلك سئل فأمربتخليل الأصابع" مناقب مالك للزواوي ص 84، أقول : هكذا كان من عادة العلماء الربانيين أنهم يذعنون للسنة، وروي ذلك عن الأئمة الفقاء، ذكر أقوالهم الشعراني في الميزان الكبرى

صاحب المدونة الكبرى أنه حفظ أربعين ألف جزئية فقهية من فتاوى الإمام مالك بن أنس.

فضل الإمام ومكانته:

وكان أهل العلم والأئمة الأعلام يعترفون بمكانة الإمام العلمية والفقهية، واتفقت كلمتهم على فضله وإمامته في علم الحديث وعلو كعبه في الفقه والإفتاء، ولو كان هذا الإعتراف يعتبر من شرف الإنسان فكان الإمام على قمة من هذا الشرف والمجد، وكان الإمام يعد من أهل الرأي، والمحدثون قليلا ما يعترفون بأهل الرأي، ومع ذلك تعتبر مكانة الإمام بين أهل الحديث مثل مكانة الإمام المتبوع بين مقلديه، ومكانة الشيخ بين تلاميذه،

يقول يحي بن معين إمام الجرح والتعديل: "مالك أمير المؤمنين في الحديث"([1])

وقال سفيان بن عيينة: "من نحن عند مالك، إنما كنا نتبع آثار مالك، ننظر الشيخ ، إن كان مالكا كتب عنه، وإلا تركناه" ([2])

([1]) تزيين الممالك ص 29قال السيوطي " عن ابن معين : أنه قيل له أرأيت حديث مالك "اللقاح واحد" ليس يرويه أحد غيره؟ قال دع مالكا، مالك أمير المؤمنين في الحديث" ، وفي التاريخ الكبيرعن علي بن المديني ويحيى القطان " كان مالك إماما في الحديث" التاريخ الكبير7/ 310)

(2) تزيين الممالك ص : 28 و مسند الموطأ ص: 100

وقال عبد الرحمن بن مهدي: " ما بقي على وجه الأرض أحد آمن على حديث رسول الله ﷺ من مالك بن أنس" ([1])

وقال الإمام مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، : "إذا جاء الأثر فمالك كالنجم"([2])

ويقول ابن نميك: " ما أقدم على مالك في صحة الحديث أحدا"([3])

وسئل الإمام أحمد بن حنبل : الرجل يريد حفظ الحديث، فحديث من يحفظ؟ قال : حديث مالك بن أنس([4])

سأل رجل المحدث الشهير ابن مهدي: "بلغني أنك قلت : مالك أفقه من أبي حنيفة، فقال : ما قلت هذا، ولكني أقول : أعلم من أستاذ أبي حنيفة ، يعني حمادا"([1])

---

(1) تزيين الممالك ص: 28 الحلية 6/ 318

(2) تزيين الممالك ص: 28 الحلية 318/6 وأخرج ابن عبد البر في التمهيد:عن يونس ابن عبد الأعلى: قال سمعت الشافعي يقول: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وماأحد أمن علي في علم الله من مالك بن أنس" التمهيد : 1/ 74

(3) تزيين الممالك 28، أخرجه أبو نعيم في الحلية من قول ابن مهدي: عن نعيم بن حماد قال : سمعت ابن مهدي يقول: ما أقدم على مالك في صحة الحديث أبدا

(4) تزيين الممالك : ص:29، وقال السيوطي فيه: " عن عبد السلام بن عاصم قال: قلت: لأحمد بن حنبل: الرجل يريد حفظ الحديث، فحديث من يحفظ؟ قال: حديث مالك بن أنس، قال : فالرجل يريد أن ينظر في الرأي فبرأي من: قال : فرأي مالك بن أنس" مسند الالموطأ ص: 109

وكان سفيان بن عيينة مع علمه وفضله وإمامته في العلم والفقه يتعلم الحلال والحرام ويأخذ الحديث في حلقة مالك بن أنس، ثم يأتي إلى تلامذته ومسترشديه، وكان سفيان الثوري يتبع الإمام في المناسك،

وكان ابن معين إمام الجرح والتعديل يقول: "مالك اثبت الناس من أصحاب الزهري" وكان يقول: "كان مالك من حجج الله على خلقه" ([2])

وكان يحيى بن سعيد القطان: "كان مالك رحمة على الخلق" وسأل أبوحازم الدراوردي عن مالك: أخبرني برب الكعبة هل رأيت أحدا أعلم من مالك؟ فقال: لا"

(1) تزيين الممالك ص: 29 مسند الموطأ ص: 108

([2]) تزيين الممالك ص: 21 ، التمهيد 74/1

الأوضاع السياسية العامة

نهاية الخلافة الأموية:

ونتوجه الآن إلى البلاط الملكي وننظر إلى حال الحكومة والسياسة بعد ما رأينا من بهجة مجالس العلم والحديث، لقد ولد الإمام سنة 93 هـ، وكان الوليد متوليا عرش الخلافة والإمارة في دمشق، ولما فرغ الإمام من أيام طلبه للعلم بعد ما قضى فيه خمسا وخمسين سنة، وطبق صيته الآفاق، كانت الخلافة الإسلامية في احتضار، وتلفظ أنفاسها الأخيرة في دمشق في الأيام الأخيرة من عهد هشام بن عبد الملك، وتوفي هشام سنة 125هـ، ثم خلفه من الأمراء: وليد بن الوليد، إبراهيم بن الوليد، مروان بن مُحَمَّد بن مروان الذين لم يلبثوا حتى طوى بساطهم في ثمان سنوات فحسب، وبدأ التاريخ الإسلامي عهده الجديد بالخلافة العباسية عام 133هـ

الخلافة العباسية:

وكان أول الخلفاء العباسيين أبا العباس السفاح، وامتدت خلافته أربع ونصف سنوات، التي قضاها في ترتيب الأمور وإحكامها، وإرساء قواعد الخلافة الجديدة، والقضاء على الحروب الداخلية، وفي السنة الأخيرة من خلافته ذهب أخوه أبوجعفر المنصور إلى الحجاز أميرا للحجاج سنة 136هـ، وحيمنا كان في العودة من هذا السفر المبارك الميمون، وكان هو في طريقه إذ تلقى البشرى بتولي الخلافة، ولكنه في الحقيقة لم يتمكن من

خلافته حتى قتل أبومسلم الخراساني سنة 138هـ، ثم عمرت بغداد سنة 139هـ، وما إن عمرت بغداد إلا استقرت الخلافة العباسية واستحكت، ووضع المنصور أساسها على القواعد الصلدة المتينة، وتأهب المنصور بعد الفراغ من ذلك للحج وخرج عازما مكة المكرمة والمدينة المنورة سنة 140هـ،

وإن أسرة الخلافة العباسية التي كان يتألق نجمها عندئذ، وبلغت قمة القيادة والسيادة، لم تكن قبل سنوات إلا أسرة كريمة من أشراف قريش، ومن ثم كان المنصور يشارك المجالس العلمية ويجلس في مجالس العلم والعلماء مثل أبناء الأشراف، وكان قبل تولى الخلافة من طلاب مدرسة الإمام مالك بن أنس ومشاركا في حلقته، وهذا كان أول حج للمنصور إذ يقوم بأداءه بعد الخلافة، فخرج العلماء وأشراف البلد لاستقباله، وكان فيمن خرج إليه من العلماء سفيان الثوري، وسليمان الخواص، والإمام مالك بن أنس، ليروا شان هذا الشاب الذي كان بالأمس طالبا في مدرستهم وجليسا في حلقتهم، وقد صار الآن خليفة للمسلمين، وما هو حاله بعد ما أصبح أمر المسلمين بيده، وكان جميع العلماء والفقهاء والمحدثين من الحجاز قد حضروا مجلس الخليفة، فقال المنصور للإمام : يا أبا عبد الله ! قد مللت الخلافات الفقهية فيما بين الناس، وأبتها نفسي، أما العراق فليس بها بأس، وشان يذكر، والشام يغلب على أهلها شوق الجهاد، وليس هناك جو علمي كثير، والحجاز تمتاز بالعلم والفقه، وأنت سيد العلماء ورأس المحديثن وإمام الفقه، أريد أن أعلق كتابك "الموطأ" على باب الكعبة، ليكون مرجعا

للناس كلهم، وأجمع كلمتهم عليه، وأرسل نسخه إلى أطراف البلاد ليفتي الناس بها،([1]) وفي رواية طلب المنصور من الإمام أن يؤلف كتابا معتدلا يجمع الأصول الفقهية لعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فألف الإمام كتابه "الموطأ"([2])

---

(1) وهذا ذكره ابن قتيبة الدينوري في الإمامة والسياسة ونصه: ذكروا أن أبا جعفر أمير المؤمنين لما استقامت له الأمور، واستولى على السلطان خرج حاجاً إلى مكة،وذلك في سنة ثمان وأربعين ومئة .فلما كان بمنى، أتاه الناس يسلمون عليه، ويهنئونه بما أنعم الله عليه، وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم، وفقهائهم وعلمائهم، ممن صاحبه وجامعه على طلب العلم ومذاكرة الفقه وروا ية الحديث .فكان فيمن دخل عليه منهم :مالك بن أنس . فقال له أبو جعفر :يا أباعبد الله إني رأيت رؤيا .فقال مالك :يوفق الله أمير المؤمنين إلى الصواب من الرأي، ويلهمه الرشاد من القول، ويعينه على خير الفعل، فما رأى أمير المؤمنين؟ فقال أبو جعفر :رأيت أني أجلسك في هذا البيت، فتكون من عمار بيت الله الحرام، وأحمل الناس على علمك، وأعهد إلى أهل الأمصار يوفدون إليك وفدهم، ويرسلون إليك رسلهم في أيام حجهم، لتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحق، إن شاءالله، وإنما العلم علم أهل المدينة، وأنت أعلمهم .فقال مالك :أمير المؤمنين أعلى عيناً، وأرشد رأياً، وأعلم بما يأتي وما يفر، وإن أذن لي أقول قلت، فقال أبو جعفر :نعم، فحقيق أنت أن يسمع منك، ويصدر عن رأيك .فقال مالك :يا أمير المؤمنين إن أهل العراق قد قالوا قولاً تعدوا فيه طورهم، ورأيت أني خاطرت بقولي لأنهم أهل ناحية، وأما أهل مكة فليس بها أحد، وإنما العلم علم أهل المدينة، كما قال الأمير، وإن لكل قوم سلفاً وأئمة .فإن رأى أمير المؤمنين أعز الله نصره إقرارهم على حالهم فليفعل .فقال أبوجعفر : أما أهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صرفاً ولا عدلاً، وإنما العلم علم أهل المدينة، وقد علمنا أنك إنما أردت خلاص نفسك ونجاتها .فقال مالك :أجل يا أمير المؤمنين، فأعفني يعف الله عنك، فقال أبوجعفر :قد أعفاك أمير المؤمنين، وأيم الله ما أجد بعد أمير المؤمنين أعلم منك ولا أفقه" أنظرالإمامة والسياسة ص: (277)

(2) أخرج ابن سعد في الطبقات عن الو اقدي: قال : سمعت مالك بن أنس يقول: لما حج أبو جعفر المنصور دعاني، فدخلت عليه ، فحادثته، وسألني فأجبته، فقال : إني قد عزمت

إباء الإمام مالك بن أنس وأنفته:

هذه كانت فرصة ذهبية لا تتوفر إلا نادرا للعلماء الذين يريدون التزلف والقربى لدي الحكام والأمراء، ويحبون المكانة والحظوة لديهم، ولكن الإمام مالك بن أنس ما زلت قدماه في هذه المحنة، فقال: " لاتفعل هذا، فإن أصحاب الرسول ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في الآفاق، وإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، وروا روايات، وأخذ كل قوم بما

أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها يعني الموطأ فتنسخ نسخا، ثم أبعث بها إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، لا يتعدوه إلى غيره، ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث، فإني رأيت أصل العلم رواية المدينة وعلمهم، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، لاتفعل هذا، فأن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، وروا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف الناس وغيرهم، وما اختار كل أهل بلد منهم لأنفسهم، فقال: لعمري لو طاوعتني على ذلك لأمرت به" الطبقات الكبرى 440/1 ، تزيين الممالك ص:95 ، وقد أخرج أبونعيم في الحلية قصة تعليق الموطأ في الكعبة أنها كانت مع هارون الرشيد فقال: عن عبد الله بن الحكم قال : سمعت مالك بن أنس يقول : شاورني هارون الرشيد في ثلاث، في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر النبي ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة، وفي أن يقدم نافع ابن أبي نعيم إماما يصلي في مسجد الرسول، فقلت: يا أمير المؤمنين! أما تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب الرسول ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب، وأما نقض منبر رؤسول الله ﷺ و اتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة، فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبي ﷺ، وأما تقدمك نافعا إماما يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ، فإن نافع إمام في القراءة، لا يؤمن أن تندر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه، قال وفقك الله يا ابا عبد الله" الحلية لأبي نعيم 6/ 332 تزيين الممالك ص: 95، وقال القاضي عياض في "المدارك" : روى أبو مصعب أن أبا جعفر قال لمالك: ضع للناس كتابا أحملهم عليه، فكلمه مالك في ذلك فقال: ضعه، فما أحد أعلم منك، فوضع الموطأ، فلم يفرغ منه حتى مات أبوجعفر" المدارك 1/ 101 ، تزيين الممالك: 91

سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف الناس وغيرهم، ووصلت إليهم من الفتاوى والأقاويل وأصبحت هي مقبولة، ولا ينبغي أن يحملوا على تقليد شخص واحد يخطئ ويصيب، فقال المنصور: " لو طاوعتني في ذلك لأمرت به" ([1])

وقد سأله المنصور مرة: يا أبا عبد الله! هل هناك أحد أعلم منك؟ فقال الإمام: نعم ، فقال المنصور: من هو؟ فأجاب: نسيت إسمه، فقال المنصور : "كنت طالبا في أيام الخلافة الأموية وأعلم كلهم" ([2])

وكان المنصور يعترف بفضل الإمام وعلمه ويثني عليه، ذهب سفيان الثوري وسليمان الخواص مرة إلى المنصور، فدعاهما إلى داخل الخيمة، فقال سفيان الثوري: لا أدخل حتى يلف هذا الفراش، ولما رفع الفراش جلس يتلو آية من القرآن " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ " ففاضت عينا المنصور، وما زال الإمام الثوري ينصحه بألفاظ قارعة حتى خرج من عنده، ولما رأى هذا المنظر أبوعبيد الحاجب وسمع ما سمع من الثوري غلظة القول قال: يا أمير المؤمنين! لما ذا لا تأمر بقتل هذا الرجل

---

(1) أنظر: تزيين الممالك ص: 95، الطبقات الكبرى 1/ 440، تذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 189، الإمامة والسياسة لإبن قتيبة ، مناقب مالك ص للزواوي

(2) مناقب الإمام للزواوي، قال فيه: وذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبي خليل يعني عتبة بن حماد الفزاري الدمشقي قال:قال مالك: قال لي جعفر يوما: أعلى ظهرها أحد أعلم منك؟ قلت: بلى، قال: فسمهم لي، قلت لا أحفظ أسماءهم، قال : قد كلبت هذا الشأن في زمن بني أمية وقد عرفته" الزواوي ص:75

الجرئ الثرثار؟ فقال المنصور: "اسكت يا أنوك، فوالله ما بقي على الأرض أحد اليوم يستحيا منه غير هذا، ومالك بن أنس" (1)

وهذه الحادثة التاريخية معروفة لدى الجميع أن الهاشميين لما غلبوا على أمرهم أمام بني أمية،وانتصر بنو أمية عليهم، فسعى الهاشميون وكان معهم بنوالعباس وبنوفاطمة وعامة العلويين إلى إقامة الخلافة الهاشمية، وكانت تهدف هذه المساعي والجهود إمامة الأسرة الفاطمية والعلوية، وتولى الإمامة

---

(1) قال ابن قتيبة: دخل سفيان الثوري فأمره ونهاه .فقال له :هاهنا أبا عبد إلي إليّ، ادن مني .فقال :إني لا أطأ ما لا أملك ولا تملك .فقال أبو جعفر :يا غلام أعرج البساط، وارفع الوطاء، فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد، ليس بينه وبين الأرض شيء، وهو يقول" :منها خلقناكم، وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةأخرى "فدمعت عينا أبي جعفر .ثم تكلم سفيان دون أن يستأذن، فوعظ وأمر ونهى وذكّر، وأغلظ في قوله .فقال له الحاجب :أيها الرجل، أنت مقتول . فقال سفيان :وإن كنت مقتولاً فالساعة، فسأله أبوجعفر عن مسألة فأجابه، ثم قال سفيان :فما تقول أنت يا أمير المؤمنين فيما أنفقت من مال الله، ومال أمة محمد بغير إذنهم، وقد قال عمر في حجة حجها، وقد أنفق ستة عشر ديناراً هو ومن معه : ما أرانا إلاوقد أجحفنا ببيت المال .وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار، وأنت حاضر ذلك، وأول كاتب كتبه في المجلس عن إبراهيم، عن الأسود، عن علقمة، عن ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" :رب متخوض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً"، فقال له أبو عبيدة الكاتب :أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟ فقال له سفيان :اسكت، فإنما أهلك فرعون هامان، وهامان فرعون .ثم خرج سفيان، فقال أبو عبيدة الكاتب :ألا تأمر بقتل هذا الرجل؟ فوالله ما أعلم أحداً أحق بالقتل منه .فقال أبوجعفر :اسكت يا أنوك، فوالله ما بقي على الأرض أحد اليوم يستحيا منه غير هذا،ومالك بن أنس" الإمامة والسياسة ص: 278

بعد سيدنا حسين ﷺ مُحَمَّد بن الحنفية بن علي، ثم أمسك زمام القيادة أبوهشام عبد الله العلوي، حتى مات في "حميمة" من بلاد الشام، ولم يكن هناك هاشمي سوى مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن عباس، لذلك أوصى أبوهشام بأن يخلفه مُحَمَّد العباسي، وهذا كان أول يوم انتقل فيه زمام القيادة من العلويين إلى العباسيين،

توفي مُحَمَّد بن علي العباسي سنة 124هـ، وخلفه ابنه ابراهيم بن مُحَمَّد العباسي في الإمامة والقيادة، ولا يدرى مات حتف أنفه أسيرا بيد ابن مروان أو قتل، ولبس الشيعة العباسيون الثياب السوداء في حزنه، وصار اللون الأسود شعارا للعباسيين من ذلك الوقت، وتولى الخلافة والإمامة بعد ابراهيم أبوالعباس السفاح، وفي نهاية المطاف بعد ما تكللت جهوده بالنجاح حدد حق الخلافة من بني هاشم للعباسيين فحسب،

وكان الحكام والأمراء الجدد إنما يحملهم الغضب والحقد البغيض على استيصال الأمويين، وقد وصل بهم الطيش إلى أنهم كانوا يقومون بحفر القبور وإخراج الأجساد والعظام الرفات وإحراقها دون هوادة ورحمة، وكان الأمويون أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا، وكان الجنود الوحشيون الهمجيون من خراسان يجوسون خلال الديار ويتبرون تتبيرا، ويفعلون الأفاعيل ويرتكبون البشعات للإستيلاء على البلاد، وإخماد الثورة،

هذا، وفي جانب آخر، أحدث تخصيص الخلافة للعباسيين موجة السخط والغضب في العلويين والفاطميين، وعلى كل حال، لم يتحقق للناس

في البلاد من الأمن والصلح والعدل الذي كانوا يحلمونه ويتوقعونه من الأمراء الجدد، ولكن لم يظهر أي سخط ضد الحكومة والإمارة أو رد فعل أيام السفاح،

ثم جاء المنصور وبدأ يستأصل شأفة الأشراف من العلويين والفاطميين للاحتياط أو سوء الظن بهم، ولما عز على هؤلاء الأشراف تعامل المنصور معهم خرج عليه مُحَمَّد النفس الزكية سنة 135هـ في المدينة المنورة، والتف أكثر الناس حوله، ولكن لم يساعده الحظ، فخر صريعا في المعركة بعد ما أبلي فيها بلاء حسنا، وخرج بعده أخوه إبراهيم بالعدة الكاملة والجنود المجندة ما أقلق مضجع المنصور وأفزعه، لكن وضعت الحرب أوزارها بعد ما دارت رحاها عدة أشهر بموت إبراهيم، وولى المنصور ابن عمه جعفر في المدينة المنورة،

وكان موقف الإمام مالك بن أنس في هذه الأمور موقفا واضحا وجريئا، وكان يؤيد الحق دائما ويدور معه حيث دار رغم العنايات الخاصة به من المنصور، لقد أفتى الإمام بأن الخلافة كان يستحقها مُحَمَّد النفس الزكية، فسأل الناس: إنا بايعنا المنصور، فقال الإمام: قد بويع للمنصور بالخلافة كرها، ولا عبرة بالإكراه في الشريعة الإسلامية، لما جاء في الحديث الشريف:" أن طلاق المكره لا يقع"

فتوى الإمام في طلاق المكره وأثره:

ولما وصل جعفر إلى المدينة المنورة أخذ البيعة من جديد، وأرسل إلى الإمام مالك بن أنس بأن ينتهي عما يقول في طلاق المكره ولا يفتي بعدم وقوعه، مخافة أن لا يستدل الناس به على بيعة الاكراه، ولكن الإمام كان موقفه مثل صخرة صلدة أعيا الرجال انصداعها، وكان من المستحيل منه أن يترك الحق الصريح لزيد أو عمرو، فلم يكن إلا أن ثارت ثائرته وأمر بجلد الإمام سبعين جلدة، فأتي بإمام دار الهجرة إلى قصر الإمارة كالمجرم الجاني، خلعت ثيابه، وصبت يد الظلم الآثمة على ظهر الإمامة سبعين جلدة، تلطخ ظهره دما، وانخلعت كتفاه، وحملوه على البعير في البلد، وكان الإمام يمر بالأسواق وسكك المدينة وينادي: "ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا مالك بن انس بن أبي عامر الأصبحي، وأنا أقول أن طلاق المكره ليس بشيئ"،([1])

([1]) أنظر للتفصيل الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري: قال: وذكروا أنه هاج بالمدينة هيج في ابتداء أيام أبي جعفر، فبعث إليها أبوجعفر بن عمه جعفر بن سليمان بن العباس، ليسكن هيجها وفتنها، ويجدد بيعة أهلها فقدمها وهو يتوقد ناراً على أهل الخلاف لهم، فأظهر الغلظة والشدة، وسطا بكل من ألحد في سلطانهم، وأشار إلى المنازعة لهم، وأخذ الناس بالبيعة، وكان مالك بن أنس رحمه الله لم يزل صغيراً وكبيراً محسداً، وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه في علمه أو عمله، أو فهمه أو ورعه، فكيف بمن جمع الله ذلك فيه، ولم يزل منذ نشأ كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعملِ، والفهم واللب والنبل، ووصل له ذلك بالدين والفضل، عرف منه ذلك صغيراً، وظهر فيه كبيراً، واستلب الرياسة ممن كان قد سبقه إليها، بظهور نعمة الله عليه، وسموها به على كل سام، فاستدعى ذلك منهم الحسد له، وألجأهم ذلك إلى البغي عليه، فدسوا إلى جعفر بن سليمان من قال له :إن مالكاً يفتي الناس بأن أيمان البيعة لا تحل، ولا تلزمهم لمخالفتك، واستكراهك إياهم عليها، وزعموا أنه يفتي بذلك أهل المدينة أجمعين، لحديث رواه عن

ثم دخل الإمام في المسجد النبوي الشريف وعادت ثيابه دما، فغسل الدم عن ظهره، صلى ركعتين، وقال : " لما جلد سعيد بن المسيب أتى إلى المسجد النبوي الشريف وصلى ركعتين"

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال" :رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه " فعظم ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف أن ينحلّ عليه ما أبرم من بيعة أهل المدينة، وهم أن يبدر فيه بما عافاه الله منه، وأنعم على المسلمين ببقائه .فقيل له :لا تبدر فيه ببادرة، فإنه من أكرم الناس على أمير المؤمنين، وآثرهم عنده، ولا بأس عليك منه، فلا تحدث شيئاً إلا بأمر أميرالمؤمنين، أو يستحق ذلك عندنا بأمر لا يخفى على أهل المدينة . فحس إليه جعفر بن سليمان بعض من لم يكن مالك يخشى أن يؤتى من قبله، ومن مأمنه يؤتى الحفر، فسأله عن الأيمان في البيعة فأفتاه مالك بذلك طمأنينة إليه، وحسبة فيه . فلم يشعر مالك إلا ورسول جعفر بن سليمان يأتيه، فأتوا به إليه منتهك الحرية، مزال الهيبة، فأمر به فضرب سبعين سوطاً، فلما سكن الهيج بالمدينة، وتمت له البيعة، بلغ بمالك ألم الضرب حتى أضجعه. " الإمامة والسياسة 2/ 282، أنظر تزيين الممالك للسيوطي عن أبي نعيم ص 35، أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي داؤد قال: ضرب جعفر بن سليمان مالك بن أنس في طلاق المكره، قال ابن وهب: وحمل على بعير، فقال : ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا مالك بن انس بن أبي عامر الأصبحي، و أنا أقول أن طلاق المكره ليس بشيئ، فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك، فقال : أدركوه ، انزلوه، الحلية لأبي نعيم (316/6) قال بن سعد في الطبقات: " لما دعي مالك بن أنس وشوور وسمع منه، وقبل قوله، شنف الناس له، وحسدوه وبغوه بكل شيئ، فلما ولي جعفر بن سليمان على المدينة سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشي، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت الأحنف في طلاق المكره أنه لا يجوز،فغضب جعفر بن سليمان ودعا بمالك، ومده وضربه بالسياط ،ومدت يده حتى انخلع كتفاه، وارتكب منه أمرا عظيما،فو الله مازال مالك بعد ذلك الضرب في رفعة عند الناس، وعلو من أمره، وإعظام الناس له، وكأنما كانت تلك السياط التي ضربها حلي بها" الطبقات الكبرى(44/1) وذكره السيوطي في التزيين: ص 34

أراد به جعفر تحقير الإمام ولكنه زاد شرفا وتعظيما فما زال بعد ذلك الضرب في رفعة عند الناس، وعلو من أمره، وكانت هذه الحادثة في سنة 147هـ

إنكار منصور للحادثة وندامته عليها:

لما وصل خبره إلى أبي جعفر المنصور كرهه وسخط عليه، كما قال ابن قتيبة الدينوري فعزل والي المدينة، وطلبه إلى بغداد راكبا على الحمار، واعتذر إلى الإمام مالك بن أنس، وفي السنة التالية عام 158هـ لما استقر الأمر في الحجاز، جاء المنصور إلى الحجاز ينوي الحج، فأتى إليه الإمام ولقيه، وفي رواية أن المنصور استقدمه إليه ببغداد قبل الحج، فأبى الإمام واعتذر، فلقي المنصور الإمام بكل حفاوة وإكرام وتبجيل، وقال:"والله الذي لا الله إلا هو يا أبا عبدالله ما أمرت بالذي كان، ولا علمته قبل أن يكون، ولا رضيته إذ بلغني يعني الضرب، قال مالك :فحمدت الله تعالى على كل حال، وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم نزهته عن الأمر بذلك، والرضا به"

ثم خاطبه المنصور وتحدث إليه قائلا: " يا أبا عبد الله، لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم، وإني إخالك أماناً لهم من عذاب الله وسطوته، ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة، فإنهم كما علمت أسرع الناس إلى الفتن، وأضعفهمِ عنها، قاتلهم الله أنى يؤفكون، وقد أمرت أن يؤتى بعدو الله من المدينة على قتب، وأمرت بضيق مجلسه، والمبالغة في امتهانه، ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه، فقلت له:

عافى الله أمير المؤمنين، وأكرم مثواه، قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم منك" (1)

الخلعة:

أكرم المنصور الإمام مالك بن أنس إكراما، وعرض الخلعة عليه إكراما له، وكان من عرفهم في ذلك أن ثياب الخلعة توضع على منكبي صاحبها من قبل أمير المؤمنين، فأراد الحاجب أن يضعها على منكبي الإمام، فتأخر وتنحى، زجر المنصور الحاجب وقال: "بلغها إلى رحل أبي عبد الله" (2)

سبب التعزير على لسان المنصور:

ومما ينبغي النظر فيه ويلفت الإنتباه أن أحدا لو تدبر فيما قاله المنصور للإمام مالك بن أنس بغض النظر عن تعظيمه للإمام وجد في طيات كلامه ماذا كانت الأسباب لتعزير الإمام، فإنه قال عن أهل الحرمين: "أسرع الناس إلى الفتن، وأضعفهم عنها، قاتلهم الله أنى يؤفكون" ويعني ذلك أن أهل الحرمين ثوار الفتن، وأنت إمامهم وقائدهم، فلا يمكن أن

(1) أنظر لهذا التفصيل : الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري 2/ 290- 297

(2) قال مالك :ثم أمر لي بألف دينار عيناً ذهباً، وكسوة عظيمة، وأمر لابني بألف دينار، ثم استأذنته فأذن لي، فقمت فودعني ودعا لي، ثم مشيت منطلقاً، فلحقني الخصي بالكسوة فوضعها على منكبي، وكذلك يفعلون بمن كسوه، وإن عظم قدره، فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها، ثم يسلمها إلى غلامه، فلما وضع الخصي الكسوة على منكبي انحنيت عنها بمنكبي، كراهة احتمالها، وتبرؤا من ذلك، فناداه أبو جعفر: بلَغها رحل أبي عبد الله" الإمامة والسياسة 2/ 283

تحدث ثورة إلا بإشارة منك، وانظروا إلى ظلم المنصور مع الإمام، أرسله سفيرا له إلى أشراف المدينة من بني هاشم الذين كانوا في السجون والمعتقلات، رغم أنه كان يعرف جيدا أن الإمام يؤيدهم،([1])

قام بعض الوشاة الذين يمشون بالنميمة وبلغوا المنصور أن العلماء لا يرضون بخلافته، ويسخطون عليه، فطلب ابن أبي ذئب وابن سمعان ومالك بن أنس، لقد أدرك الإمام الخطورة وأحس شيئا، فاغتسل، ولبس الكفن، وتحنط، ووصل إلى قصر الخلافة، هو لايشك في قتله، فقال المنصور:

" أما بعد معشر الفقهاء، فقد بلغ أمير المؤمنين منكم ما أخشن صدره، وضاق به ذرعه وكنتم أحق الناس بالكف من ألسنتكم، والأخذ بما يشبهكم، وأولى الناس بلزوم الطاعة، والمناصحة في السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم، فقال الإمام: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا

(1) أنظر: كتاب العبر لابن خلدون ، قال فيه : وكان عامل مصر قد عثر على علي بن محمد بن عبد الله ابن حسن بعثه أبوه إلى مصر يدعو له فأخذه وبعث به إلى المنصور فلم يزل في حبسه وسمّى من أصحاب أبيه عبد الرحمن بن أبي المولى و أبا جبير فضربهما المنصور وحبسهما. وقيل عبد الله حبس أولا وحده وطال حبسه. فأشار عليه أصحابه بحبس الباقين فحبسهم .ثم حج المنصور سنة أربع وأربعين، فلما قدم مكة بعث إليهم وهم في السجن محمد بن عمران بن إبراهيم بن طلحة ومالك بن أنس يسألهم أن يرفعوا إليه محمدا و إبراهيم ابني عبد الله، فطلب عبد الله الإذن في لقائه فقال المنصور :لا والله حتى يأتيني به وبابنيه، " القصة طويلة : أنظر كتاب العبر 36/3

الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (1)

إنكار الإمام في إبداء الرأي في المنصور:

ثم سال المنصور كل واحد منهم عن نفسه، فقال: "على ذلكم أي الرجال أنا عندكم؟ أمن أئمة العدل، أم من أئمة الجور؟ فقال مالك : فقلت :يا أمير المؤمنين، أنا متوسل إليك بالله تعالى، وأتشفع إليك بمحمد صلى الله عليه وسلم وبقرابتك منه، إلا ما أعفيتني من الكلام في هذا، قال: قد أعفاك أمير المؤمنين، ثم التفت إلى بن سمعان فقال له :أيها القاضي ناشدتك الله تعالى، أي الرجال أنا عندك؟ فقال بن سمعان :أنت والله خير الرجال يا أمير المؤمنين، تحج بيت الله الحرام، وتجاهد العدو، وتؤمن السبل، ويأمن الضعيف بك أن يأكله القوي، وبك قوام الدين، فأنت خير الرجال، وأعدل الأئمة .ثم التفت إلى بن أبي ذؤيب فقال له: ناشدتك الله، أي الرجال أنا عندك؟ قال :أنت والله عندي شر الرجال، استأثرت بمال الله ورسوله، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين، وأهلكت الضعيف، وأتعبت القوي، وأمسكت أموالهم، فماحجتك غداً بين يدي الله؟ فقال له أبوجعفر : ويحك، ما تقول أتعقل؟ انظر ما أمامك، قال :نعم، قد رأيت أسيافاً، وإنما هو الموت، ولا بد منه، عاجله خير من آجله، ثم خرجا " (2)

---

(1) أنظر الإمامة والسياسة: 2/ 287

(2) أنظر الإمامة والسياسة 2/ 279

وما زال الإمام جالسا عنده، فقال له المنصور: "إني لأجد رائحة الحنوط عليك، قال الإمام: أجل، لما نمي إليك عني ما نمي، وجاءني رسولك في الليل، ظننته القتل، فاغتسلت وتطيبت، ولبست ثياب كفني، فقال أبوجعفر :سبحان الله ما كنت لأثْلِم الإسلام، وأسعى في نقضه، أو ما تراني أسعى في أودِ الإسلام، وإعزاز الدين، عائذاً بالله مما قلت يا أبا عبد الله"([1])

مُحَمَّد المهدي:

توفي المنصور في رحتله هذه للحج في 6/ ذي الحجة سنة 158هـ، ولم يستطع أن يحج، وخلفه مُحَمَّد المهدي، وخرج المهدي بعد سنتين من وفاة المنصور عام 160هـ عازما على الحج مع ابنيه هارون وموسى، فلما فرغ من الحج اتجه إلى المدينة المنورة، فما إن وصل إلى قرب من المدينة المنورة إلا خرج علماءها وشرفاءها لإستقباله، ورحبوا به، وكان منهم الإمام مالك، ولما رأى المهدي الإمام أقبل إليه، وحياه وعانقه، وكانت تلك السنة مجدبة، وقحطا في الحجاز، فانتهز الإمام هذه الفرصة واغتنمها وشفع إليه لأهل المدينة وحضه على الإحسان إليهم، وقال له: يا أمير المؤمنين، إنك تدخل بلدا يحتضن أولاد الأنصار والمهجرين، والذين أحبوا جوار النبي صلى الله عليه وسلم، عرف المهدي قصد الإمام مالك بن أنس من كلامه، فأرسل له

(1) أنظر الإمامة والسياسة 2/ 279

مبلغا من المال، ودراهم ليوزع على الناس، فأعطاها الإمام تلامذته ليوزع على من يحتاج إليها،([1])

وبعث المهدي إلى الإمام ثلاثة آلاف دينار مع حاجبه الخاص، وأظهر رغبته أن يذهب الإمام إلى بغداد، فقال له الإمام مالك بن أنس : لا أترك المدينة لأن النبي ﷺ قال: "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون" والمال عندي على حاله، لا حاجة لي به" (2)

---

(1) يقول ابن قتيبة: "فدخل عليه مالك، فحضه على الإحسان إلى أهل المدينة، وحدثه بفضلها وفضل أهلها، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها" :أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد"، ثم قال يا أمير المؤمنين :أفليس هؤلاء أهلاً أن يعانوا على الصبر عليها وعلى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .فقال المهدي :بلى والله يا أبا عبد الله، حتى لا أجد إلا مثل هذا، ومد يده ليأخذ من الأرض شيئاً فلم يجده .ثم قال صدقت فهم وبررت، وحضضت على الرشد، فأنت أهل أن يطاع أمرك، ويسمع قولك، فأمر بخمسة أبيات مال، والبيت عندهم خمسمائة ألف، وأمر مالكاً أن يختار من تلامذته رجالاً يثق بهم، ويعتمد عليهم، يقسمونها على أهل المدينة، ويؤثرون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيت أبي بكر وعمر وعثمان، ثم أهل بيوت المهاجرين والأنصار، ثم الذين اتبعوهم بإحسان، ففعل فأغنى أهل المدينة عامهم ذلك" الإمامة والسياسة 2/284-285

(2) تذكرة الحفاظ للذهبي 189/1 ، وذكر القاضي في المدارك : " لما قدم المهدي المدينة بعث إلى مالك بالفي دينار أو بثلاثة مع الربيع، فلما خرج من عنده، قال : يا جارية: لا تمسي هذا المال، فإني تفرست حين نظرت وجه الربيع، ورأيت فيه أمرا منكرا، ولهذا المال سبب، فلما حج المهدي وقدم المدينة، أتاه الربيع بعد ذلك فقال له: أمير المؤمنين يقرؤك السلام، ويحب أن تعادله إلى مدينة السلام، فقال مالك: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وقل له: قال رسول الله ﷺ: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والمال عندي على حاله، اخرجيه يا جارية، أخرجيه ، فأتي الربيع المهدي ، فغمه رد المال،"المدارك 100/2،وذكر السيوطي في التزيين: عن حسين بن عروة عن مالك قال: جاءني الربيع بألف دينار في كيس مختوم، ثم

ثم بعث إليه المهدي مطية ليركبها إلى دار الخلافة، فردها الإمام قائلا: "لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة"([1])

فأتى إليه الإمام وهو يمشي على قدميه، ولم يركب، مع ضعفه وكبر سنه وشدة مرضه، وكانت به علة فاتكأ على بعض العلماء المشاهير والأعلام بالمدينة، فقال المهدي لما رأى من خدمة الناس للإمام وتواضعهم له:

"سبحان الله! لو كنت أردت أن يخدمني أحد منهم لما أجابه إليه، فقال له المغيرة : " إن الشرف لمن يستند إليه الإمام مالك" ويا له من كرامة وشرف! (2)

عاد إلي، فقال: أمير المؤمنين يحب أن تعادله، تصحبه إلى مدينة السلام، فقال: أما إن الكيس على حاله لم أحركه، وقال رسول الله ﷺ : والمدينة خير لهم لوكانوا يعلمون" والحديث متفق عليه ، أخرجه البخاري: الحديث (1776) ومسلم: الحديث(1388) من حديث سفيان بن ابي زهير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لوكانوا يعلمون، وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهمن والمدينة خير لهم لوكانوا يعلمون،وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهمن والمدينة خير لهم لوكانوا يعلمون،"

(1) وفيات الأعيان 135/4، وكان الإمام مالك بن أنس يحب المدينة حبا لا يتصور فوقه، وكان لا يخرج منها إلا للحج أو العمرة،

(2) مناقب الإمام للزواوي ، ذكر الزواوي عن أبي مصعب حكاية قدوم المهدي المدينة المنورة،فقال: لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره من أشراف المدينة على أميال من المدينة، فلما أبصر المهدي لمالك وعلى مالك ثياب سود عدنية انحرف إليه المهدي وعانقه وسلم عليه وسايره، فالتفت إليه مالك فقال: يا أمير المؤمنين ! إنك تدخل الآن المدينة فيمن يقوم عن يمينك وعن يسارك وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم

فقال المهدي للإمام:

لو صنفت كتابا أحمل المسلمين على العمل به، فقال الإمام وهو يشير إلى الإفريقية : إنى قد خلصتك من هذه البقعة من الأرض، يكفي الأوزاعي لأهل الشام، وأما أهل العراق فما أعلمهم !

إنكار الإمام من القراءة:

وفي هذه الرحلة سمع المهدي الموطأ من الإمام، وجاء في بعض المصادر أن الإمام صنف الموطأ على طلبه، ولكنه لا يصح ذلك، طلب المهدي من ابنيه هارون وموسى أن يسمعا المؤطا من الإمام، فبعثا إليه، فلم يجبهما، وقال:

"العلم يؤتى أهله، فحضرا إلى مجلسه، فأراد مؤدبهما من لإمام أن يقرأ عليهما، فقال له الإمام:

فانه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا بلد خير من المدينة،فقال له لم يا أبا عبد الله؟ قال : لأنه لايعرف قبر نبي على وجه الأرض غير قبر محمد ﷺ، ومن كان قبر محمد ﷺ عندهم ينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم، ففعل المهدي ما أمره به مالك، فلما دخل المدينة ونزل وجه إلى مالك ببغلة ليركب ويأتيه، فرد مالك البغلة وقال: أني لأستحيي من الله أن أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ، و أتاه ماشيا وكانت به علة، فاتكأ على المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي وعلى حسن بن أبي زيد العلوي، وعلى ابن علي اليمني، وكانوا من علماء المدينة وأشر افها، فقال المهدي : سبحان الله! رد البغلة إجلالا لرسول الله ﷺ، فقيض الله له هؤلاء، فوالله لو دعوتهم أنا إلى هذا ما أجابوني إليه، فقال له المغيرة: نحن يا أمير المؤمنين قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ مالك علينا" مناقب مالك ص: 77-78

"إن مما عهدنا من عادة أهل المدينة أنهم يقرؤون على العالم، ويسمع الشيخ، ويقر، فلما أخبر المهدي عن عدم قراءة الإمام لهما، فقال لهم :

"عليكما أن تقتدوا بهؤلاء، فقرأوا عليه"،([1])

موطأ الهادي:

توفي المهدي سنة 169هـ، وخلفه ابنه موسى الملقب بـ" الهادي" وامتدت خلافته سنة واحدة، وما سنحت له فرصة الاستفادة من الإمام بعد وفاة أبيه، إنما أخذ عن الإمام في أيام أبيه،

هارون الرشيد:

ثم تولى زمام الخلافة العباسية الخليفة الشهير الذي قال عنه أحد من الشعراء :

---

(1) وقال السيوطي في التزيين: عن عمرو بن المجبر الرعيني قال: قدم المهدي أمير المؤمنين المدينة، فبعث إلى مالك فأتاه، فقال لهارون وموسى: إسمعا منه، فبعثا إليه، فلم يجبهما، فأعلما المهدي، فقال لمالك: لم إمتنعت عليهما؟ فقال: يا أمير المؤمنين ! العلم نضارة يؤتى أهله، فقال: صدق مالك، سيرا إليه، فلما سارا إليه وقال مؤدبهما: إقرأ علينا، فقال له مالك: إن أهل هذه المدينة يقرؤون على العالم كما تقرأ الصبيان على المعلم، فإذا أخطأوا أفتاهم، فرجعوا إلى المهدي، فبعث إلى مالك، فقال : ساروا إليك فمنعتهم من السماع، ولم تقرأ عليهم، فقال له مالك: سمعت من ابن شهاب يقول: جمعت هذا العلم من رجال في الروضة، وهم سعيد بن المسيب، و أبوسلمة، القااسم محمد، وسالم بن عبد الله، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار ،ونافع، و ابن حزم، ومن بعدهم أبو الزناد وربيعة، ويحيى بن سعيد، و ابن شهاب ، كل هؤلاء يقرأ عليهم، ولا يقرؤون، فقال: في هؤلاء قدوة، سيروا إليه فاقرؤوا عليه، ففعلوا" تزيين الممالك ص: 93- 94

فمن يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور

ففي أرض العدو على طمر وفي أرض البرية فوق كور

وكانت مصنفات الإمام قد ذاع صيتها في أنحاء البلاد، وطارت بها الركبان، وخرج هارون الرشيد في السنة الأولى من عهد خلافته إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة حاجا وزائرا، فخرج عامة الناس لإستقباله والترحيب به ماشين على أرجلهم، واستقبله مالك في محمل، فلما رأى هارون الرشيد الإمام اهتز له فرحا، وقال له: "وردت علينا كتبك، فأمرنا فتياننا بالنظر فيها، إلا أنا لم نر فيها ذكرا لعلي وابن عباس، فقال: لم يكونا ببلدي، ولم ألق رجالهما" (1)

هارون والأمين والمأمون في مجلس الإمام:

قدم هارون الرشيد حاجا سنة 174هـ مع ابنيه الأمين والمأمون ، وطلب من الإمام أن يأتي إلى قصر الإمارة، فأنكر الإمام، وذهب إليه بدون الموطأ، فشكا هارون الرشيد إليه، فقال الإمام: يا أمير المؤمنين: "العلم يوتى ولا يأتي، وإن ابن عمك هو الذي جاء بالعلم ﷺ فإن رفعتموه ارتفع، وإن وضعتموه اتضع" (2)

---

(1) رواه السيوطي في التزيين عن الخطيب البغدادي ص: 95

(2) تزيين الممالك عن ابن فهرص: 93، وأخرج السيوطي كذلك عن الحسن بن علي بن شيبان بن عمر بن محمد بن عراك الخ... وفيه: قدم هارون الرشيد المدينة، فوجه البرمكي إلى مالك، وقال له: احمل إلى الكتاب الذي صنفته حتى أسمع منك، فقال للبرمكي: إقرأه السلام، وقل له: إن العلم يزار ولا يزور، وإن العلم يؤتى ولا يأتي، فرجع البرمكي إلى هارون، فقال له: يا أمير المؤمنين، يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك في أمر فخالفك، إعزم عليه حتى يأتيك، فإذا بمالك قد دخل عليه وليس معه كتاب، و أتاه مسلما، فقال : يا أمير المؤمنين! إن الله جعلك في هذا الموضع بعلمك، فلا تكن أنت أول من يضع العلم فيضعك

فتأثر بذلك هارون الرشيد، وأتى إلى مجلس الإمام مع إبنيه الأمين والمأمون، ورأى كثرة الناس وازدحامهم حول الإمام، فقال: إليك عنا هذا الجمع من الطلبة، فقال الإمام: "إن العلم إذ منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة" (1)

وجلس هارون الرشيد على المنصة: فقال الإمام: أدركت أهل العلم ببلدنا أنهم يحبون التواضع، فنزل هارون عن المنصة، وجلس بين يديه"(2)

مجلس من مجالسه:

وقد حضر في هذه الرحلة مع هارون الرشيد عدد كبير من فقهاء الحجاز والعراق والشام، ولم يتخلف منهم أحد إلا حضر ذلك الموسم مع الرشيد وسمعوا من مالك موطأه الذي وضع، وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد، وفي نهاية كل مسئلة كان الفقهاء والمحدثون يعترفون بصحتها بسكوتهم عليه، ويُرى كأن بحرا فياضا للمعارف الفقهية والعلوم يتموج بلسان الإمام، وتضرب أمواجها بسواحل القلوب، وتأخذها كل مأخذ، لما انتهى المجلس ورجع الإمام عن المجلس قال هارون مخاطبا للفقهاء: " أنكرتم شيئاً من هذا العلم؟" قالوا :" ما أنكرنا شيئاً إلا في شيئ واحد" فقال الرشيد:" ويحكم، إن في كتاب الله ما يصدق ذلك، ولا إخال أبا عبد الله

الله، ولقد رأيت من ليس هو في حسبك ولا في أبهتك يعز هذا العلم ويجله، فأنت أحرى أن تجل وتعز علم ابن عمك، ولم يزل يعدد عليه من ذلك حتى بكى هارون" ص: 93

(1) شذرات الذهب 1/ 291

(2) نفس المصدر

أخذه إلا من كتاب الله فاستثبتوه" فأرسل إلى الإمام فأقبل، فقال هارون : يا أباعبدالله، إن أصحابنا هؤلاء إختلفوا في شيئ، فقم بدليل على صحتها، فأخبر القوم، وأوضح لهم حجتك في ذلك وأنا معك عليهم" وكان هارون الرشيد يجل الإمام ويحترمه كثيرا، يتجلى ذلك من قوله: "وأنا معك عليهم" فقام الإمام ببيان الأدلة من الكتاب والسنة حتى أقنع الحضور من الفقهاء والعلماء، ثم قال مخاطبا لهارون: إن أباك يا أمير المؤمنين بعث إلي في هذا المجلس كما بعثت إلي، وحدثته بما حدثتك به في شأن أهل المدينة، وما يصبرون عليه من البلاء، وشدة الزمان، وغلاء الأسعار، صبراً على ذلك، واختياراً لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال هارون :ذلك هو أبي وأنا ابنه، وسوف أفعل ما فعل، وأمر لأهل المدينة بعشرة أبيات مال، ضعف ما أمر به المهدي،

ثم أرسل الرشيد إلى مالك فسأل: ما تقول في هذا المنبر، فإني أريد أن أنزع ما زاد فيه معاوية بن أبي سفيان وأرده إلى ثلاث درجات، التي كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال له مالك :لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنما هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير، فإن نقضته تفكك، وذهب أكثره، ومع هذا إنه يا أمير المؤمنين لو أعدته إلى ثلاث درجات لم آمن عليه أن ينتقل عن المدينة، يأتي بعدك أحد فيقول أو يقال له :ينبغي لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون معك حيث كنت، فإنما المنبر للخليفة، فينتقل كما انتقل من المدينة كل ما كان بها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أعلم أنه ترك عليه الصلاة والسلام بها

نعلا ولا شعرا ولا فراشا ولا عصا ولا قدحا ولا شيء مما كان لي هاهنا في آثاره إلا وقد انتقل، فأطاعه الرشيد، وانتهى عن ذلك برأي مالك بن أنس، وكان ذلك رحمة من الله لأهل المدينة، وتثبيتاً لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم" (1)

---

(1) راجع للتفصيل الإمامة والسياسة لابن قتيبة (2 / 286-288) ذكر فيه هذه المناقشات العلمية التي دارات بين الإمام وبين الفقهاء، قال ابن قتيبة فيه: قال : وذكروا أنه لما كانت سنة أربع وسبعين ومائة، خرج هارون حاجاً إلى مكة، فقدم المدينة زائراً قبر النبي عليه الصلاة والسلام، فبعث إلى مالك بن أنس، فأتاه، فسمع منه كتابه الموطأ، وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن، ولم يتخلف منهم أحد إلا حضر ذلك الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطأه الذي وضع، وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد.فلما أتم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق :هل أنكرتم شيئاً من هذا العلم؟ قالوا :ما أنكرنا شيئاً إلا ما ذكر من أمر الدماء، والتدمية في القتل، فإن هذا من أنكر ما يكون من العلم و أبطلِه، يقول الرجل:قتلني فلان فيقبل منه، ويحلف أولياؤه على القاتل خمسين يميناً، ثم يقتل، ولعل أولياءه لم يحضروا، ولم يكونوا بمصر، فيعرض بهم الحنث في الإيمان، فيقبل قول رجل من غيره، وهو لا يقبل في ربع دانق يدعيه إلا ببينة تقوم، إن هذا لهو الضلال .وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه بن عباس حيث قال" :لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى ناس لدماء أقوام وأموالهم، ولكن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر"قال الرشيد :ويحكم، إن في كتاب الله ما يصدق ذلك، ولا إخال أبا عبد الله أخذه إلا من كتاب الله فاستثبتوه .فأرسل إليه فأقبل .فقال هارون :يا أبا عبد الله، إن أصحابنا هؤلاء لم يختلف منهم اثنان في الإنكار عليك فيما وضعت في موطئك من التدمِية وتصديق قول من ادعى،و أنت وهم تزعمون بطْل دعوى من أدعى على رجل دانقاً إلا ببينة تقوم له، فأخبر القوم، وأوضح لهم حجتك في ذلك و أنا معك عليهم، فإني لا أعلم بعد أمير المؤمنين أحداً أعلم منك، فقال مالك :يا أمير المؤمنين، إن مما يصدق القسامة ما في كتاب الله من القتل، والأخذ بالدم الذي كان في بني إسرائيل. قال الله عز وجل" :اضربوه ببعضها، "البقرة 73 :، فذبحت البقرة، ثم ضربوه بعضو من أعضائها، فحيي القتيل، ثم تكلم .فقال :فلان قتلني، فقتله موسى بن عمران عليه السلام

بقوله ذلك، وهو حكم التوراة، فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا، فالذين أسلموا :محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قد حكم بالتوراة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في المرجوم اليهودي الذي زنى، فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودياً لقي جارية من جواري الأنصارفي بعض أنقاب المدينة، وعليها أوضاح من ذهب وورِق، فأخذ الأوضاح منها، وشدخ رأسها بين حجرين، فأدركت الجارية وبها رمق، فاتهم بها اليهود، فأتي بهم، فعرضوا عليها رجلاً رجلاً وهي لا تتكلم، حتى أتي بصاحبها الذي قتلها فعرفته .فقيل له :هذا الذي قتلك؟ فأومأت برأسها أن نعم، فأمررسول الله صلى الله عليه وسلم فشدخ رأسه بين حجرين، فهذا يا أمير المؤمنين حكم الدماء، والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء، فقنعوا منه بذلك، وصاروا إلى الرضا بقوله، والتصديق لرو ايته، والتسليم لتأويل ما تأوّل من القرآن الكريم .ثم قال له مالك :إن أباك يا أمير المؤمنين بعث إلي في هذا المجلس كما بعثت إلي، وحدثته بما حدثتك به في شأن أهل المدينة، وما يصبرون عليه من البلاء، وشدة الزمان، وغلاء الأسعار، صبراً على ذلك، واختياراً لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .فقال هارون :ذلك هو أبي و أنا ابنه، وسوف أفعل ما فعل، وأمر لأهل المدينة بعشرة أبيات مال، ضعف ما أمر به المهدي، وكان أبو يوسف القاضي مع الرشيد يومئذ، فسأله أن يِجمع بينه وبين مالك، ليكلمه في الفقه .فقال الرشيد لمالك :كلمه يا أبا عبد الله، فأنف من ذلك مالك، وتنزه عنه، وقال لهارون :هاهنا من فتيان قريش من تلامذتنا، من يبلغ حاجة أمير المؤمنين، ويخصمه فيما يتكلم به، ويذهب إليه، فسر ذلك الرشيد حين أضاف ذلك إلى قريش .فقال :من هو؟ فقال :المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، فبعث إليه الرشيد فجمعه بأبي يوسف فقال :كلمني بما بدا لك أجاوبك .فقال أبو يوسف القاضي :يا أمير المؤمنين إن هؤلاء، يعني مالكاً وأصحابه، يقضون بغير ما في كتاب الله، يقول الله عز، وجل" :وأشهدوا ذوي عدل منكم "الطلاق 2 :وقال" :واستشهدوا شهيدين من رجالكم "البقرة82 : وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد، ولا نسمع أن الله تعالى ذكر إلا شاهدين وأربعة شهداء، ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى به، و إنما يدور هذا الحديث الذي روى فيه سهيل عن أبي صالح عن أبيه، ثم نسبه سهيل، فكان يحدث ويقول :حدثني ربيعة عن أبي هريرة" :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسبه سهيل بطل الخبر، و أثبت أصله، فلا معنى لذكره .قال المغيرة: قضى به رسول الله صلى اللهّ عليه وسلم، وقضى به علي بالكوفة، فقال أبو

أخرج أبونعيم في الحلية عن عبد الله بن عبدالحكم: قال سمعت مالك بن أنس يقول: شاورني هارون الرشيد في تعليق الموطأ في الكعبة، وأن يحمل الناس على ما فيه، وهذه كانت فرصة ذهبية لا تسنح إلا نادرا، ويغتنمها الذين يحرصون على العز والجاه، ولكن الإمام قال في عزة العلم: يا أميرالمؤمنين : "إن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب" (1)

يوسف :أنا أكلمك بالقرآن، و أنت تكلمني بأفعال الناس، أتراك تعرفني بهذا، وبما قضى به علي وغيره .فقال المغيرة :فأنت كافر بنبي قضى باليمين مع الشاهد، أو مؤمن به. فسكت أبو يوسف فحجه المغيرة .فسر بذلك الرشيد، وأمر للمغيرة بألف دينار .ثم أرسل الرشيد إلى مالك فقال :ما تقول في هذا المنبر، فإني أريد أن أنزع ما زاد فيه معاوية بن أبي سفيان وأرده إلى الثلاث درجات، التي كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال له مالك : لا تفعل يا أميرالمؤمنين، فإنما هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير، فإن نقضته تفكك، وذهب أكثره، ومع هذا إنه يا أمير المؤمنين لو أعدته إلى ثلاث درجات لم آمن عليه أن ينتقل عن المدينة، يأتي بعدك أحد فيقول أو يقال له :ينبغي لمنبررسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون معك حيث كنت، فإنما المنبر للخليفة، فينتقل كما انتقل من المدينة كل ما كان بها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أعلم أنه ترك له عليه الصلاة والسلام بها نعل ولا شعر ولا فراش ولا عصا ولا قدح ولا شيء مما كان لي هاهنا في آثاره إلا وقد انتقل .فأطاعه الرشيد، و انتهى عن ذلك برأي مالك بن أنس وكان ذلك رحمة من الله لأهل المدينة، وتثبيتاً لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم"

([1]) تزيين الممالك ص : 95، وأخرج الخطيب في رواة مالك عن اسماعيل بن أبي مجالد قال: قال هارون الرشيد: يا أبا عبد الله، نكتب هذه الكتب ،ونفرقها في آفاق الإسلام، فنحمل هذه الأمة على ما فيها،قال: يا أميرالمؤمنين ورضي الله عنك، إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة، كل يتبع ما صح عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله" تزيين الممالك ص: 95

رسالة الإمام إلى هارون الرشيد:

لقد توفي الإمام مالك بن أنس في عهد هارون الرشيد، وقد نهل الأمين والمأمون من منهل الإمام في أيام أبيهما، وقد كتب الإمام إلى هارون الرشيد رسالة نصح له فيها، وعلمه الآداب والسنن، وقدطبعت هذه الرسالة من مصر، وصدرت ترجمتها باللغة الأردية من "لاهور" في "باكستان"

إن القصص المؤثرة التي ذكرناها من لقاء أمير المؤمنين هارون مع الإمام، وحضور ابنيه الأمين والمأمون في مجلس الإمام، والمحادثة الحرة بينه وبين هارون، والأنفة العلمية والغيرة على العلم للإمام مالك بن انس حتى أمام السلاطين، وجحود الإمام عن أن ينزل ابنيه مقاما خاصا دون الآخرين في مجلس العلم، وتواضع هارون الرشيد مع العلم، إن كل ذلك وقع في قلبي وأثار قريحتي فقرضت عدة أبيات باللغة الأردية، وملخصها كما يلي:

"إن مفخرة الخلافة العباسية ورأس عزها هارون الرشيد قد سافر مرة إلى المدينة المنورة، وقدكان رافقه في رحلته ابناه: الأمين والمأمون، فلذة كبده، وقرة عينيه،

وكانت المدينة المنورة في ذلك الزمان، منبعا صافيا ومنهلا عذبا للقرآن والسنة،

وبها المسجد النبوي كان مركزا للعلم والفقه، وفيه كانت حلقة الإمام مالك بن أنس،

وكان هذا هو الحفل الذي لا يسمع فيه صوت ولا نداء، إلا قول القائل: "قال رسول الله"

وكانت النغمات الربانية تتردد فيه على الألسنة، والشخصيات المحترمة فيه معتكفون،

وتجد "حدثنا وأخبرنا" في كل ناحية، وكل جانب فيه دوي " صل على خير البشر"

وكان على قطب واحد التف العالم كله، من الهند والصين والشام والعرب والغرب ومصر والبربر،

وكان من أمنيات الخليفة بعد ما زار من رونق وبهاء في المدينة أن لا يرجع هو وابناه خائبين، وصفر الأيدي،

فأرسل إلى مالك بن أنس أن ابنيه لا يحضران مع عامة الناس، وملأ منهم، فيجدر بك أن تملي الأحاديث اليوم في أيوان خاص، خالصة لهما دون غيرهما،

فقال الإمام : يا أمير المؤمنين ! لا يسعنا إلا أن نمتثل بأمرك،

ولكن هذا العلم النبوي إنما هو تراث ابن عمك، فلك أن تكرمه أو تهينه، تجله أو تضعه،

ولما سمع الخليفة من قول الإمام، فقال: إن لم تأت إلينا أنت فهذان يحضران الدرس بأنفسهما، ولكن الرجاء أن لا يدخل في الحلقة سواهما عندئذ،

فأرسل إليه الإمام وصرح بأنه لا يمكن التمييز بين الأمراء والفقراء عندي، ليس هذا مجلسا خاصا، إنما هو عام للجميع، والإسلام لا يعلمنا إلا العدل والمساواة"

وفاة الإمام مالك ابن أنس:

لما بلغ الإمام الحادية والثمانين من عمره المبارك اضمحلت قواه، وضعف، فترك الحضور في المسجد، وفي الجماعة، والخروج إلى الناس في مناسباتهم من الفرح والحزن، وكان الناس يعترضون عليه، فكان يقول الإمام: ليس من المعقول أن يبين كل شخص ما به من الأعذار، وكان معن بن عيسى (ت 198) الذي كان من تلامذته الأحباء لديه، ومن رواة الصحاح يخدم الإمام، فكان يمشي الإمام ويتوكأ عليه، ورغم هذا الضعف والمرض والهرم لم تضعف الهمة العالية والنبع الفياض من علمه، فلم يتوقف في يوم من الأيام عن الدرس والأفتاء، والإفادة، وقد جاء إليه يحيى بن يحيى الأندلسي المصمودي راجعا من مصر ليأخذ عنه " المدونة" مرة ثانيا، فوجد الإمام مشرفا على الموت، تكاد أن تفيض روحه الطاهرة،

مرض الإمام مالك بن أنس يوم الأحد، واستمر مرضه حوالي ثلاثة أسابيع، ولم يتخفف من شدة المرض، وما أفاق شيئا، فأيقن الناس بأن الوقت الموعود والأجل المحتوم الذي لا مناص عنه قد أتاه، فتدفق إلى زيارته الأخيرة من علماء المدينة وأمرائها، يقول يحيى بن يحيى: كنت في أسف وغم شديد على حرماني، وكان يبكي أولئك الذين قضوا وقتا طويلا من حياتهم معه ولازموه، وكان قد جلس حوله في ذلك الوقت مأة وستون عالما من أعلام الحديث والفقه في المدينة المنورة سوى من حضر من تلاميذه بأدب وتواضع وعيون باكية،

وكان الإمام يبرد تحركه شيئا فشيئا وتضعف قوته، وكانت الدموع تسيل من عينيه، إذ دخل عليه القعنبي الذي كان من أخص تلاميذه، فسأل القعنبي: ما يبكيك ؟ فقال : يا ابن قعنب! وما لي لا أبكي ؟ ومن أحق بالبكاء مني؟ والله لوددت أني ضربت لكل مسئلة أفتيت فيها برأيي بسوط، وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه، وليتني لم أفت بالرأي" (1)

ولم يزل يبكي وشفتاه تتحرك إذ فاضت روحه الطاهرة ولحقت بالرفيق الأعلى، وقد بقى ازدحام العلماء والتلاميذ على حالهم، وأما الرئيس فقد نام نومة لا يقظة بعدها، و"فقدوا صديقهم والبلاد كما هي"

وكان مولد الإمام على الأصح سنة ثلاث وتسعين، وتوفي شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومأة من الهجرة عن حياة عامرة بالعلم والورع، عن ست وثمانين سنة، وجلس على منصة الدرس سنة 117هـ، ولم يزل يفيض بالعلم والإفتاء ويتدفق نبعه الفياض طيلة اثنتين وستين سنة،

وقد تزاحم الناس بمناكبهم في جنازته، وقد كان عبد الله بن مُحَمَّد الهاشمي والي المدينة ممن شيعوا جنازته وحملوا جسده الطاهر المبارك، وقد غيب في ثرى البقيع الطيبة، وهي موضع مبارك لمن آثروا الحياة الأخرى، وطووا المنزل الأول من حياتهم في المدينة المنورة، ووارت هذه التربة أعلام الإسلام ومشاهير التاريخ الإسلامي من أم المؤمنين عائشة، وأمير المؤمنين عثمان بن عفان، والإمام حسن بن علي، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله

([1]) وفيات الأعيان 2/ 300 ، قال ابن خلكان : حكى الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب " جذوة المقتبس" وذكر القصة،

عليه وسلم، وأم المؤمنين حفصة، وغيرهم، ﷺ، دفن إمام دارالهجرة في جنبهم، (1)

لقد رأى عمر بن سعد الأنصاري بعد وفاة الإمام فيما يراه النائم أن رجلا ينشد هذه الأبيات:

لقد أصبح الإسلام زعزع ركنه غداة ثوى الهادي لدى ملحد القبر

إمام الهدى ما زال للعلم مائنا عليه سلام الله في آخر الدهر

وما إن وصل نبأ وفاة الإمام إلى القاصي والداني إلا أحزنه، وبلغ خبر موته إلى البلاد المترامية والنائية ناح أهلها عليه، وأبدوا أحزانهم، ولما سمع سفيان بن عيينة في الكوفة اعتراه الصمت والسكوت، ولما تكلم قال: "ما نزل على وجه الأرض مثله" وقال حماد:"رحمه الله كان من الدين بمكان"

ولم يتقلص الحزن عليه في قلوب المحبين الصادقين بعد ما مضى عليه حوالى 322 سنة، إذ رثى له أبوجعفر القاري البغدادي ت/500 هـ ، فقال :

سقى جدثا ضم البقيع لمالك من المزن مرعاد السحائب مبراق

إمام موطأه الذي طبقت به أقاليم في الدنيا فساح وآفاق

أقام به شرع النبي مُحَمَّد له حذر من أن يضام وإشفاق

له سند عال صحيح وهيبة فللكل منه حين يرويه إطراق

([1]) انظر: وفيات الأعيان 2/ 300، تزيين الممالك ص 86، الحلية 330/6، التمهيد 88/1، قال السيوطي: وصلى عليه عبد الله بم محمد بن إبراهيم الهاشمي أمير المدينة، وحضر جنازته ماشيا، وكان أحد من حمل نعشه" ص: 86

وأصحاب صدق كلهم علم فسل به الفهم إنهم إن أنت ساءلت حذاق

ولولم يكن إلا ابن إدريس وحده كفاه إلا أن السعادة أرزاق ([1])

وأرخ بعضهم تاريخ مولده ووفاته في هذين البيتين:

فخر الأئمة مالك نعم الإمام السالك

مولده" نجم هدى" وفاته " فاز مالك"([2])

(1) وفيات الأعيان 2/ 301

(2) الحطة بذكر الصحاح الستة 414

أخلاقه وشمائله وخصائصه الشخصية

إن كثيرا من الروايات المطرية المغالية ربما تسدل أستارا غلفا على حياة الشخصيات العظيمة والصالحين والمشاهير، مما يختفى وراءها الصدق والحقائق، بيد أن صفحات مشرقة من حياة الأسلاف هي التي تكون منارة طريق ومعالم سبيل للأخلاف،وتكون واضحة جلية، ونجد بفضل الله حياة الإمام نقية عن شوائب الاطراء والغلو، ونذكر فيما يلي بعض ميزاته وخصائصه،

الطاعة الربانية:

وكان الإمام مالك يعتبر من عباد زمانه وأتقياء عصره، ([1])

يشتغل بالعبادة وتلاوة القرآن الكريم في حين فراغه من الدرس والإفتاء، سأل أحد أخت الإمام عن أشغاله وأعماله في داخل البيت، فقالت: " المصحف والتلاوة وليس غير" ([2])

وقالت فاطمة بنت مالك: "كان مالك يصلي كل ليلة حزبه، فإذا كانت ليلة الجمعة أحياها كلها"

وروي عن ابن أبي يونس – ابن أخت الإمام البخاري- أن الإمام مالك كان يحيي الليلة الأولى من كل شهر"([3])

---

(1) الفهرست لابن النديم، المقالة السادسة الفن الأول في أخبار المالكيين،

(2) مناقب مالك للزواوي عن أبي ذهب ص: 33

(3) تزيين الممالك عن الخطيب ص: 36

حبه للرسول :

كان الإمام مالك بن أنس غاية في حب النبي ﷺ، يحبه، ويجله ويحترمه غاية الاحترام، وإذا سمع إسم النبي ﷺ امتقع وجهه واربد، وتغير لونه، كان يسئله الناس عن السبب، فيقول: "إن النفوس الزكية التي زرتها كانت حالها ضعف ما أنا فيه" (1)

وكان يكره الغوغاء ورفع الصوت واللغط والمراء في المسجد النبوي الشريف الذي فيه روضة النبي ﷺ، ويحسب ذلك وقاحة وإساءة إلى عتبة النبوة، ولا يجري على لسانه حديث النبي صلى عليه وسلم إلا إذا كان متمكنا من الطهارة، وجلس بسكينة ووقار وتواضع([2])،

وكان من تواضعه وحبه لمدينة الرسول أنه كان لا يركب في المدينة المنورة مع أن اصطبله كان مليئا بالخيل والبغال، وكان يقول:" لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة"(3)

---

(1) مناقب مالك للزواوي عن مصعب بن عبد الله ص: 33

(2) عن أبي مصعب قال: "كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على الطهارة إجلالا لحديث رسول الله ﷺ" تزيين الممالك ص: 38

(3) وفيات الأعيان 300/2، قال الزواوي في كتاب المناقب: " وكان مالك لا يركب في المدينة دابة ، ويقول: أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة، وروي أنه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده، فقال له الشافعي: أمسك منها دابة، فأجابه بمثل هذا،...و أفتى رحمه الله فيمن قال: تربة المدينة رديئة بأن يضرب ثلاثين، وأمر بحبسه ولو كان له قدر، وقال : ما أحوجه إلى ضرب عنقه! تربة دفن فيها النبي ﷺ يزعم أنها غير طيبة"مناقب مالك للزواوي ص: 83

وكان يستحيي أن يطأ تلك البقعة المباركة بأظلاف الدواب التي سعدت بأقدام النبي ﷺ، ولأجل شدة حبه بالنبي الكريم واشتغاله بالأحاديث الشريفة بحب وأدب وتواضع أنه كان يتشرف بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة فيما يراه النائم، (1)

حبه للمدينة المنورة:

كان الإمام مولعا بحب مدينة النبي ﷺ، ونزل حبها شغاف قلبه وسويداء نفسه، لم يخرج منها إلا للحج وزيارة بيت الله الحرام، وقد طلب منه الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور أن يقيم معه في بغداد فلم يقبل، وأرسل المهدي إليه الربيع بثلاثة آلاف دينار وأحب أن يصحبه إلى مدينة السلام، فقال: "أما إن الكيس على حاله لم أحركه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والمدينة خير لهم لوكانوا يعلمون"(2)

وبالغ في حب المدينة المنورة، وكان مدى حبه أنه كان يفضل المدينة على مكة المكرمة خلافا لجمهور العلماء والفقهاء ([3])

---

(1) أخرج أبو نعيم في الحلية والخطيب عن المثنى بن سعد القصير قال: سمعت مالكا يقول: "ما بت ليلة إلا ورأيت فيها النبي ﷺ" تزيين الممالك: ص: 33 ، الحلية لأبي نعيم 6/ 317

(2) تقدم تخريجه

(3) قد ذهب الجمهور إلى تفضيل مكة على المدينة وتفضيل المسجد الحرام على المسجد النبوي ، وذهب الإمام مالك إلى تفضيل المدينة المنورة على مكة المكرمة ، وتفضيل المسجد النبوي على المسجد الحرام وهو قول عمر بن الخطاب ﷺ . وقد استدل الجمهور على تفضيل مكة وحرمها بأدلة منها : ما ورد عن عبد الله بن عدي بن حمراء ﷺ قال : " رأيت رسول الله ﷺ و اقفا على الحزورة فقال : والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ،

كرمه وسخاؤه:

ومن ينظر حال العلماء اليوم من الفقر وقلة ذات اليد عندهم وبخلهم لا يمكن أن يفهم السخاء الملكي والكرم الواسع الشامل والجود للعلماء الأسلاف الذين يشبه كرمهم وسخاءهم سخاء الملوك، لقد أنفق الربيعة اثنين وثلاثين ألف دينار على تعلمه، والإمام أبوحنيفة النعمان كان يعطي تلامذته أكياس الدراهم والدنانير، والإمام الليث المصري ينفق من كرائم أمواله على تلامذته، والإمام مالك بن أنس لا يستهان بما كان ينفق ويفيض به خيرا، لقد ذهب مرة مع الشافعي إلى الأصطبل، وهما يشاهدان الجياد، فأثنى الإمام الشافعي على بعض الخيول، أهدى الإمام مالك

ولولا أني أخرجت منك ما خرجت " . وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة : " ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك ". فهذان الحديثان يدلان على تفضيل مكة على سائر البلدان ومنها المدينة، وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : " صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " .وفي حديث عبد الله بن الزبير ﷺ زيادة : " وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا " وهذا دليل على تفضيل المسجد الحرام بمكة على المسجد النبوي الشريف، واستدل مالك بأدلة في فضل المدينة منها ما سبق : "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة " وأنها القرية التي تأكل القرى، فإنه يدل على زيادة فضل المدينة على غيرها ، ومنها قوله ﷺ : " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشد " . واستدلوا بأن الله تعالى اختارها لنبيه ﷺ وخلفائه الراشدين وفضلاء الصحابة ، ولا يختار لهم إلا أفضل البقاع .وقد صرحوا بأن الخلاف ليس في الكعبة المعظمة، فإنها أفضل من المدينة كلها، إلا البقعة التي ضمت أعضاء الجسد الشريف للنبي ﷺ . وذكر الشربيني الخطيب أن القاضي عياض نقل الإجماع على أن موضع قبره ﷺ أفضل الأرض، والخلاف فيما سواه " أنظر الموسوعة الفقهية 38/ 307

الأصطبل كله بما فيه للشافعي، وكان يمنح الشافعي أحد عشر ألف دينار كل سنة،

اهتمامه بالضيافة والقرى:

والضيافة شيمة المؤمن، وكانت شعارا للعرب، بها يعرفون، ويتميزون، وكان للإمام مالك الحظ الأوفر من هذه السمة الإيمانية الكريمة، وكان الشافعي حينما يحضر لطلب العلم عنده ينزل في بيته، فكان مالك يضيفه ويهتم به اهتماما بالغا، حتى يأتي بالطعام ويعطيه الصحن، ويسكب له بيده، ويضع له ماء الوضوء في الصبح، ولما أراد الشافعي المغادرة ذهب معه إلى السوق، واستأجر له راحلة، وأعطاه كيس الدنانير زادا للطريق، (1)

([1]) وقصة الإمام الشافعي هذه من دخوله على الإمام مالك وضيافته له ممتعة ورائعة ذكرها ابن حجة الحموي في مرآت الأوراق، وأذكرهنا ملخصه: سأل الإمام الشافعي أعرابيا عن عالم المدينة واشتاق إلى لقائه، يقول الشافعي :" فقلت له من العالم بها والمتكلم في نص كتاب الله تعالى والمفتي بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال سيد بني أصبح مالك ابن أنس رضي الله تعالى عنه، قال الشافعي رضي الله عنه فقلت: واشوقاه إلى مالك! فقال لي: قبل الله شوقك، أنظر إلى هذا البعير الاورق فإنه أحسن جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل إلى مالك ،فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها وأركبوني البعير الاورق وأخذ القوم في السير ، وأخذت أنا في الدرس فختمت من مكة إلى المدينة ست عشرة ختمة، بالليل ختمة وبالنهار ختمة، ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنوت من القبر فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم، ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس متزرا ببردة متوشحا بأخرى ،قال: حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الشافعي رضي الله عنه: فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بي المجلس ، فأخذت عودا من الأرض فجعلت كلما أملى مالك حديثا كتبته بريقي على يدي والإمام مالك رضي الله عنه ينظر إلي

من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس وانتظرني مالك أن أنصرف فلم يرني انصرفت فأشار إلي فدنوت منه فنظر إلي ساعة ثم قال: أحرمي أنت قلت: حرمي ، قال أمكي أنت؟ قلت :مكي ، قال أقرشي أنت ؟ قلت :قرشي، قال كملت أوصافك لكن فيك إساءة أدب ، قلت : وما الذي رأيت من سوء أدبي ؟ قال رأيتك وأنا أملي ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له :عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول فجذب مالك يدي إليه فقال : ما أرى عليها شيئا، فقلت :إن الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست، وحفظته إلى حين قطعت، فتعجب الإمام مالك من ذلك فقال : أعد علي ولو حديثا واحدا، قال الشافعي رضي الله عنه فقلت: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدي إلى القبر كإشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدث بها من حين جلس إلى وقت قطع المجلس، وسقط القرص فصلى مالك المغرب و أقبل على عبده وقال: خذ بيد سيدك إليك، وسألني النهوض معه، قال الشافعي رحمه الله: فقمت غير ممتنع إلى ما دعا من كرمه، فلما أتيت الدار أدخلني الغلام إلى خلوة في الدار وقال لي : القبلة في البيت هكذا وهذا إناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء، قال الشافعي رضي الله عنه: فما لبث مالك رضي الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملاً طبقا، فوضعه من يده وسلم الإمام علي ثم قال للعبد: اغسل علينا ثم وثب الغلام إلى الاناء وأراد أن يغسل علي أولاً فصاح عليه مالك وقال: الغسل في أول الطعام لرب البيت، وفي آخر الطعام للضيف، قال الشافعي رضي الله عنه فاستحسنت ذلك من الإمام مالك رضي الله عنه، وسألته عن شرحه فقال: إنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يبتدىء بالغسل، وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه، قال الشافعي : رضي الله عنه فكشف الإمام رضي الله عنه الطبق فكان فيه صفحتان في إحداهما لبن ، والأخرى تمر، فسمى الله تعالى وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام، وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لي يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل إلى فقير معدم، فقلت :لا عذر على من أحسن إنما العذر على من أساء..... قال الشافعي رضي الله عنه: فلما أزمعت على السفر زودني الإمام مالك رضي الله عنه، فلما كان في السحر سار معي مشيعا إلى البقيع ثم صاح بعلو صوته :من يكري راحلته إلى الكوفة فأقبلت عليه وقلت بم تكتري وليس معك ولا معي شيء فقال لي : انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء الآخرة إذ قرع علي قارع الباب فخرجت إليه فأصبت ابن القاسم فسألني قبول هديته فقبلتها فدفع لي صرة فيها مائة دينار" مرأت الأوراق لابن حجة الحموي:ص:126

المتانة والرزانة :

والمتانة سجية من السجايا المهمة، وخصلة من الخصال الكريمة، وهي منة من الله الذي يمتن بها على عباده، دخل خارجي مرة في المسجد الجامع بالكوفة، ففر الناس كلهم وخرجوا سوى الإمام أبي حنيفة، وهو لم يتحرك من مجلسه،

لبس الإمام مالك مرة جورييه، وكان فيهما عقرب لم يدرك به الإمام، وجلس في الحلقة، إذ لدغه العقرب، ثم جعل يلسعه على التوالي سبعين لسعة، وبقي الإمام على حاله جالسا، لم يثن عطفه، ولم يلو جانبه احتراما للمجلس، وكان لونه يتغير ويتقمع، سأله الإمام عبد الله بن المبارك بعد انتهاء الدرس، فقال الإمام: كان عقرب في جوربي يلسعني،

حلمه ورحابة صدره:

قلما يجمع الإنسان بين الشكيمة والأنفة والعزة وبين الحلم ورحابة الصدر وسماحة القلب، وهما جوهران غاليان يندر جمعهما في شخص، وكان الإمام جامعا بين هاتين الصفتين المهمتين، فنجد من غيرته أنه يزجر ملكا جبارا مستبدا مثل المنصور، ومن حلمه وسماحته أنه يعفو عن المجرم الذي أساء إليه، وضرب على ظهره بالسوط، ويقول:" قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم منك" (1)

---

(1) أنظر لهذا التفصيل : الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري 2/ 290- 297

يروي تلميذ الإمام مالك معن بن عيسى أن ابن سرحون الشاعر جاء إلى الإمام وقال له: ذكرتك في أبياتي، وأعتذر إليك، فظن الإمام أنه قرض الأبيات في هجائه، فقال : "لا بأس" ، فقال ابن سرحون: أريد أن أسمعك إياها، فاحمر وجهه ولكن لسانه الحليم لم يلفظ إلا أن قال: أو تريد أن أسمع أيضا؟! فأنشد هو تلك الأبيات التي كان من معناها: إسأل فقيه المدينة مالكا هل الحب جريمة، قال الإمام بسكينة ووقار وصبر على ذلك: " ما أفتيت بهذا"(1)

صدقه وحريته:

وإن الخصيصة البارزة والصفة المشتركة التي كان يتحلى بها أسلافنا الكرام أنهم كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، ويعتبرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمتهم الأساسية والقطب الأعظم في حياتهم، وقد مر فيما سبق أن الإمام كان يختلف إلى الأمراء وبلاطهم ويذهب إليهم، وكان بعض الناس يعترضون عليه، فرد عليهم الإمام قائلا: كيف يجد الإنسان فرصة القول بالحق في وجههم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلاط الأمراء لولم يذهب إليهم ([2])،

لقد سبق فيما مضى أن أبا جعفر المنصور أرسل إلى بعض الفقهاء والإمام مالك، ودعاهم، وسألهم عن نفسه وشخصيته، فكان ابن أبي ذئب

---

(1) أنظر الطبقات الكبرى للسبكي 52/6 ط: مصر

([2]) قال الزواوي في كتاب المناقب: " قيل لمالك: إنك تدخل على السلاطين وهو يظلمون ويجورون، فقال رحمك الله: فأين التكلم بالحق" مناقب مالك ص: 80

أشجعهم كلاما وأغلظهم في القول، وأما الإمام مالك فسكت ولم يقل شيئا، وهذا السكوت والاحتيال وعدم الإجابة الصريحة ليس بأقل من الكلام المبين، لقد جلد في بيان الحق الصريح والجهر به، ولأنه لم يبال بالحكومة المستبدة والحكام الجائرين في إظهار كلمة الحق، بدأ المنصور يرفع الصوت في الحوار معه في المسجد النبوي الشريف، فإذا بالإمام يزجره ويقول: " لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي "

وحينما خرج مُحَمَّد ذوالنفس الزكية وقام بالثورة فأفتى الإمام صريحا بأن الخلافة حق مُحَمَّد النفس، وأما العباسيون فهم استبدوا بالبيعة وأخذوها كرها وقهرا،

الأنفة والغيرة:

لقد قرن الله العلم بالسمو والرفعة وبالإجلال له والغيرة عليه، والتواضع والاكرام لأهله، والأدب معهم، والحرص على أخذه، وأن يأخذه الناس بأدب وتواضع، وكان الإمام مالك يجعل هذه الحقيقة نصب عينيه دائما، لقد مضى فيما سبق أنه كيف كان يقعد في مجلس العلم بأدب ووقار، وطمأنينة، ومتانة، ويهتم بالتعطر والثياب عندما يجلس للدرس، يعترض عليه المعترضون، فيقول: "أريد أن أجل العلم"

يهاب الحكام والملوك في الحضور على بابه والجلوس إليه ويمتلؤون رعبا، وهلعا، طلبه هارون الرشيد مرة في بلاطه ليسمع منه، فقال الإمام: "العلم يؤتى ولا يأتي" فحضر هارون إليه وخضع سلطان القوة والملك أمام سلطان العلم والفقر، أراد هارون أن يجلس على منصته لطلب العلم، فقال

الإمام: "إنما أدركت علماء هذا البلد يحبون التواضع" قال الرشيد: "إقرأ علي" فأنكر عليه الإمام، وقال : "ما قرأت على أحد منذ زمن، وإنما يقرأ علي" (1)

وكان من المعتاد عند أبي جعفر المنصور أنه إذا دخل عليه أحد قبل يد الخليفة قبل كل شيئ، دخل عليه الإمام مرار، ولكنه لم يقم بذلك أبدا،

حبه للإنصاف والعدل من نفسه:

وإن التمكن من العدل والمساواة والإنصاف ولاسيما الإنصاف من نفسه أغلى قيمة وأصعب منالا للإنسان، وأهم مما ذكرناه من الخصائل الأخرى، وكان من عادة الإمام أنه يقول في مسئلة لا يحسنها بدون أي تلعثم وأدنى توقف : "لا أدري"، إن هذه الكلمة الوجيزة المختصرة " لا أدري" لا تلفت انتباه العامة، وربما لا يلقون لها بالا، ولكن تصوروا أن رجلا ذا علم وهيبة يجلس بين أتباعه وتلاميذه، ويتربع على أريكة الدرس والتعليم، ويتبوأ مقام الإفتاء، يسمع قوله ويطاع، إذ يأتي إليه السائل ويسأل: ما تقول في كذا وكذا؟ في مثل هذا الموقف الرهيب لا يجترئ أحد أن يتكلم بكلمة تنقص من مكانته العالية بين الناس، إلا أصحاب الهمم العالية والعلماء الصادقين وأهل القلوب النقية الطاهرة، هم الذين يحكم الحق فيهم ولا يحكمون هم في الحق، فكذلك الإمام يقول بصراحة ولا يتلعثم ولا

([1]) **مناقب الإمام للزاوي ص: 78**

يتوقف :"لا أدري"، حتى يقول أحد تلاميذه: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك : " لا أدري" فعلت" ([1])

توقيره لأهل العلم:

لقد رأينا أن هارون الرشيد لما زار الإمام لطلب العلم وجلس على منصة الإمام معه، كرهه الإمام، وأتى إليه مرة الإمام أبوحنيفة النعمان فعظمه وأكرمه حتى بسط له رداءه على الفرش، ولما قام أبوحنيفة من مجلس الإمام قال لتلاميذه: هذا أبوحنيفة من أهل الكوفة، لو أراد أن يثبت هذا الأسطوانة من الذهب لفعل" ثم جاء إليه سفيان الثوري محدث الكوفة، فعظمه ووقره، وأكرمه دون أبي حنيفة، وقال لتلاميذه بعدما خرج من عنده : "ليعظم الناس على قدر منازلهم"

وكان عبد الرحمن بن القاسم تلميذه، وإذا كتب الإمام إليه رسالة يخاطبه بـ" فقيه مصر" مع أنه تلميذه، جاء إليه تلميذه الآخر المحدث القعنبي فخرج الإمام لاستقباله مع أصحابه إلى خارج البلد (2)

وصفه:

([1]) تزيين الممالك ص:39 و (حلية الأولياء 6/ 323)

(2) تذكرة الحفاظ للذهبي

وجاء في وصف الإمام أنه كان شديد البياض إلى الشقرة، ممدود القامة، عظيم الهامة، منبسط الجبين، واسع العينين، أشم العرنين، كث اللحية، ومسترسلها، أصلع الرأس، يكره قص الشارب قصا زائدا، ([1])

وكان مجبولا على الاهتمام البالغ بالطهارة والنزاهة، يلبس الحلل الفاخرة الغالية دائما، يعترض بعض الناس عليه، فيقول :ما لقيت عالما من

---

(1) الفهرسف لابن النديم، أخبار المالكيين، وجاء في سير أعلام النبلاء: عن عيسى بن عمر قال : ما رأيت قط بياضا ولا حمرة أحسن من وجه مالك ، ولا أشد بياض ثوب من مالك . ونقل غيرواحد أنه كان طوالا ، جسيما ، عظيم الهامة ، أشقر ، أبيض الرأس واللحية ، عظيم اللحية ، أصلع ، وكان لا يحفي شاربه ويراه مثلة، وقيل : كان أزرق العين، روى بعض ذلك ابن سعد ، عن مطرف بن عبد الله، وقال محمد بن الضحاك الحزامي : كان مالك نقي الثوب ، رقيقه ، يكثر اختلاف اللبوس،وقال الوليد بن مسلم :كان مالك يلبس البياض ، ورأيته والأوزاعي يلبسان السيجان،قال أشهب: كان مالك إذا اعتم ، جعل منها تحت ذقنه ، ويسدل طرفها بين كتفيه وقال خالد بن خداش :رأيت على مالك طيلسانا ، وثيابا مروية جيادا . وقال أشهب :كان مالك إذا اكتحل للضرورة جلس في بيته . وقال مصعب :كان يلبس الثياب العدنية ويتطيب، وقال أبو عاصم: ما رأيت محدثا أحسن وجها من مالك ، وقيل : كان شديد البياض إلى صفرة ، أعين أشم ، كان يوفر سبلته ويحتج بفتل عمر شاربه ، وقال ابن وهب : رأيت مالكا خضب بحناء مرة وقال أبو مصعب، كان مالك من أحسن الناس وجها، وأجلاهم عينا، وأنقاهم بياضا، وأتمهم طولا ، في جودة بدن، وعن الو اقدي: كان ربعة، لم يخضب ، ولا دخل الحمام، وعن بشر بن الحارث قال : دخلت على مالك ، فرأيت عليه طيلسانا يساوي خمسمائة ، وقد وقع جناحاه على عينيه أشبه شيء بالملوك، وقال أشهب: كان مالك إذا اعتم ، جعل منها تحت حنكه، وأرسل طرفها خلفه، وكان يتطيب بالمسك وغيره، وقد ساق القاضي عياض من وجوه حسن بزة الإمام ووفور تجمله" النبلاء 8/ 70-71، وفي التزيين للسيوطي: كان يكره حلق الشارب، ويعيبه، ويراه من المثل، كأنه مثل بنفسه" ص: 25

علماء هذا البلد إلا وجدته فاخرا الملابس، وكان يهتم بلباسه كثيرا، كانت الثياب العدنية مشهورة غالية فاخرة في ذلك الوقت، يطلبها لنفسه خاصة،([1]) وقد كان يلبس الثياب المروية ،

وكان الإمام يكثر من استخدام الطيب والعطور الفاخرة، وكانت تفوح من ثيابه رائحة منعشة ([2]) لايمر بمكان إلا كان يفوح بشذاه، وكان كثيرا ما يقول: إذا أنعم الله على عبده يحب أن يرى أثر نعمته عليه ([3]) وكان إذا اعتم، جعل منها تحت ذقنه، ويسدل طرفها بين كتفيه، أحيانا كان يستخدم طيلسانا (4) الذي كان من شعار العلماء يومئذ، وكان يتختم بخاتم من فضة، مرصع بفص من حجر أسود، مكتوب فيه "حسبنا الله ونعم الوكيل".

---

(1) الفهرست لابن النديم ، أخبار المالكيين

(2) قال الشافعي : رأيت مالك بن أنس رضي الله عنه قد دخل من باب النبي صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره في المسجد" مرآت الاوراق لابن حجة الحموي ص: 131

(3) رواه البيهقي من حديث عمران بن حصين -ﷺ- أن النبي -ﷺ- قال: إن الله يحب إذا أنعم على عبده نعمة أن يرى أثر نعمته وأخرج الترمذي في الأدب عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو، الحديث 2819 و أبوداؤد من حديث أبي الأحوص الجشمي في اللباس، الحديث (4063) والنسائي في الزينة الحديث(5223) وأحمد في مسنده،3/ 473

(4) هو نوْع من الْأَردية، وفي فتح الباري لابن حجر : والطَّيَالِسَة جَمْع طَيْلَسَان وَهُوَ الثَّوْب الَّذِي لَهُ عَلَم وَقَدْ يَكُون كِسَاء... وَوَقَعَ فِي حَدِيث أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْر عِنْد مُسْلِم أَنَّهَا " أَخْرَجَتْ جُبَّة طَيَالِسَة كِسْرِوَانِيَّة فَقَالَتْ : هَذِهِ جُبَّة رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. "

لقد كان الإمام مالك بن أنس إمتاز بالخصائص التي لم تتوفر لغيره، وخصه الله تعالى ببعض النعم التي لم يحظ بها غيره، ومن هذه الخصائص والميزات أن تربة المدينة المنورة الطاهرة أصبحت عنصرا لجسده المبارك، وأعظم من ذلك أنه كان يسكن في البيت الذي سكنه عبد الله بن مسعود رضي الله، ويعقد مجلسه للحديث والإفتاء في ذلك المكان الذي كان مسكنا لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ومن ثم لم يملك الإمام التراث العلمي الروحي لسيدنا الفاروق فحسب، بل شاءت له حكمة الله البالغة أن يرث منه الأملاك الظاهرة مع الأملاك الباطنة والمعارف العلمية الفاروقية.

مصنفات الإمام مالك بن أنس

لقد فتح باب التصنيف والتأليف في ذلك العهد الزاهر المشرق من العهود الإسلامية الأولى، والمؤلفات التي جادت بها يراعة الإمام مالك بن أنس أو تنسب إليه هي كما يلي([1]):

1- الموطأ

2- رسالة مالك إلى الرشيد

3- أحكام القرآن

4- المدونة الكبرى

5- رسالة مالك إلى ابن المطرف،

6- رسالة مالك إلى ابن وهب

7- كتاب الأقضية

8- كتاب المناسك

9- تفسير غريب القرآن

10- كتاب المجالسات عن مالك

11- تفسير القرآن

([1]) قال السيوطي في التزيين: والذي دلت عليه الأخبار السابقة والآتية، أن مالك صنف كتبا متعددة غير الموطأ، وقد تقدم عن أبي جعفر الأزهري من جلساء مالك أن أكبر كتبه كتاب المناسك، إلا أنه لم يشتهر له شيئ غير الموطأ" ص: 83

الموطأ:

سيأتي الكلام عليه قريبا إن شاء الله، غير أن للموطأ ميزة أساسية بين الكتب الأخرى، ذلك أن الموطأ رواه تلاميذ الإمام قاطبة أولهم وآخرهم، والكتب البقية لا يرويها إلا بعض التلامذة،

رسالة مالك إلى هارون الرشيد:

وهذه رسالة وجيزة وجهها الإمام إلى هارون الرشيد، وهي تحتوي على 22/صفحة، توخى الإمام من خلال هذه الرسالة نصيحة الخليفة وإرشاده إلى الحق والصواب في الأمور الدينية والدنيوية، روى هذه الرسالة عن الإمام ابن حبيب، وأسلوب هذه الرسالة أسلوب قديم يشبه أسلوب الموطأ في الرواية، وقد أنكرها كثير من المشايخ، وقالوا: توجد فيها الأحاديث المنكرة، والآثار الضعيفة، ولكن الحقيقة أن المحدثين لا يحتاطون في الأخلاق والآداب والمواعظ احتياطهم في غيرها، وذكرها ابن النديم في الفهرست وأنكر انتسابها إلى الإمام، وذلك يدل على أنها كانت موجودة في أوائل القرن الرابع الهجري، وهي مطبوعة متداولة، وترجمها أحد من العلماء في باكستان([1])

(1) قال السيوطي في التزيين: " ومنها رسالته إلى هارون الرشيد في الآداب والمواعظ، حدث بها ابن حبيب عن رجاله عن مالك، ورواها عبد الله بن نافع الزبير عن مالك، لكن إسنادها إليه ضعيف، وقد أنكرها كثير من المشايخ، وقالوا : فيها أحاديث منكرة، لو سمع مالك من يحدث بها أدبه، وحلف أصبغ بن الفرج ما هي من وضع مالك" تزيين الممالك ص: 84 وهي طبعت بتحقيق الشيخ عبد الكريم الحمداوي

أحكام القرآن :

وهذا الكتاب ليس من تأليف الإمام مالك بن أنس، بل ألفه العالم الشهير المفسر أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب الأندلسي (ت/437هـ) جمع فيه المؤلف ما روى عن الإمام مالك بن أنس من الآثار والأحاديث في التفسير، ولأجل ذلك سمي الكتاب بـ" كتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن "([1])

المدونة الكبرى:

هذا كتاب ضخم في الفقه المالكي، ويرى بعض المشيخ أنه من تأليف الإمام نفسه، وينسب إليه، وليس هو أيضا من مؤلفات الإمام، إنما ألفه عبد الرحمن القاسم ت/سنة191هـ، تلميذ الإمام وركن من أركان المذهب المالكي، جمع فيه الأقوال الفقهية المأثورة عن الإمام، ومن ثم يمكن أن نقول إنها موسوعة كبيرة جامعة للأثار والأقوال الفقهية للإمام، لقد بدأ ابن القاسم في جمع وتدوين الآراء الفقهية للإمام في عصره بعد رجوعه من المدينة المنورة، ولعله أكمله في ذلك الوقت، لأن تلميذ الإمام يحيى المصمودي أتى إلى الإمام نفسه من مصر ليسمع منه المدونة مرة ثانية، ولكنه وجد الإمام في مرضه للموت، وقد طبعت المدونة عدة مرات وهي معروفة متداولة،

([1]) كذا ذكره ابن فرحون، وفي كشف الظنون: مختصر أحكام القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي التوفى سنة 437هـ

رسالة مالك إلى ابن المطرف:

وهـذه أيضـا رسـالة مـوجزة إلى غسـان بـن مُحَمَّد بـن مطـرف، وهـي مشتملة على موضوع "الفتوى"، ورواها من تلاميذ الإمام خالد بن نزار ومُحَمَّد بن مطرف،([1])

رسالة مالك إلى ابن وهب:

هذه رسالة شهيرة معزوة إلى تلميذ الإمام البار ابن وهب، مشتملة على موضوع القضاء والقدر، أثنى القاضي عياض على هذه الرسالة وقال: هو من خيار الكتب في هذا الباب الدال على سعة علمه بهذا الشأن،([2])

كتاب الأقضية :

هذه رسالة الإمام كتبها إلى بعض القضاة، لعله ذكر فيها بعض المبادئ للقضاء، رواها عبد الله بن جليل من تلاميذ الإمام،

كتاب المناسك:

يقول أبوجعفر الزهري أحد أصدقاء الإمام ومعاصريه: كان كتاب المناسك للإمام مالك أكبر كتبه، بين فيه أحكام الحج والمناسك،

تفسير غريب القرآن:

رواه عن الإمام خالد بن عبد الرحمن المخزومي

---

(1) تزيين الممالك ص: 84

(2) وقد سماها بعضهم : رسالته في القدر، والرد على القدرية، تزيين الممالك ص: 84

كتاب المجالسات عن مالك:

جمع فيه تلميذه ابن وهب الفوائد والدرر المنثورة في الحديث، والأخلاق الفاضلة، التي سمعها من الإمام في مختلف مجالسه، رأى هذه الرسالة الإمام السيوطي ([1])

تفسير القرآن الكريم:

هذا كتاب في تفسير القرآن الكريم بما أثر عن النبي الكريم مسندا، رأه السيوطي وقال: يحتمل أن يكون من تأليفه أو أن يكون علق عليه ([2])

كتاب المسائل :

وكانت هناك كتب عديدة أخرى للإمام إضافة إلى الكتب المذكورة والرسائل السالفة الذكر، كتب الخطيب البغدادي في كتابه الشهير "تاريخ بغداد" أن لفيفا من الصفحات المبعثرة كانت ملقاة أمام أبي العباس السفاح، أخبر عنها أنه مجموع فتاوي الإمام التي تبلغ إلى سبعين ألف مسئلة، ([3])

([1]) قال في التزيين: رأيت لابن وهب كتاب المجالسات عن مالك، فيه ما سمع من مالك في مجالسه، وهو مجلد مشتمل على فوائد جمة من أحاديث و آثاروآداب ونحو ذلك" تزين الممالك ص : 84

(2) نفس المصدر

(3) قال القاضي في المدارك: ولمالك أوضاع كثيرة مروية عنه، وتآليف غير الموطأ مروية عنه، أكثرها بأسانيد صحيحة في غيرفن من العلم، لكن لم يشتهرعنه غير الموطأ وسائر تآليفه، إنما رواها عنه من كتب بها إليه، أو سأله إياها، أو آحاد من أصحابه، ولم يروها الكافة"(1/ 109) تزين الممالك ص: 84

فصل في التعريف بالموطأ

وعمدة تصانيف الإمام وأجود كتبه هو الموطأ، بل هو الكتاب الثاني في المكتبة الإسلامية بعد كتاب الله عزوجل، فالأول هو كلام الله عزوجل، والثاني يحتوي على كلام نبيه ورسوله، وهو خير كتاب أخرج للناس في عهده،

كانت خزائن الأحاديث النبوية مخزونة في القلوب الزكية وأعماق الصدور النقية في القرن الأول الهجري، وقد جمع كل شيخ من مشايخ الحديث مذكرته، وجمع ما كان عنده فيها، ولما انقرض عهد الصحابة ونهض الجيل الثاني بعدهم، وتبوأ الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة الإسلامية، وكان عمر بن عبد العزيز محدثا جليلا وعالما فاضلا كما كان خليفة عادلا، ولأجل ذلك عده الإمام الذهبي في الحفاظ، ويستدل على مكانة عمر بن عبد العزيز العلمية الفقهية أن مالك يستشهد بفتاواه في الموطأ، وقد بدأ في جمع الأحاديث النبوية الشريفة في المجاميع والدواوين بأمر هذا الخليفة عمر بن عبد العزيز، وأول من قام بالجمع والتدوين هو أبوبكر بن حزم ت/100هـ، واستمر في ميسرة التدوين والجمع مُحَمَّد بن شهاب الزهري، وهو يعتبر المدون الثاني للسنة، ثم جاء بعده ربيع بن الصبيح وسعد بن عروبة، وكانت مجموعة ابن حزم مشتملة على أقوال الصحابة وآثارهم بصفة عامة، وأما مجموعة الإمام الزهري فلم تكن مقسمة على الأبواب والفصول، بيد أن مجموعة سعد بن عروبة وربيع بن الصبيح كانت مرتبة ومنتظمة بالأبواب والفصول المختلفة،

وتعتبر سنة 133هـ مدخل العهد الجديد، حيث طوي بساط الخلافة الأموية وقامت على هضابها الخلافة العباسية، وفي هذا الإضطراب السياسي ظهرت مجاميع الأحاديث ودواوين السنة الكثيرة، وألف فيه الإمام مالك كتابه الشهير الذي سارت به الركبان وملأ صيته الآفاق" المؤطا " ويجدر بالذكر هنا أن أكثر الصحابة نقبوا في البلاد المختلفة غزاة فاتحين أو دعاة معلمين، كان جابر بن عبد الله في مكة المكرمة، وأبو الدرداء وأبوذر في الشام، وعقبة بن عامر في مصر، وبريدة في خراسان، وعلي وعبد الله بن مسعود في الكوفة، وقس على ذلك، وما برح العدد الكبير من أجلة الصحابة وفقهاءهم في المدينة المنورة، وكانوا يروون ما كان عندهم من الأحاديث والآثار وينقلونها أينما رحلوا وأقاموا، وورثهم هذه المرويات وأخذ عنهم التابعون لهم بإحسان، وبقيت هذه العلوم منتشرة ومبعثرة مابين الكتابة والرواية إلى أواخر القرن الثاني للهجرة، وكان معقلها الأول مدينة الرسول، والثاني مكة المكرمة، ثم الكوفة والبصرة ودمشق، وإن الإمام الشافعي وعبد الله بن المبارك أول من قام بجمعها علما ومعرفة وفقها، والإمام البخاري وأحمد بن حنبل أول من قاما بجمعها كتابة وتدوينا،

وأما عهد الإمام مالك بن انس فكانت فيه هذه المعارف منتشرة في البلاد الإسلامية كلها، لذلك ترى أن المجاميع الحديثية التي ظهرت في هذا العصر كانت محدودة ومقصورة على بلاد أهلها،

جمع ابن جريج في مكة المكرمة، والأوزاعي في الشام، وسفيان الثوري في الكوفة، وأبوسلمة وحماد في البصرة، والهيثم في الواسط، ومعمر في

اليمن، وعبد الله بن المبارك في خراسان، وجرير بن حميد في الري، لكن قدر الله أن يقوم بجمع الأحاديث في مدينة الرسول ومهبط الوحي التي كانت أكبر معدن للمعارف النبوية وينال هذا الشرف "عالم المدينة" مالك بن انس، ([1])

إن الموطأ عصارة علم أهل المدينة المنورة، التي كانت المعدن الأصيل للجواهر والدرر وبحرا فياضا لليواقيت من العلوم النبوية، كما كانت تحتضن الصحابة الأجلة والفقهاء وأعاظمهم ممن تقدم ذكرهم، وهذه المجموعة المباركة للإمام تشتمل على أقوال وآثار هؤلاء الصحابة العظام، ومن ثم نستطيع أن نقول :

إن هذه المجموعة من أحسن المجموعات المؤلفة وأوثقها وأصحها وأكملها([2])

([1]) راجع لهذا التفصيل: هدي الساري مقدمة فتح الباري

(2) قال الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي في المسوى شرح الموطأ باللغة الفارسية: " الموطأ أصح الكتب وأشهرها و أقدمها وأجمعها، وقد اتفق السواد الاعظم من الملة المرحومة على العمل به، والاجتهاد في رو ايته ودر ايته، والاعتناء بشرح معضلاته ومشكلاته، والاهتمام باستنباط معانيه وتشييد مبانيه، ومن تتبع المذاهب ورزق الاتصاف علم لامحالة أن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه، وعمدة مذهب الشافعي وأحمد ورأسه، ومصباح مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ونبراسه، وهذه المذاهب بالنسبة إلى الموطأ كالشروح للمتون،وهو بمنزلة الدوحة للغصون، وعلم أيضا ان الكتب في السنن كصحيح مسلم وسنن أبي داؤد والنسائي، وما يتعلق بالفقه من صحيح البخاري، وجامع رومه، مطمع نظرهم فيها وصل ما أرسله، ورفع ما أوقفه،واستدراك ما فاته، وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده" المسوى1/ 62 نقلا عن "الإمام مالك ومكانة كتابه الموطأ" / د.تقي الدين الندوي ص: 121

زمن تأليف المؤطأ

ونحن نعرف أن الإمام مالك بن أنس لم يخرج من المدينة المنورة أبدا، ومما يجزم به أن مكان تأليف الموطأ هي مدينة الرسول ﷺ، ولكن لا نعرف زمن تأليفه بالدقة والضبط، وتشير القرائن أن الإمام ألفه ما بين سنة 130 هـ وبين 140 هـ، لقد بدأ عهد انحطاط بني أمية من سنة 130هـ، ولم تكن توجد قبل ذلك نزعة التأليف والكتابة، وحج المنصور حجة أخيرة في سنة 144هـ وكان الموطأ عندئذ معروفا متداولا، وطبق صيته الآفاق، ([1])

فمن هنالك نستطيع أن نحدد زمن تأليف الموطأ مابين 130هـ و140هـ ،

ويروى أن الإمام إنما صنف الموطأ بأمر أبي جعفر المنصور، وطلب المنصور منه وضع كتاب لا توجد فيه شدائد عبد الله بن عمر، ورخص عبد الله بن عباس، وشواذ عبد الله بن مسعود، ﷺ، ([2])

---

(1) راجع كشف الظنون "موطأ" وجامع بيان العلم فصل في الإنصاف في العلم

(2) ذكرها ابن أبي قتيبة فصل "دخول مالك على أبي جعفر بمنى" وذكر حوارا طويلا بينه وبين الإمام، ومما قال الإمام مالك: ثم فاتحني في العلم والفقه،فوجدته أعلم الناس بما اجتمعوا عليه، وأعرفهم بما اختلفوا فيه، حافظاً لما روي، واعياً لما سمع، ثم قال لي :يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودونه، ودون منه كتباً،وتجنب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس، وشواذ بن مسعود، و اقصد إلى أواسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك، ونبثها في الأمصار، ونعهد إليهم أن لا يخالفوها،ولا يقضوا بسواها، فقلت له :أصلح الله الأمير، إن أهل العراق لا يرضون علمنا، ولا يرون في عملهم رأينا .فقال أبو جعفر: يحملون عليه،

ولما اشتغل الإمام مالك بتأليف الموطأ شاع خبره في الناس، وطفق يعمل من كان بالمدينة يومئذ من العلماء في تأليف الموطآت، فقيل للإمام: " شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب، وقد شركك فيه الناس، وعملوا أمثاله، فلم يزد الإمام إلا أن قال: لا يرتفع إلا ما أريد به الله ([1])،

وانظروا إلى ثمرة الإخلاص لله عزوجل، لا نجد لموطآتهم أثرا ولا خبرا، ولم يبق منها شيئ يذكر، وانتقد عليه ابن اسحاق صاحب السير والمغازي، وكان أشد كلاما فيه، قال: "ائتوني ببعض كتبه حتى أبين عيوبه، فأنا بيطار كتبه" ([2])

عرض الإمام مالك كتابه على مشايخ المدينة المنورة بعد ما انتهى من تأليفه، فاعجبوا به، وقبلوه بغاية الاعجاب وببالغ الرغبة والشوق، وقد سر أهل المدينة ورفع رأسهم ذلك اليوم الكريم الذي أضيف فيه إلى فضائلهم ومكارمهم ومجدهم مكرمة جديدة، بتأليف هذه المجموعة الطيبة،

ونضرب عليه هاماتهم بالسيف، ونقطع طي ظهورهم بالسياط، فتعجل بذلك وضعها، فسيأتيك محمد المهدي ابني العام القابل إن شاء الله إلى المدينة، ليسمعها منك، فيجدك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله" الإمامة والسياسة ص:282، والسيوطي في التزيين عن عبد الملك بن حبيب، تزيين الممالك ص: 90

(1) مناقب مالك للزواوي ص: 70

(2) ذكره الذهبي في السير في ترجمة ابن اسحاق، فقال: "قال إبراهيم بن المنذر :حدثني عبد الله بن نافع ، قال : كان ابن أبي ذئب ، و ابن الماجشون، و ابن أبي حازم ،و ابن اسحاق يتكلمون في مالك ، وكان أشدهم فيه كلاما محمد بن إسحاق ، كان يقول : ائتوني ببعض كتبه حتى أبين عيوبه ، أنا بيطار كتبه" سير أعلام النبلاء 7/ 40

أنشد السعدون أحد الشعراء أبياتاً في مدح الموطأ ترغيباً للناس في التزود بعلم مالك – رحمه الله – ، ومنها:

أقول لمن يَروي الحديثَ ويَكتب ويسلك سُبُل الفقه فيه ويطلب

إن أحببت أن تُدعى لدى الحق عالماً فلا تعد ما تَحوي من العلم يثرب

أتترك داراً كان من بيوتها يروح ويغدو جبرئيل المقرب

ومات رسول الله فيها و بعده بسنّة أصحابه قد تأدبُوا

فَبادر موطأ مالك قبل فوته فما بعده إن فات للحق مطلب

ودع للموطأ كل علم تريده وان الموطأ الشمس والغير كوكب

وجه تسمية الموطأ:

الموطأ مفعول من الوطء، أي داس ومشى على شيئ، فهو : المسهل والطريق المعبد، ([1]) ذكرهذا المعنى الإمام الدهلوي في "المسوى"، ومعناه مجازا: الطريق الذي سلكه عامة العلماء أو الرأي الذي وطأه آرائهم،

(1) وفي القاموس " وطئه بالكسريطأه: داسه ، كوطأه (من التفعيل) ووطأه : هيأه ودمثه، وسهله، وواطأه على الأمر: و افقه كتواطأه، ورجل موطأ الأكناف، كمعظم: سهل، وموطأ العقب : سلطان يتبع،" القاموس: مادة وطء، وقال مالك: عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة كلهم واطأني عليه،فسميته "الموطأ" تزيين الممالك ص: 90، وقال ابن فهر: لم يسبق مالكا أحد على هذه التسمية، وإن من ألف في زمانه بعضهم سمى بالجامع، وبعضهم بالمصنف، وبعضهم بالمؤلف، ولفظة الموطأ بمعنى الممهد المنقح المحرر المصفى" تزيين الممالك : ص 89

ووافقوه، فكأن معنى الموطأ: "المتفق عليه"، لأن مشايخ الحديث كلهم وافقوا الإمام، واتفقوا عليه،([1])

ولكن التعبير الصحيح عندي: أن "الموطأ" هو ذلك الطريق الذي يمر عليه الناس كثيرا، والسنة أيضا معناها: الطريق، فالمراد بالموطأ: الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ، ومضى عليه صحابته ﷺ بعده، فبالجملة، لفظ "الموطأ" يبين حقيقته ومعناه بنفسه، فهو الطريق الذي مهده ودمثه السلف من الصحابة ومن بعدهم بعملهم، وهو يشمل المسائل التي عمل بها الصحابة وجمهور السلف،

عدد الروايات :

وكانت في البداية عشرة آلاف حديث، ولكن قلم المؤلف الصادق مازال ينقيه حتى حذف منه حوالي ثمانية آلاف حديث، وأبقى فيه 1720/حديث،

منها 600/ حديث من الأحاديث المسندة المرفوعة،

ومنها 235/ حديث مرسل، ومنها 613/ حديث موقوف،

ومنها 285/ أثر من آثار وأقوال التابعين، و5/ رواية من بلاغات مالك، ([2])

---

(1) المسوى للإمام الدهلوي

([2]) المسوى للإمام الدهلوي، والمصفى 8/1، قال السيوطي في التزيين: وضع مالك الموطأ، وفيه أربعة آلاف حديث، أو أكثر، ومات وهي ألف حديث ونيف، يخلصها عاما فعاما بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين، وأمثل في الدين، ذكره القاضي في المدارك" تزيين الممالك للسيوطي: ص: 89

موضوع الموطأ:

الموطأ يتعلق بالأحكام الفقيهة العملية، ولذلك لا نجد فيه تلك الأبواب والفصول التي نراها في صحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي، لأن تلك الأبواب والفصول لا صلة لها بالأحكام، فأحرى بأن يطلق على الموطأ "كتاب السنن" حسب المعنى المصطلح عند المحدثين،

الموطأ بين الكتب الأخرى للفقهاء المجتهدين:

ونجد الفقهاء المجتهدين من الأئمة الأربعة أن كل واحد منهم ألف ودون وجمع، وتوجد مدونات حديثية معزوة إلى كل واحد منهم، فنجد مسند الإمام أبي حنيفة، ومسند الشافعي، ومسند أحمد بن حنبل، وهذه المولفات شائعة متداولة، ولكن ما هو مكانة تأليف الفقيه الرابع وأهميته بين المدونات الأخرى؟ وما ميزته على غيره؟ يبدو ذلك جليا واضحا لأنه لم يظهر أي تأليف نال ما نال من القبول والمكانة من الأئمة المجتهدين والفقهاء سوى الإمام مالك بن أنس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وتوجد مسانيد عديدة معزوة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان معروفة بـ" مسانيد أبي حنيفة" ولكن الحقيقة إنما ألفت هذه الكتب بعد الإمام أبي حنيفة بزمان بأيدي تلاميذه، وله مسانيد مجهولة، ألفها مُحَمَّد بن يعقوب وحسين مُحَمَّد بن خسرو، وعزاها إلى الإمام أبي حنيفة باسم " مسند الإمام الأعظم" و" مسند أبي حنيفة"([1])

(1) ومسند إمام الْأَئمة، ركْن الْإِسْلَام، أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْفَارِسِيّ الْكُوفِيّ فَقِيهِ الْعِرَاقِ، الْمُتَوَفَّى بِبَغْدَادَ، سَنَةَ خَمْسِينَ، أَوْ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَلَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ

وأما مسند الإمام الشافعي أصله أن أباجعفر بن مُحَمَّد بن مطر النيسابوري أو أبوالعباس جمع الأحاديث التي استدل بها الشافعي في مختلف كتبه،

وأما مسند الإمام أحمد بن حنبل فلا ريب أن الإمام أحمد إنما هو بدأ تأليفه بنفسه، ولكنه ما أكمل ترتيبه وتبييضه حتى وافاه اليقين، وقد قام بمهمة تبييض المسند وترتيبه عبدالله بن أحمد بن حنبل، ومع مكانته لم يكن من رجال هذا الشأن، ووقع التخليط بين المسانيد العراقية والمسانيد المدنية، فهو حري بأن يطلق عليه : "مسند عبد الله بدل مسند الإمام أحمد بن حنبل"

ثم مع ذلك لم يلتزم فيه بالأحاديث الصحيحة، بيد أن الإمام أحمد إدعى ذلك، ([1])

مُسْنَدًا، وَأَوْصَلَهَا الْإِمَامُ أَبُو الصَّبْرِ أَيُّوبُ الْخلوتي فِي ثَبْتِهِ إِلَى سَبْعَةَ عَشَرَ مُسْنَدًا، كُلُّهَا تُنْسَبُ إِلَيْهِ لِكَوْنِهَا مِنْ حَدِيثِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ تَأْلِيفِهِ، وَالَّذِي اعْتَبَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي كِتَابِهِ " تَعْجِيلِ الْمَنْفَعَةِ بِزَوَائِدِ رِجَالِ الْأَرْبَعَةِ" هُوَ مَا خَرَّجَهُ الْإِمَامُ الزَّكِيُّ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خُسْرُو، بِضَمِّ الْخَاءِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ، الْبَلْخِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ" أنظر: شرح أنواع المصنفات لعبد الله بن عبد المحسن التويجري

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب منهاج السنة : شرط أحمد في المسند أنه لا يروي عن المعروفين بالكذب عندهم، وإن كان في ذلك ماهو ضعيف" إلى أن قال:"زاد ابن الإمام زيادات على المسند ضمت إليه، وكذلك زاد القطيعي وفي تلك الزيادات كثير من الأحاديث الموضوعات، فظن من لا علم عنده أن ذلك من رواية الإمام أحمد في مسنده"

الموطا بين الكتب المعاصرة الأخرى:

لقد ألف العلماء المسانيد والموطآت الكثيرة قبل تأليف الإمام مالك بن أنس موطأه في عصره، ويوجد عدد منها، ويتجلى بالمقارنة بين موطا الإمام مالك وبين الكتب المؤلفة الأخرى أن الفرق بينها وبين موطا الإمام مثل الفرق بين الجامع الصحيح وبين مصنف ابن أبي شيبة وكتب البيهقي، ويكفي خمولها وعدم تلقيها بالقبول حجة على ذلك، ومع هذه المكانة السامية يفوق الموطأ بثلاثة وجوه خاصة ويتميز بميزات ثلاثة عن غيرها، وهي كما يلي:

1- الميزة الأولى أن كل ما صنف قبل "الموطأ" من كتب أو مجموعات حديثية كان جل اعتمادها على مأثورات الصحابة وأقوالهم وفتاويهم بصفة عامة، وأما الإمام مالك فقد جعل الأحاديث الصحاح المسندة أو المنقطعة والمرسلة في الدرجة الأولى، واتخذ الآثار وأقوال الصحابة في الدرجة الثانية،

2- والميزة الثانية أنه لم يلتزم أصحاب تلك المؤلفات والكتب بصحة الأحاديث والآثار مثل ما التزم مالك في موطأه، فلم يأخذ فيه إلا ما كان صحيحا

3- والميزة الثالثة أن موطا مالك إنما تم تأليفه في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورواته حجازيون، وأما المسانيد والموطآت الأخرى فصنفت في الكوفة والبصرة وواسط والشام واليمن وخراسان والرى

وغيرها في البلاد، وكادت كلمة المحدثين تجمع على أن أحاديث أهل الحجاز أصح سندا وأقوى حجة وأجود من غيرها،

مكانة الموطا بين طبقات كتب الحديث:

من المعلوم أن المحدثين إنما جعلوا كتب الأحاديث على أربع طبقات باعتبار الصحة والشهرة، فوضعوا في الطبقة الأولى التي صنفها أئمة الحديث ونقاد هذا الفن، والتزموا في مصنفاتهم بالصحة وجودة الإسناد، وما أخرجوا إلا عن الرجال المعروفين بالعدالة والحفظ والثقة والاتقان، وما دون ذلك فجعلوها في الطبقة الثانية، ثم الثالثة فالرابعة ([1])

([1]) ويجدر بهذا المقام أن أذكر بحث الإمام المحدث الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله في كتابه حجة الله البالغة ، فإنه بحث رائع قيم غير مسبوق إليه في بابه فقال : أعلم أنه لا سبيل لنا إلى معرفة الشرائع والأحكام إلا خبر النبي ﷺ بخلاف المصالح فإنها قد تدرك بالتجربة والنظر الصادق والحدس ونحو ذلك ، ولا سبيل لنا إلى معرفة أخباره إلا بتلقي الروايات المنتهية إلية بالاتصال والعنعنة ، سواء كانت من لفظه أو كانت أحاديث موقوفة قد صحت الرواية بها عن جماعة الصحابة والتابعين ، بحيث يبعد إقدامهم على الجزم بمثله لولا النص أو الإشارة من الشارع فمثل ذلك رواية عنه دلالة وتلقي تلك الروايات لا سبيل إليه في يومنا هذا إلا تتبع الكتب المدونة في علم الحديث فإنه لا يوجد اليوم رواية يعتمد عليها غير مدونة. وكتب الحديث على طبقات مختلفة ومنازل متباينة فوجب الاعتناء بمعرفة طبقات كتب الحديث ، فنقول هي باعتبار الصحة والشهرة على أربع طبقات وذلك لأن أعلى أقسام الحديث ما ثبت بالتواتر وأجمعت الأمة على قبوله والعمل به ثم ما استفاض من طرق متعددة لا يبقي معها شبهة يعتد بها واتفق على العمل به جمهور فقهاء الأمصار أو لم يختلف فيه علماء الحرمين خاصة فإن الحرمين محل الفقهاء الراشدين في القرون الأولى ومحط رجال العلماء طبقة بعد طبقة يبعد أن يسلموا منهم الخطأ الظاهر أو كان قولاً مشهوراً معمولاً به في قطر عظيم مروياً عن جماعة عظيمة من الصحابة والتابعين ، ثم ما صح أو حسن سنده وشهد به علماء الحديث ولم يكن

قولاًمتروكاً لم يذهب إليه أحد من الأمة،أما ما كان ضعيفاً موضوعاً أو منقطعاً أو مقلوباً في سنده أو متنه أو من رواية المجاهيل أو مخالفاً لما أجمع عليه السلف طبقة بعد طبقة فلا سبيل إلى القول به. فالصحة أن يشترط مؤلف الكتاب على نفسه إيراد ما صح أو حسن غير مقلوب ولا شاذ ولا ضعيف إلا من بيان حاله ، فإن إيراد الضعيف مع بيان حاله لا يقدح في الكتاب ،والشهرة أن تكون الأحاديث المذكورة فيها دائرة على ألسنة المحدثين قبل تدوينها وبعد تدوينها فيكون أئمة الحديث قبل المؤلف رووها بطرق شتي وأوردوها في مسانيدهم ومجاميعهم ، وبعد المؤلف اشتغلوا برواية الكتاب وحفظه وكشف مشكله وشرح غريبة وبيان إعرابه وتخريج طرق أحاديثه واستنباط فقهها والفحص عن أحوال رواتها طبقة بعد طبقة إلى يوما هذا حتى لا يبقى شيء مما يتعلق به غير مبحوث عنه إلا ما شاء الله ، ويكون نقاد الحديث قبل المصنف وبعده و افقوه في القول بها وحكموا بصحتها وارتضوا رأي المصنف فيها وتلقوا كتابه بالمدح والثناء ، ويكون أئمة الفقه لا يزالون يستنبطون منها ويعتمدون عليها ويعتنون بها ، ويكون العامة لا يخلون عن اعتقادها وتعظيمها ، وبالجملة فإذا اجتمعت هاتان الخصلتان في كتاب كان من الطبقة الأولى ثم وثم وإن فقدتا رأسا لم يكن له اعتبار، وما كان أعلى حد في الطبقة الأولى فإنه يصل إلى حد التواتر، وما دون ذلك يصل إلى الاستفاضة ثم إلى الصحة القطعية أعنى القطع المأخوذ في علم الحديث المفسد للعمل والطبقة الثانية إلى الاستفاضة أو الصحة القطعية أو الظنية وهكذا ينزل الأمر.

فالطبقة الأولى محصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم قال الشافعي رحمه الله : أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ مالك ، و اتفق أهل الحديث على أن جميع ما فيه صحيح على رأي مالك ومن و افقه ، وأما على رأي غيره فليس فيه مرسل ولا منقطع إلا قد اتصل السند به من طرق أخرى فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه، ولم يزل العلماء يخرجون أحاديثه ،ويذكرون متابعاته وشواهدة ،ويشرحون غريبة ويضبطون مشكله ، ويبحثون عن فقهه ، ويفتشون عن رجاله إلى غاية ليس بعدها غاية ، وإن شئت الحق الصراح فقس كتاب الموطأ بكتاب الآثارلمحمد والأمالي لأبي يوسف تجد بينه وبينهما بعد المشرفين فهل سمعت أحداً من المحدثين والفقهاء تعرض لهما وأعتنى بهما.أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع وأنهما متواتران إلى مصنفيهما وأن كل من يهون أمرهما فهو مبتدع متبع

غيرسبيل المؤمنين ، وإن شئت الحق الصراح فقسهما بكتاب ابن أبي شيبة وكتاب الطحاوي ومسند الخوارزمي وغيرهما تجد بينها وبينهما بعد المشرقين.وهذه الكتب الثلاثة التي اعتنى القاضي عياض في المشارق بضبط مشكلها ورد تصحيفها.

الطبقة الثانية كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها كان مصنفوها معروفين بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر في فنون الحديث ،ةولم يرضوا في كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوا على أنفسهم وتلقاها من بعدهم بالقبول ، واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة ، واشتهرت فيما بين الناس ، وتعلق بها القوم شرحا لغريبها ، وفحصاً عن رجالها واستنباطاً لفقهها ،وعلى تلك الأحاديث بناء عامة العلوم كسنن أبي داود وجامع الترمذي ومجتبي النسائي ، وهذه الكتب مع الطبقة الأولى اعتنى بأحاديثها رزين في تجريد الصحاح و ابن الأثيرفي جامع الأصول وكاد مسند أحمد يكون من جملة هذه الطبقة ، فإن الإمام أحمد جعله أصلا يعرف به الصحيح والسقيم قال :ما ليس فيه فلا تقبلوه

والطبقة الثالثة - مسانيد وجوامع ومصنفات صنفت قبل البخاري ومسلم وفي زمانهم وبعدهما جمعت بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والغريب والشاذ والمنكر والخطأ والصواب والثابت والمقلوب ، ولم تشتهر في العلماء ذلك الاشتهاروإن زال عنها اسم النكارة المطلقة ، ولم يتداول ما تفردت به الفقهاء كثيرتداول ولم يفحص عن صحتها وسقمها المحدثون كثيرفحص ، ومنه ما لم يخدمه لغوي لشرح غريب ولا فقيه لتطبيقه بمذاهب السلف ، ولا محدث ببيان مشكله ، ولا مؤرخ بذكرأسماء رجاله ، ولا أريد المتأخرين المتعمقين و إنما كلامي في الأئمة المتقدمين من أهل الحديث ، فهي باقية على استتارها واختفائها وخمولها كمسند أبي يعلي ومصنف عبد الرزاق ومصنف أبي بكربن أبي شيبة ومسند عبد بن حميد والطيالسي وكتب البيهقي والطحاوي والطبر اني ، وكان قصدهم جمع ما وجووه لا تلخيصه وتهذيبه وتقريبه من العمل.

والطبقة الر ابعة - كتب قصد مصنفوها بعد قرون متطاولة جمع ما لم يوجد في الطبقتين الأوليين وكانت في المجاميع والمسانيد المختفية فنوهوا بأمرها وكانت على ألسنة من لم لم يكتب حديثه المحدثون ككثيرمن الوعاظ المتشدقين وأهل الأهواء والضعفاء ، أوكانت من آثار الصحابة والتابعين ، أو من أخباربني إسر ائيل ، أو من كلام الحكماء والوعاظ ،

ويندرج في الطبقة الأولى "الموطأ" و"الصحيحان" للبخاري ومسلم، وفي الطبقة الثانية سنن الترمذي وأبي داؤد والنسائي، وتشتمل هاتان الطبقتان على الصحاح الستة، وجمعها ابن الأثير الجزري في جامع الأصول،

خلطها الرواة بحديث النبي سهوا أو عمداً ،أو كانت من محتملات القرآن والحديث الصحيح فرواها بالمعنى قوم صالحون لا يعرفون غوامض الرواية فجعلوا المعاني أحاديث مرفوعة ، أو كانت معاني مفهومة من إشارات الكتاب والسنة جعلوها أحاديث مستبدة برأسها عمداً ، أو كانت جملاً شتى في أحاديث مختلفة جعلوها حديثاً واحدا بنسق واحد.ومظنة هذه الأحاديث كتاب "الضعفاء" لابن حبان وكامل بن عدي وكتب الخطيب و أبي نعيم والجوزقاني و ابن عساكر و ابن النجار والديلمي وكاد مسند الخوارزمي يكون من هذه الطبقة.وأصلح هذه الطبقة ما كان ضعيفاً محتملاً ، وأسوؤها ما كان موضوعاً أو مقلوبا شديد النكارة، وهذه الطبقة مادة كتاب الموضوعات لابن الجوزي

وههنا طبقة خامسة - منها ما اشتهر على ألسنة الفقهاء والصوفية والمؤرخين ونحوهم وليس له أصل في هذه الطبقات الأربع ، ومنها ما دسه الماجن في دينه العالم بلسانه فأتى بإسناد قوى لا يمكن الجرح فيه وكلام بليغ لا يبعد صدوره عنه فأثار في الإسلام مصيبة عظيمة لكن الجهابذة من أهل الحديث يوردون مثل ذلك على المتابعات والشواهد فتهتك الأستار ويظهر العوار.

أما الطبقة الأولى والثانية فعليهما اعتماد المحدثين وحوم حماهما مرتعهم ومسرحهم ، وأما الثالثة فلا يباشرها للعمل عليها والقول بها إلا النحارير الجهابذة الذين يحفظون أسماء الرجال وعلل الأحاديث ، نعم ربما يؤخذ منها المتابعات والشواهد وقد جعل الله لكل شيء قدراً ، وأما الرابعة فالاشتغال بجمعها والاستنباط منها نوع تعمق من المتأخرين ،وإن شئت الحق فطوائف المبتدعين من الرافضة والمعتزلة وغيرهم يتمكنون بأن يلخصوا منها شواهد مذاهبهم فالاقتصار بها غير صحيح في معارك العلماء بالحديث والله أعلم" حجة الله البالغة.

وتنقيح الكلام في هذا المقام أن السبقة لصحيحي البخاري ومسلم لو يراد بها كثرة رواياتهما وزيادة أحاديثهما المرفوعة المسندة، وخلوهما عن الأحاديث المرسلة والموقوفة، فهذا صحيح وحق لا مرية فيه، لكن مدار الفضيلة إنما هو على الصحة وحسن الإسناد والشهرة، ومن المعلوم أن "الموطأ" يشتمل على الأحاديث المرسلة والموقوفة والمنقطعة كذلك، مما يقدح في صحته وينقص من مكانته، ويصح هذا الارسال والوقف والانقطاع بالنسبة للموطأ، وهذا الوقف والارسال والانقطاع له حكم الاتصال والرفع والاسناد،([1]) صرح به المحدثون الأعلام مثل الإمام البخاري ومسلم والترمذي، فانظروا إلى مكانة الموطأ ودرجة صحته!! وهنا بعض الميزات الأخرى للموطأ، نذكرها فيما يلي:

([1]) قال السيوطي- : ما فيه من المراسيل، فإنها مع كونها حجة عنده بلا شرط، وعند من وافقه من الأئمة على الاحتجاج بالمرسل، فهي -أيضاً- حجة عندنا، لأن المرسل حجة عندنا إذا اعتضد، وما من مرسل في الموطأ إلا له عاضد أو عواضد، فالصواب إطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه شيء ".تنوير الحولك (13) وأما ما في الموطأ من المراسيل والبلاغات والمنقطعات، فقد تصدى لها الحافظ الإمام والعلم الهمام، حافظ الدنيا في زمانه، أبو عمر يوسف بن عبد البر، فألف في وصل ما انقطع، وإسناد ما أرسل، كتابه العظيم، الموسوم بـ"التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد " والذي لم يؤلف في الإسلام مثله - في رأي ابن حزم- فكيف أحسن منه. قال في مقدمته : " ووصلت كل مقطوع جاء متصلاً من رواية غير مالك، ومرسل جاء مسنداً من غير طريقه -رحمة الله عليه- فيما بلغني علمه، وصح بروايتي جمعه، ليرى الناظر في كتابنا هذا، موقع آثار الموطأ من الاشتهار والصحة" التمهيد 9/1

1- إن السمة الأولى البارزة والشرف الأعظم للموطأ أنه أول كتاب بعد القرآن الكريم في الإسلام، فهو الكتاب الذي ظهر للعالم مشتملا على كلام الرسول النبي الأمي، قال في كشف الظنون: " إن أول كتاب وضع في الإسلام موطأ مالك بن أنس" وقال القاضي أبوبكر ابن العربي في شرح الموطأ: "هذا أول كتاب في شرائع الإسلام" ويقول سفيان الثوري: " أول من صنف الصحيح مالك، والفضل للمتقدم"([1])

([1]) **وأول من صنف في الصحيح المجرد على ما قاله غيرواحد: الإمام أبو عبد الله البخاري، وكانت الكتب قبله مجموعة ممزوجا فيها الصحيح وغيره، ولا يرد على هذا موطأ مالك، فإنها قبل البخاري، وهي مخصوصة بالصحيح أيضًا، لأن مالكا أدخل فيها المرسل، والمنقطع، والبلاغات. وليست من الصحيح على رأي جماعة، خصوصا المتأخرين. ولا يقال أن صحيح الإمام البخاري كذلك أيضًا، لأنا نقول ما في الموطأ هو كذلك مسموع لمالك غالبا، وهو حجة عنده، وعند من يقلده، وما في البخاري حَذف إسناده عمدا. إما لقصد التخفيف: إن كان ذكره في موضع آخر، وإما لقصد التنويع: إن كان على غير شرطه، ليخرجه عن موضوع كتابه. و إنما يذكر ما يذكر من ذلك تنبيها، واستشهادا، واستئناسا، وتفسيرا لبعض آيات، وغير ذلك فما فيه لا يخرجه عن كونه جرد فيه الصحيح، بخلاف الموطأ كذا ذكر الحافظ ومن تبعه. وقال السيوطي: ما في كتاب مالك من المراسيل فإنها مع كونها حجة عنده، وعند من و افقه من الأئمة من الاحتجاج بالمرسل، هي أيضًا حجة عندنا، لأن المرسل عندنا حجة إذا اعتضد، وما من مرسل في الموطأ إلا وله عاضد، أو عواضد، فالصحيح إطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه شيء. انظر حاشيته على الموطأ. وقال الشيخ صالح الفلاني في بعض طرره على ألفيه السيوطي في المصطلح بعد نقله لكلام ابن حجر الذي تقدم بعضه ملخصا ما نصه: قلت: وفيما قاله الحافظ من الفرق بين بلاغات الموطأ ومعلقات البخاري نظر، فلو أمعن النظر في الموطأ كما أمعن النظر في البخاري لعلم أنه لا فرق بينهما، وما ذكره من أن مالكًا سمعها كذلك غير مُسَلَّم،**

2- لا يتحقق تفوق الموطأ بتقدمه زمانا وكونه من أول كتاب في الإسلام فحسب، والكتب الأخرى وإن كانت تالية له لا تدانيه، هذا مما شهد به العلماء المحدثون الفطاحل والأئمة المجتهدون، يقول الشافعي: " ما على وجه الأرض من كتاب بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك بن أنس" وقال ابن العربي: " هذا أول كتاب وضع في الإسلام، وهو آخره، لأنه لم يؤلف مثله" ويقول الإمام النووي في مقدمة شرحه على مسلم: " وقد وقع أعلى من هذه الكتب، وإن كانت عالية موطأ للإمام مالك....وهو شيخ الشيوخ المذكورين كلهم" ويقول الإمام الدهلوي: " إن فقه الإمام الشافعي في كتاب "الأم" وفقه الإمام مُحَمَّد بن الحسن الشيباني في "كتاب الآثار" ما هو إلا صدقة من موطأ مالك بن أنس"

3- إن رواة الصحيحين عن الإمام البخاري والإمام مسلم رغم كثرة عددهم حتى هم يبلغون حد التواتر هم أقل مرتبة وأقصر مكانة من رواة الموطأ

لأنه يذكر بلاغا في رواية يحيى مثلا، أو مرسلا، فيرويه ص 5 غيره عن مالك موصولا مسندا. وما ذكر من كون مراسيل الموطأ حجة عند مالك ومن تبعه، دون غيرهم، مردود بأنها حجة عند الشافعي وأهل الحديث، لاعتضادها كلها بمسند كما ذكره ابن عبد البر والسيوطي وغيرهما. وما ذكره العراقي: أن من بلاغاته ما لا يعرف مردود، بأن ابن عبد البر ذكر: أن جميع بلاغاته ومراسيله ومنقطعاته كلها موصولة بطرق صحاح، إلا أربعة، وقد وصل ابن الصلاح الأربعة بتأليف مستقل، وهو عندي وعليه خطه. فظهر بهذا أنه لا فرق بين الموطأ والبخاري. صح أن مالكًا أول من صنف في الحديث وصح أن مالكا أول من صنف في الصحيح، كما ذكره ابن العربي " أنظر الرسالة المستطرفة 6/1

عن الإمام مالك بن أنس، والفرق بين رواة الموطأ وبين غيرهم مثل الفرق بين العامة والخاصة،

فقد روى الموطأ من الأئمة المجتهدين الإمام الشافعي والإمام مُحَمَّد بن الحسن الشيباني، ومن المحدثين خلق كثير، ومنهم: عبد الله بن المبارك، وهيثم بن جميل محدث أنطاكية، ومنصور بن سلمة محدث بغداد، وعبد الله بن وهب محدث مصر، ويحيى بن يحيى المحدث، وقتيبة، وابن سعد وغيرهم،

ومن الفقهاء : هشام بن عبد الله بن القاسم صاحب المدونة، وغيره،

ومن الصوفية والزهاد: ذوالنون المصري،

ومن الخلفاء والحكام: الهادي والمهدي وهارون والمأمون والأمين،

ومن عامة العلماء حوالي ألف شخص رووا الموطأ عن الإمام مالك بن أنس،

قال السيوطي في تنوير الحوالك: لا يبلغ عدد رواة أي كتاب مبلغ عدد رجال الموطأ عن الإمام مالك بن أنس" ([1])

---

(1) لقد عقد السيوطي بابا في تزيين الممالك " الحظ الذي حصل لمالك ممن روى عنه" وقال فيه: الحظ الذي حصل لمالك ممن روى عنه لم يحصل قط لغيره، فإنه روى عنه الأكابر من كل طائفة من حفاظ الحديث والفقهاء خلائق كثيرون ، ومن أئمة المذهب المتبوعين: أبو حنيفة ، والشافعي ، والأوزاعي ، وسفيان الثوري ، ومن الخلفاء:أمير المؤمنين المنصور، والمهدي ، والهادي ، والرشيد ، والأمين ، والمأمون، ومن أقر انه جماعة ، ومن شيوخه جماعة ، منهم الزهري ، ويزيد بن عبد الله بن الهاد ، وربيعة ، ويحيى بن سعيد" أنظر تزيين الممالك ك 82

4- والامر الذي لا مرية فيه أنه إذا تقللت الوسائط بين المؤلف وبين النبي ﷺ، ارتفع درجة الكتاب، وقوي الاعتماد عليه، وللإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما خمسة أو ستة وسائط إلى النبي ﷺ بصفة عامة، وأما الإمام مالك فيصل إلى النبي ﷺ بثلاثة أو أربع وسائط، والإمام البخاري يعتز بثلاثياته التي يبلغ عددها إلى العشرين، بينما مدار الموطأ على الثلاثيات، وتوجد فيه أربعين ثنائية،

نسخ الموطأ:

واختلف العلماء في عدد نسخ الموطأ، لأن مئات من الناس أخذوه عن الإمام في مختلف الأوقات ([1])، كل أخبر بما كان عنده، ويلزم كثرة عدد

([1]) وقال الحافظ أبو سعيد العلائي: روى "الموطأ"عن مالك جماعة كثيرة، وبين رواياتهم اختلاف من تقديم وتأخيروزيادة ونقص، وأكثرها رواية القعنبي، ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي مصعب، فقد قال ابن حزم في "موطأ" أبي مصعب زيادة على سائر "الموطآت" نحو مائة حديث، وقال الغافقي في مسند الموطأ: اشتمل كتابنا هذا ستمائة حديث وستة وستين حديثا ،وهو الذي انتهى إلينا من مسند موطأ مالك،قال: وذلك أني نظرت الموطأ من ثنتي عشرة رواية رويت عن مالك، وهي:

1- رواية عبد الله بن وهب 2- وعبد الرحمن بن القاسم 3- وعبد الله بن مسلمة القعنبي 4- وعبد الله بن يوسف التنيسي 5- ومعن بن عيسى 6- وسعيد بن عفير7-ويحيى بن عبيد الله بن بكير8- وأبي مصعب أحمد بن أبى بكر الزهري 9- ومصعب بن عبد الله الزبيري 10- ومحمد بن المبارك الصوري 11- وسليمان بن بريد 12- ويحيى بن يحيى الأندلسي، فأخذت الأكثر من رواياتهم، وذكرت اختلافهم في الحديث والألفاظ، وما أرسله بعضهم وأوقفه أو أسنده غيرهم، وما كان من المرسل اللاحق بالمسند" تزيين الممالك ص:98 وقال القاضي عياض : " والذي اشتهر من نسخ الموطأ مما رويته، أووقفت عليه، أوكان في روايات شيوخنا رحمهم الله، أونقل منه أصحاب اختلاف الموطآت، نحو عشرين نسخة، وذكر بعضهم أنها ثلاثون نسخة. وقد رأيت الموطأ رواية محمد بن حميد بن عبد الرحيم بن شروس

الرواة واختلاف الزمان أن يقع الاختلاف في التقديم والتأخير والترتيب، والزيادة والنقص، فقد روي الموطأ عن الإمام بثلاثين طريقا، واشتهر من هذه الطرق 16/ نسخة ، ومنها 11/نسخة أكثراعتمادا وثقة بها، ثم أقواها وأوثقها منها أربعة نسخ، وهي : نسخة يحيى بن يحيى ، ونسخة بكير، ونسخة أبي مصعب، ونسخة ابن وهب، لكن نسخة يحيى هي التي تلقت بالقبول واشتهرت وتداولت أكثر من غيرها، والترتيب المشهور هو : يبدأ بكتاب الجنائز، ثم كتاب الصلاة، ثم كتاب الصيام، ثم كتاب الحج، وبعد كتاب الحج يختلف الترتيب بين النسخ، ولا يخلو من مثل هذا الاختلاف صحيح البخاري وصحيح مسلم،

(1) **يحيى بن يحيى**: كان يحيى بن يحيى المصمودي الأندلسي من "بربر"، وكان جده أول من اعتنق بالإسلام من أسرته، وكان أبوعبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي يدرس بقرطبة، سمع يحيى "الموطأ" منه، لكن هوايته للعلم وشدة حرصه عليه أخرجته من "قرطبة" إلى المدينة المنورة ليسمع "الموطأ" منه مباشرة، وكان أمر الله قدرا مقدورا، لم يستطع يحيى أن يكمل سماع "الموطأ" من الإمام إذ وافاه اليقين في نفس السنة، ولذلك ترى أن يحيى يقول : " حدثنا مالك" سوى في "باب خروج المعتكف إلى العيد"،

الصنعاني عن مالك، وهو غريب لم يقع لأصحاب اختلاف الموطآت فلهذا لم يذكروا منه شيئا" ترتيب المدارك1/107 باب في ذكر من روى الموطأ، وتزيين الممالك ص: 109، وذكر الشيخ عبد العزيز الدهلوي في بستان المحدثين 16/نسخة،

و"باب قضاء الإعتكاف"، و"باب النكاح في الإعتكاف"، فإنه يقول فيه: "حدثنا زياد عن مالك"،

وكان مالك يجله ويكرمه كثيرا، كما تعظمه الحكومة في الأندلس تعظيما بالغا، ولايختلف يحي المصمودي عن شيخه إلا في أربعة مسائل، وكان من مواليد سنة 152هـ، وتوفي سنة 234هـ عن 82 سنة، رحمه الله ([1])

(2) **عبد الله بن وهب**: وهذه النسخة رواها عبد الله بن وهب، كان من مصر، وأخذ الحديث عن الليث المصري، وجذبته شخصية الإمام مالك من مصر إلى المدينة المنورة، لقد إختاره الله من بين تلامذة الإمام لمهة الكتابة والتأليف، لقد ألف ثلاثة كتب باسم: "مسموعات مالك"، وتوجد في مصنفاته مأة وعشرون ألف حديث ذكرها في مختلف المواضع، وكلها صحيح، كان من مواليد ذي القعدة عام 125هـ، وتوفي في شعبان المعظم سنة 197هـ

(3) **عبد الله بن مسلمة القعنبي**: هذه النسخة يرويها عبد الله بن مسلمة القعنبي، يقدمه المحدثون في براعته وتبحره في علم الحديث على سائر تلامذة الإمام مالك،

([1]) أنظر ترجمته : سير أعلام النبلاء 519/10، ونسخته مشهورة جدا، بل عند إطلاق الموطأ يفهم اليوم: "نسخة يحيى"، ومن خصائص هذه النسخة أنها آخر من نقل عن الإمام مالك، فإن يحيى سمع من الإمام في السنة التي توفي فيها الإمام، والمسائل الأربعة التي اختلف فيها عن شيخه: الأولى- لا يرى القنوت في الصبح، والثانية: لا يرى القضاء بيمين وشاهد، والثالثة: لا يرى تحكيم الحكمين في شقاق الزوجين، والرابعة : لا يرى كراء الأرض (الإمام مالك/ دتقي الدين الندوي 155)

قضى ثماني سنوات عند الإمام مالك، وكان الامام يهتم به كثيرا، وإذا مرض القعنبي عاد شيخه مالك، لقد توفي القعنبي في المحرم عام 221هـ

(4) **ابن القاسم**: والنسخة الرابعة إنما يرويها الفقيه المالكي الشهير المعروف بـ "ابن القاسم"، وهو الذي بدأ به تدوين الفقه المالكي، ومن أهم مؤلفاته "المدونة الكبرى" وهو كتاب ضخم جمع فيه فتاوى الإمام مالك بن أنس، وكان يمتاز بورعه وزهده، ولم يكن ابن القاسم من رهبان الليل وأعلام الفقه فحسب بل كان من فرسان النهار وأبطال الجهاد، بذل ربع عمره في ساحة الجهاد، وحومة الوغى، وامتطى صهوة الخيول وعاش بين صليل السيوف في البرزنج والروم والبربر، توفي سنة 191هـ

(5) **معن بن عيسى**: النسخة الخامسة معزوة إلى معن بن عيسى شيخ الإمام البخاري ومسلم والترمذي، وقد تبناه الإمام مالك، سمع هارون الرشيد قراءته على مالك أثناء الدرس، وقد حفظ من فتاوى الإمام مالك أربعين ألف مسئلة، توفي في المدينة المنورة سنة 198هـ

(6) **عبد الله بن يوسف**: النسخة السادسة لعبد الله بن يوسف، ولد في دمشق ولكنه ألقى عصاه في الأندلس، وكان من مشايخ الإمام البخاري، يثني على علمه وفضله الإمام البخاري،

(7) **يحيى بن بكير**: النسخة السابعة رواها يحيى بن بكير، وأخذ عنه البخاري ومسلم بواسطة، وسمع يحيى بن بكير "الموطأ" من الإمام مالك أربع عشرة مرة، وجمع ثنائيات الإمام في رسالة مستقلة موجزة، يدرسها علماء

الأندلس للبركة عندما يعطون تلامذتهم شهادة التخرج، وتكلم بعض الناس فيه لجهلهم، ولم يصيبوا،

(8) **سعيد بن غفير**: هو من عباقرة مصر، يروي عن الليث بن سعد ومالك، وروى عنه الإمام البخاري وغيره، وكان له باع طويل في التاريخ والسير والأدب والأنساب والشعر إضافة إلى علم الحديث، وكان من مواليد 146هـ ، وتوفي سنة 226هـ

(9) **أبومصعب الزهري**: النسخة الثامنة رواها أبومصعب الزهري، الذي كان من مشايخ المدينة المنورة، وكان أهل الحجاز لا يلتفتون إلى أهل العراق ما امتدت بأبي مصعب الحياة، وهو من رواة الصحاح، وكانت قراءته للموطأ آخر قراءة على الإمام، ولما توفي الإمام في سنة240هـ كان أبومصعب متوليا القضاء،

(10) **نسخة مصعب بن عبد الله الزبيري**

(11) **نسخة رواها مُحَمَّد بن المبارك**

(12) **نسخة سليمان بن برد**،

لقد جمع الغافقي اثنا عشر نسخة هذه في مجلد ضخم،

(13) **نسخة يحيى بن يحيى**

(14) **نسخة أبوحذافة السهمي**، لا يراه المحدثون من الثقات ولا يعتمدون عليه، وهو آخر من توفي من تلامذة الإمام مالك في بغداد سنة259هـ

(15) **نسخة أبي مُحَمَّد سويد بن سعيد الهروي**، روى عنه الإمام مسلم وابن ماجة، وكان قد تغير حفظه في آخر عمره، توفي سنة 224هـ

(16) نسخة مُحَمَّد بن الحسن الشيباني الحنفي الفقيه الشهير المعروف، وكان من أهل الشام، ولد في "واسط" وترعرع ونشأ في الكوفة، أخذ الحديث عن مالك بن أنس، والفقه من أبي حنيفة النعمان، حتى أصبح ركنا من أركان الفقه الحنفي، وكان بارعا في اللغة والأدب، والفقه والرياضي، لقد رتب الإمام مُحَمَّد بن الحسن "الموطأ" ترتيبه، وذكر المسائل الفقهية عقب كل حديث، وضم فيه أحاديث الإمام أبي حنيفة النعمان، لذلك سمي "موطأ مُحَمَّد بن الحسن الشيباني"

إعتناء العلماء بالموطأ:

إن الاعتناء بأي كتاب أو تأليف شرحا وتعليقا وتحشية من العلماء دليل ساطع وحجة باهرة على قبوله والإعجاب به، ويزداد هذا القبول والإعجاب إذا كان هذا الإعتناء من أصحاب العلم والفضل ومن أهل الكمال والنبوغ، و"الموطأ" يمتاز في ذلك بهاتين الصفتين، فقد قام 25/ شخصا من كبار العلماء بشرحه والتعليق عليه وخدمته خدمة علمية، ولو ترى من ناحية النبوغ والفضل والكمال لمن خدم "الموطأ" فتجد أنهم من العباقرة والأئمة الفضلاء الذين طبق صيتهم وعلمهم الآفاق، ومن هؤلاء الأعلام النبلاء من المتقدمين ابن حبيب المالكي (ت/ 239هـ) وأبوسليمان البستي الخطابي(ت/388هـ) وابن رشيق القيرواني ت/456، والمحدث ابن عبد البر ت/463هـ، والإمام الباجي الأندلسي ت/474هـ، والقاضي عياض ت/544هـ، والقاضي أبوبكر بن العربي ت/544هـ ومن المتأخرين

الحافظ جلال الدين السيوطي ت/911هـ والعلامة الزرقاني ت/1122هـ، والإمام الدهلوي ت/1176هـ وغيرهم من العلماء الكبار،

لخص أحاديث "الموطأ" الإمام الخطابي والحافظ السيوطي وابن حزم وأبو الوليد الباجي بحذف الفتاوى، والسيوطي خرج رواة "الموطأ"،

وعالج لغته أحمد بن عمران الأخفش والقاضي عياض، وألقى الباجي والدارقطني الضوء على اختلاف النسخ، وجمع الأحاديث المتصلة من "الموطأ" أبوالحسن علي بن مُحَمَّد القابسي، وذكرالخطيب البغدادي وابن بشكوال أحوال الرواة عن الإمام مالك بن أنس، ([1])

ونذكر فيما يلي فهرسا لمن قام بأي خدمة للموطأ.

([1]) لم يعتن بكتاب من كتب العلم والحديث اعتناء الناس بالموطأ

شروح الموطأ

- شرح الموطأ، أبو مروان بن عبد الملك بن حبيب المالكي ت/239هـ([1])، ويعتبر هذا أقدم شرح للموطأ
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر القرطبي ([2])ت/463، شرح المؤلف فيه معاني الموطأ، وقام بدراسة

([1]) هو أبو مروان أو أبو هارون، عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن العباس بن مرداس السلمي الإلبيري القرطبي الأندلس المالكي. ولد سنة 174هـ. وعبد الملك بن حبيب كان من موالي سُليم، وفي جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: "قيل: من أنفسهم، وقيل: من موالهم، وقيل: إنه من موالي سليم، أصله من طليطلة و انتقل جده سليمان إلى قرطبة و انتقل أبوه حبيب وإخوته في فتنة الرّبض إلى إلبيرة، ثم انتقل عبد الملك إلى قرطبة نقله إليها الأمير عبد الرحمن بن الحكم". قال ابن سعيد في المُغرب: "أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي الإلبيري، فقيه الأندلس الذي يضرب به المثل، حج وعاد إلى الأندلس بعلم جم وجل قدره عند سلطان الأندلس عبد الرحمن الأوسط المرواني، وعرض عليه قضاء القضاة فامتنع. وهو نابه الذكر في تاريخ ابن حيان والمسهب وغيرهما". وجاء في كتاب نفح الطيب: (كان محمد بن لبانة، الفقيه القرطبي، يقول: "فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وراويها يحيى بن يحيى" وتوفي عبد الملك بن حبيب رحمه الله في أول ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن رحمه الله يوم السبت لأربع مضين من رمضان، وقيل في ذي الحجة، سنة 238هـ = 853م، وجعل بعضهم وفاته سنة 239هـ. وقيل: سنة 237هـ

(2) قال الذهبي في السير هو الإمام العلامة ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي ، القرطبي ، المالكي ، صاحب التصانيف الفائقة، مولده في سنة ثمان وستين وثلاثمائة في شهر ربيع الآخر. وقيل : في جمادى الأولى . فاختلفت الروايات في الشهر عنه. وطلب العلم بعد التسعين وثلاثمائة ، وأدرك الكبار ، وطال عمره وعلا سنده ، وتكاثر عليه الطلبة ، وجمع وصنف ، ووثق وضعف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، وخضع لعلمه علماء الزمان ، وفاته السماع من أبيه

الأسانيد، وذكر الفواد الفقهية العديدة، ورتبه على الترتيب الهجائي للرواة

- "الاستذكار" لابن عبد البر، اختصر المؤلف فيه كتابه،
- "المنتقى"، "الايماء" "الاستيفاء" أبو الوليد الباجي([1]) ت/474هـ، ثلاثة شروح للموطأ لمؤلف واحد

الإمام أبي محمد فإنه مات قديما في سنة ثمانين وثلاثمائة فكان فقيها عابدا متهجدا ، عاش خمسين سنة ، سير أعلام النبلاء 154/18

([1]) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التُّجِيبِي، الباجي، القرطبي، البَطَلْيَوْسي، الذهبي الأندلسي، القاضي المالكي، المُكَنَّى بأبي الوليد، ولد الباجي -رحمه الله- يوم الثلاثاء ١٥ من ذي القعدة سنة ٤٠٣هـ، لقب بـ «الذهبي» لأنَّه اشتغل بضرب ورق الذهب للغزل وكان عالما جليلا وفقيها من الفقهاء الكبار، لقد ترك -رحمه الله- آثارًا علميةً نافعةً، وثروةً و افرةً قيِّمةً من الكتب والرسائل في مجالات شتَّى وفنون متنوِّعة جمعت بين المنقول والمعقول، والرواية والدراية، تشهد له بالمعرفة، وسعة علمه، ومكانته الراقية بين علماء زمانه، وقد حَفِظَتْ لنا مختلفُ المصادر والمراجع عناوين كتبه ومسائله منها ما خرج إلى حيِّز الوجود مطبوعًا ومتداولًا، ومنها ما بقي مخطوطًا، فله مؤلَّفات في فقه أحاديث الموطَّأ والمسائل الفرعية عليها مثل: «الاستيفاء»، و«المنتقى»، و«الإيماء»، وله في شرح المسائل الفقهية في المدوَّنة أو في اختصارات عليها وتهذيبها منها: «شرح المدوَّنة»، و«مختصر المختصر»، و«المهذب»، وفي المجال الفقهي أيضًا له: «المقتبس في علم مالك بن أنس»، وكتاب «فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام». وله في مجال الحديث والرجال والتراجم مؤلَّفات منها: «التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح»، و«اختلاف الموطآت»، و«فرق الفقهاء»، و«التبيين لمسائل المهتدين»، و«فهرست». أمَّا مُصنَّفاته الأصولية والجدلية فمنها: «إحكام الفصول في أحكام الأصول»، و«الإشارة إلى معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل»، و«الحدود في أصول الفقه»، و«الناسخ والمنسوخ في الأصول»، و«تفسير المنهاج في ترتيب طرق الحجاج». وله مُصنَّفات في الزهد والرقائق منها: «سنن الصالحين وسنن العابدين»، وكتاب «سبيل المهتدين». كما له مصنَّفات في علوم أخرى مثل: «التسديد إلى معرفة

- ابن رشيق القيرواني([1]) ت/456هـ، اختصر المؤلف فيه التمهيد لابن عبد البر
- "الانتقاء"، الشيخ زين الدين ابن عمر الحلبي ([2]) اختصر كتاب "التمهيد" لأبن عبد البر
- شرح الموطأ، لابن أبي صفرة ([1])

التوحيد»، و«تفسير القرآن»، و«الانتصار لأعراض الأئمَّة الأخيار»، وفي اللغة: «تهذيب الزاهر لابن الأنباري» انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (٤٢٩)، «معجم ما استعجم» للبكري (١/ ٥٦)، «العبر» لابن خلدون (٣/ ٥٧٧)

([1]) هو الحسن بن رشيق، أبو علي القيرواني ، أحد الشعراء الأفاضل البلغاء، وُلِدَ بِالمسِيْلَة بالمغرب، وقيل: وُلِدَ بالمهدية سنة 390هـ، قال الحموي:" كان شاعراً أديباً نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً، كثير التصنيف، حسن التأليف، وكان بينه وبين ابن شرف الأديب مناقضات ومحاقدات، وصنَّف في الردّ عليه عدة تصانيف" ومن أشهر مؤلفاته : "العمدة في صناعة الشعر ونقده" وغيره، توفي ابن رشيق القيرواني في مازر إحدى قرى جزيرة صقلية، سنة 463هـ ، وقيل: سنة 456هـ،

(2) هو زين العابدين أبو حفص عمر بن أحمد بن علي بن محمود الشَّمَّاع، الحلبي الشافعي الفقيه الأثري الشاعر الأخباري الحديثي الصوفي، مُسْنِد حلب ومُحَدِّثها وإمامها، وُلِدَ سنة 880هـ، وكان عالما جليلا بارعا في الفنون، هـ مؤلفات كثيرة، ذكر ابن الحنبلي منها في ترجمته في "در الحبب" خمسة وعشرين كتابًا، منها: نزهة العين، في بيان رجال الصحيحين. -2المنتخب الرضي، من مسند الشافعي -3. الدر المنضد، من مسند أحمد -4. لقط المرجان، من مسند أبي حنيفة النعمان.5 إتحاف العابد الناسك، بالمنتقى من موطأ مالك -6. القبس الحاوي، لغرر ضوء السخاوي، وهو مطبوع -7. اليواقيت المكللة، في الأحاديث المسلسلة، وغيرها من الكتب، توفي بحلب في أواسط صفر سنة 936هـ، أنظر ترجمته : در الحبب في تاريخ أعيان حلب (1012/2 - 1025) ترجمة رقم (341)، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة (222/2)، شذرات الذهب في أخبارِ مَنْ ذَهَب (306/10)

- "شرح الموطأ"، للقاضي أبو عبد الله بن الحاج([2])
- "شرح الموطأ" لأبي الوليد بن عود([3])
- "شرح الموطأ" لأبي القاسم بن الجد الكاتب ([4])
- "شرح الموطأ" لأبي الحسن الاشبيلي ([5])

---

(1) هو المهلب بن احمد بن أسيد بن أبي صفرة أبو القاسم التميمي له كلام في شرح الموطأ، أنظر مدارك 82/2، وكان أحد الأئمة الفصحاء، الموصوفين بالذكاء. أخذ عن : أبي محمد الأصيلي ، وفي الرحلة عن أبي الحسن القابسي ، و أبي الحسن علي بن بندار القزويني ، و أبي ذر الحافظ، توفي في شوال سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، سير أعلام النبلاء 17/ 579

(2) هو أبو عبد الله ابن الحاج القاضي له شرح كبير على الموطأ ، أنظر المدارك 2/ 82، قال الذهبي في النبلاء: شيخ الأندلس ومفتيها ، وقاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب التجيبي القرطبي المالكي ابن الحاج، قال ابن بشكوال :كان من جلة العلماء ، معدودا في المحدثين والأدباء ، بصيرا بالفتوى ، كانت الفتوى تدور عليه لمعرفته ودينه وثقته ، وكان معتنيا بالآثار، جامعا لها ، ضابطا لأسماء رجالها ورواتها ، مقيدا لمعانيها وغريبها ، ذاكرا للأنساب واللغة والنحو. إلى أن قال : قيد العلم عمره كله ، ما أعلم أحدا في وقته عني بالعلم كعنايته ، سمعت منه ، وكان لينا حليما متواضعا ، لم يحفظ له جور في قضية ، وكان كثير الخشوع والذكر، قتل ظلما يوم الجمعة ، وهو ساجد ، في صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة" أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي 614/19

(3) هو أبو الوليد ابن العواد، وقيل بن عود

(4) هو أبو القاسم ابن الجد له اختصار التمهيد، المدارك 84/2

(5) هو الإمام الفقيه الأصولي المفسر علي بن محمد بن محمد. أبو الحسن الخزرجي الإشبيلي ثم الفاسي، يعرف بابن الحصار، كان محدثا راوية فقيها، مفسرا، عارفا بأصول الفقه، متحققا بعلم الكلام، ذا حظ و افر من علوم اللسان وقرض الشعر، ومن أبرز مؤلفاته التي نقلها مترجموه: مقالة في إعجاز القرآن، والناسخ والمنسوخ، ذكره عبد الواحد المراكشي في الذيل والتكملة والسيوطي في الإتقان. يقول السيوطي: «وقال أبو الحسن، ابن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ: المدني باتفاق عشرون سورة والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما

- "شرح الموطأ" أبوعمر الطليطلي ([1])
- "القبس" أبوبكر بن العربي المغربي ([2]) ت/546هـ
- " المقبس" لأبي مُحَمَّد عبد الله البطليوسي ([3]) ت/ 521هـ

عدا ذلك مكي باتفاق ثم نظم في ذلك أبياتا»، وله كذلك: تقريب المدارك في وصل المقطوع من حديث مالك، وبيان البيان في شرح البرهان، ومقالة في النسخ على مآخذ الأصوليين، وتقريب المرام في تهذيب أدلة الأحكام في أصول الفقه، ومصنف في علم الكلام، ومقالة في الإيمان والإسلام، وعقيدة سماها «تلقين الوليد وخاتمة السعيد»، وشرحها في أربعة مجلدات متوسطة، و«مقالة في الحيض والنفاس». لقد وافته المنية بالمدينة ودفن بالبقيع في حدود سنة (ت610هـ)، وقيل: (611هـ) الوافي بالوفيات (83/22)

(1) وقال في ترتيب المدارك : "وألف مسند الموطأ رواية القعنبي أبو عمر بن خضر الطليطلي و إبراهيم بن نصر السرقسطي" أنظر ترتيب المدارك 2/ 85، ولا أعرف أنه كتب شرح المؤطا

([2]) هوالإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف والتآليف، ولد في شعبان سنة 468هـ في أسرة علمية، وهو غير ابن العربي الصوفي المعروف، كان ابن العربي ثاقب الذهن، عذب المنطق، كريم الشمائل، كامل الرياسة، ولي القضاء بإشبيلية فاشتد على المفسدين والفاسقين، وكان أهلها منذ أيام المعتمد بن عباد يغلب عليهم الترف والدعة والاشتغال بالبطالة، فاشتد عليهم وتفنن في تأديبهم، فثقل على الحاكم والمحكومين، فعزل من منصبه و أقبل بعدها على نشر العلم وتدوينه، وصار ذلك دأبه حتى بلغ درجة الاجتهاد عند كثير من أهل العلم.ولقد ترك ابن العربي مصنفات كثيرة نافعة من أشهرها تفسيره الرائع أحكام القرآن والذي بنى على أساسه القرطبي تفسيره الشهير، وله كتاب «عارضة الأحوذي» في شرح سنن الترمذي وله كتاب العواصم من القواصم الذي أعاد به للصحابة مكانتهم العالية وغصت بهذا الكتاب حلوق كل كاره ومنغص لخير البشر بعد الأنبياء والمرسلين، ومن كتبه "القبس"، و" المسالك على مؤطا مالك"

(3) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيْد البَطَلْيَوْسي النحوي، من كبار أئمة اللغة والأدب في الأندلس، أصله من مدينة شلب ، ومولده في بطليوس Badajoz غربي قرطبة. أحد من

- "الموعب" لأبي الوليد بن الصفار([1])
- "المستقصى" ليحيى بن مزين ([2])
- "القرب" مُحَمَّد بن الزمنين ([3])

تفخر به جزيرة الأندلس من علماء العربية.، كان البطليوسي واسع المعرفة بفنون العلم؛ محدِّثاً وفقيهاً ولغوياً ونحوياً وأديباً وناقداً وشاعراً ومؤرخاً عارفاً بأيام العرب وأشعارها، وكان أيضاً فيلسوفاً، ولقب بنحوي زمانه، وبشيخ النحاة، ألف كتبا نافعة عديدة، ومنها "المقتبس" في شرح المؤطا، أنظروفيات الأعيان 3/ 86

(1) هو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار القرطبي، ولد سنة (٣٣٨هـ) ونشأ في طلب العلم، سمع من ابن ثابت وزكريا بن بطال و ابن أبي زمنين، و ابن أبي العرب وغيرهم. كان ابن الصفار متفنِّنًا في علومٍ شَتَّى، برع في الحديث ومروياته، فكان شيخ الأندلس أعلاهم سندًا وأوسعهم جمعًا للحديث، وكان رجلًا صالحًا يميل إلى العبادة والنسك، متقدِّمًا بين الفقهاء ومقدَّما في علم اللسان والأدب، من مؤلَّفاته: «كتاب الموعب في تفسير الموطأ»، و«جمع مسائل ابن زرب»، و«فضائل المنقطعين إلى الله»، و أكثر مؤلفاته في أخبار الزهاد وأرباب الرقائق. توفي سنة (٤٢٩هـ) سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٥٦٩)، «مرآة الجنان» لليافعي (٣/ ٥٢)، «شذرات الذهب» لابن العماد (٣/ ٢٤٤)

(2) أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن مزين الطليطلي مولى رملة بنت عثمان بن عفان، أصله من طليطلة، و انتقل عند ثورة أهلها إلى قرطبة .أحد علماء وشيوخ المالكية في الأندلس، كان يحيى بن مزين من أهل الفضل، والدين، والحفظ، عارفا بمذهب أهل المدينة، حافظا للموطأ حفظا متقنا، قال ابن لبابة: "أفقه من رأيت في علم مالك، وأصحابه يحيى بن مزين"، له كتب في شرح الموطأ ورجال الموطأ

([3]) هو الإمام القدوة الزاهد ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد ، المري الأندلسي الإلبيري ، شيخ قرطبة . تفنن ، واستبحر من العلم ، وصنف في الزهد والرقائق ، وقال الشعر الرائق، وكان صاحب جد وإخلاص ، ومجانبة للأمراء. ولد في أول سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وتوفي في ربيع الآخر، سنة تسع وتسعين و ثلاثمائة، اختصر " المدونة " وله " منتخب الأحكام " مشهور، وكتاب " الوثائق " و" مختصر تفسير ابن سلام "، وكتاب " حياة القلوب " في الزهد ،

- " المسالك" أبوبكر ابن السابق الصقلي([1])
- "شرح الموطأ" للقاضي مُحَمَّد بن سليمان بن الخليفة ([2])
- "كشف المغطا عن الموطأ" لجلال الدين السيوطي ت/911هـ([3])
- "تنوير الحوالك على موطأ مالك" لجلال الدين السيوطي ت/911هـ
- "تجريد أحاديث الموطأ" لجلال الدين السيوطي ت/911هـ، جمع المؤلف فيه الأحاديث فقط

وكتاب " أدب الإسلام " ، وكتاب " أصول السنة " أنظر سير أعلام النبلاء : الطبقة الثانية والعشرون 17 / 189

(1) هو محمد بن سابق الصقلي، يكنى: أبا بكر، الجزيري نسبة إلى جزيرة شقر، وعرف بابن الرماح، رحل من صقلية متجها إلى الأندلس، وأخذ عنه أهل غرناطة، وكان من أهل الكلام مائلا إليه، ومن مؤلفاته الكتاب المجموع في الأصول والفروع"."تقريب الأصول العقلية وترتيب الفصول الشرعية، و"أدلة النظر والرد على من زاغ وكفر" و" إحكام المحاضرة في أحكام المناظرة" و"المسالك في شرح موطأ مالك "، توفي بمصر في ربيع الأول، سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة (493هـ)

(2) هو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن خليفة، كان من أهل العلم، ولي الشورى بإشبيلية، ثم اسقط عنها، وتوفي أبو عبد الله سنة خمسمائة، ألف "المحلى شرح الموطأ" وقال في الديباج: ألف كتابه في شرح (الموطأ) سماه:كتاب (المحلى) عرض على الفقيه أبي المطرف الشعبي فأمر أن يجعل على الحاء نقطة من فوق، ولم ينفق هذا الكتاب عند الناس، ولا وقع منهم باستحسان" أنظر: الديباج المذهب 243/2

(3) وهو خاتمة الحفاظ الحافظ جلال الدين السيوطي صاحب التصانيف، وجامع الفنون،هو أشهر من نار على علم بين العلماء والدارسين، أنظر لترجمته: حسن المحاضرة 1/ 335، شذرات الذهب 51/8، معجم المؤلفين5/ 128

- "شرح الزرقاني"، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي ([1])ت/122هـ، شرح الموطأ في ثلاث مجلدات
- " شرح الموطأ" بيري زاده الحنفي مفتي مكة المكرمة ([2])، شرح، كما ذكر الإمام اللكنوي في مقدمة التعليق الممجد
- "شرح موطأ" للشيخ علي القاري الحنفي ([3]) شرح، كما ذكر الإمام اللكنوي في مقدمة التعليق الممجد

---

(1) قال عنه الزركلي في الإعلام: محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، أبو عبد الله :خاتمة المحدثين بالديار المصرية .مولده ووفاته بالقاهرة، ونسبته إلى زرقان من قرى منوف بمصر، ومن كتبه (تلخيص المقاصد الحسنة) في الحديث، و(شرح البيقونية) في المصطلح، و(شرح المواهب اللدنية)، و(شرح موطأ الإمام مالك)، و(وصول الأماني) في الحديث.شرح مؤطا مالك و سماه" أبهج المسالك في شرح مؤطا الامام مالك"، وهو شرح وسط بين الطول والقصر، وتعرض فيه لشرح متون الأحاديث من جهة اللغة، و أفاض في شرح المذاهب الفقهية، وقد نال الكتاب حظا موفورًا من الشهرة.

([2]) قال الإمام اللكنوي في مقدمة التعليق الممجد: "ومنهم العلارمة إبراهيم الشهير ب"بيري زاده" الحنفي، شرح المرطأ بروايةمحمد، قال الفاضل مجمد بن فضل الله المحبي الدمشقي في كتابه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" الشيخ ابراهيم بن حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن بيري، مفتي مكة، أحد أكابر الفقهاء الحنفية وعلماءهم المشهورين، ومن تبحر في العلم، وتحرى في نقل الأحكام، وحرر المسائل، و انفرد في الحرمين بعلم الفتوى، وجدد من مآثر العلم ما دثر..... توفي يوم الأحد سادس عشر شوال سنة تسع وتسعين وألف" أنظر مقدمة الإمام اللكنوي التعليق الممجد1 /106، بتحقيق الدكتور تقي الدين الندوي

(3) يقول الإمام اللكنوي في مقدمة التعليق الممجد: " ومنهم :صاحب العلم الباهر والفضل الظاهر الشيخ علي القاري الهروي، له شرح على المؤطا محمد في مجلدين مشتمل

- "المصفى" للإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، ت/1176هـ([1])، تعليق على الموطأ باللغة العربية، ذكر فيه اختلافات المسائل بين الفقهاء،
- "المسوى" للإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، ت/1176هـ، شرح الإمام الدهلوي باللغة الفارسية، تكلم فيه مثل كلام المجتهدين

على نفائس لطيفة وغرائب شريفة إلا أن فيه في تنقيد الرجال مسامحات كثيرة، كما ستطلع عليها إن شاء الله، وله تصانيف كثيرة،" وذكر اللكنوي أكثر من خمسين كتابا، ثم قال نقلا عن خلاصة الأثر: "علي بن محمد سلطان الهروي المعروف بالقاري الحنفي نزيل مكة، وأحد صدور العلم، فرد عصره، الباهر السمت في التحقيق والعبارات، وشهرته كافية عن الاطراء في وصفه، ولد براة ورحل إلى مكة..... وكانت وفاته بمكة في شوال سنة أربع عشرة وألف" أنظر مقدمة التعليق الممجد 1/ 107- 108

(1) الإمام ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوي شخصية فذة نادرة عملاقة، شخصية جامعة بين العلم والعمل، والتعليم والتزكية، والروح والعاطفة، والدعوة والجهاد، قلما يجود الزمان بأمثاله، وهو الذي جمع العلم والفضل من جوانبه، وكان من العلماء المجددين للعلوم الإسلامية في الهند، ولد أحمد بن عبد الحليم في دهلي بالهند في (14 من شوال 1114 هـ= 2 من مارس 1703م) في أواخر عهد السلطان أورنجزيب (أحد سلاطين الدولة التيمورية العظام)، ونشأ في بيت علم وصلاح، وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال تُوفِّي الشيخ في (26 من المحرم 1176هـ= 17 من أغسطس 1762م)، تاركًا أربعة من أولاده العلماء هم: "شاه عبد العزيز "الذي قام مكانه في العلم والعمل، و"شاه رفيع الدين"، و"شاه عبد القادر"، و"شاه عبد الغني"، ومخلفًا ذكرى عطرة لا يزال شذاها يفوح حتى الآن، أنظر لترجمته: نزهة الخواطر، ورجال الفكر والدعوة للندوي المجلد الخامس، والجزء اللطيف للدهلوي، وقد طبع لي كتاب عنه: " الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي حياته، آراءه، ودوره في التجديد والإصلاح"

- "المحلى" لشيخ سلام الله الحنفي الدهلوي([1])، شرح الموطأ، وهو في غاية الجودة، توجد منها نسخة مخطوطة خاصة بالمؤلف في مكتبة "بانكي فور"، مكتوب على الصفحة الأولى: "الفضل الكبير"

وليراجع للتفصيل "كشف الظنون" وتزيين الممالك للسيوطي، ذكرها السيوطي عن المدارك.

([1]) قال اللكنوي: "ومنهم الشيخ سلام الله الحنفي من أولاد الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي له شرح على المؤطا برواية يحيى، سماه "المحلى بأسرار المؤطأ" وله شرح شمائل الترمذي" أنظر مقدمة التعليق الممجد 1/ 104

كتب التجريد ومسانيد الموطأ

هذه قائمة بعض ألفت من كتب التجريد والمسانيد للموطأ:

- " مسند الموطأ "، لقاسم بن أصبغ ([1])، انتخاب للأحاديث المتصلة والمسندة، وترتيبها
- " مسند الموطأ " لأبي القاسم الجوهري ([2])
- " مسند الموطأ " لأبي ذر الهروي ([3])
- " مسند الموطأ " لأبي الحسن علي بن حبيب السجلماسي([4])
- " مسند الموطأ " المطرز ([1])

([1]) هو الإمام الحافظ العلامة محدث الأندلس أبو محمد قاسم بن اصبغ القرطبي مولى بني أمية سمع بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وأصبغ بن خليل ومحمد بن عبد السلام الخشني وطائفة ..له ترجمة في "سير الأعلام"(15\472) و"الديباج"(ص321 رقم 426)، توفي سنة 340هـ

([2]) هو أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن محمد الغافقي الجوهري، ألف كتاب "مسند الموطأ"، وكتاب "مسند ما ليس في الموطأ"، توفي سنة 385هـ "الديباج"(ص241 رقم 306) و"الشذرات"(3\101) و"السير"(10\256)، وكتابه طبع بدار الغرب الاسلامي بيروت 1994 بتحقيق (عبدالمجيد التركي)

([3]) هو الحافظ الإمام المجود العلامة شيخ الحرم أبو ذر عبد بن أحمد المعروف ببلده بابن السماك الأنصاري خراساني الهروي المالكي، صاحب التصانيف، توفي سنة 334هـ، ترجمته في "الديباج"(ص311 رقم 416) و"الشذرات"(3\254) و"تاريخ بغداد"(11\141)

(4) قال الذهبي في ترجمة الامام مالك بن أنس : ولأبي الحسن بن حبيب السجلماسي " مسند الموطأ " أنظر سير أعلام النبلاء ، الطبقة السابعة، ترجمة الإمام مالك

- " مسند الموطأ " لأحمد بن قهراء ([2])
- " مسند الموطأ " للقاضي ابن مفرّج ([3])
- " مسند الموطأ " لابن الأعرابي ([4])
- " مسند الموطأ " لأبي بكر أحمد بن سعيد بن موضح الأخميني ([5])
- " مسند الموطأ " لأبي عمرو بن خضر الطليطلي، ألف "مسند الموطأ" برواية القعنبي
- " مسند الموطأ " لإبراهيم بن نصر السرقسطي ([6])
- " مسند أحاديث الموطأ "، لأبي القاسم عبد الرحمن الغافقي ت/381هـ ([1])

([1]) لعله محمد بن عبد الواحد أبو عمر الزاهد المطرز اللغوي الحنبلي ، المتوفى سنة 345 هـ

([2]) في الأصل [قهزاء] والمثبت من "ترتيب المدارك"

(3) هو الإمام الفقيه الحافظ القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج الأموي مولاهم القرطبي ، سمع أبا سعيد بن الأعرابي وقاسم بن اصبغ ، توفي سنة 380 هـ له ترجمة في "سير الأعلام"(16\392)

(4) هو الإمام المحدث القدوة الصدوق الحافظ شيخ الإسلام أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي البصري الصوفي، نزيل مكة ، وشيخ الحرم المتوفى سنة 340هـ ، له ترجمة في "سير الأعلام"(15\410)

(5)وقيل هو أحمد بن سعيد بن فوضخ الإخميمي، له مسند المؤطا، أنظر: مدارك 2/ 83

(6) هو أبو إسحاق إبراهيم بن نصر السرقسطي، محدث، توفى سنة 287 هـ ، ترجمته في " جذوة المقتبس"(291) و" بغية الملتمس" (524)

- " ملخص الموطأ " لأبي سليمان الخطابي البستي ت/388 هـ([2])
- " التغطا بحديث الموطأ " لابن عبد البر القرطبي ت/463هـ
- " الملخص" ([3]) لأبي الحسن علي بن مُحَّدالقابسي ت/403هـ .([4])

---

(1) قال الذهبي في النبلاء : الإمام الحافظ أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي الجوهري ، من أعيان المصريين المالكية، صنف " مسند الموطأ " بعلله ، واختلاف ألفاظه ، وإيضاح لغته ، وتراجم رجاله ، وتسمية مشيخة مالك ، فجوده ، وكان يرويه جعفر الهمداني ، عن العثماني ، عن الحضرمي و ابن خلف معا ، عن أحمد بن نفيس ، عنه ، سمعه الشيخ حسن من بنت الواسطي بإجازتها من جعفر ، وألف حديث مالك مما ليس في الموطأ. قال الحبال و أبو القاسم بن منده :مات في رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة" أنظر سير أعلام النبلاء: 436/16

(2) كان فقيها، محدثا، أديبا، له التصانيف المفيدة في علم الحديث، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان 214/2، معجم المؤلفين 450/1

(3) أنظر هذا التفصيل في التزيين للسيوطي، وذكر فيه، ألف ابن عبد البر"التقصي في مسند حديث الموطأ ومرسله" أنظر: تزيين الممالك ص:118 وسماه أيضا " التجريد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ألفه بعد كتابه "التمهيد"، ونبه فيه على اختلاف رواة فيما أرسلوه أو وصلوه، وذكر في آخره بابا فيما لم يذكر في رو اية يحيى من الأحاديث المرفوعة مما ذكره غيره، والكتاب مطبوع في دار الكتب العلمية بدون تحقيق، وهو في حاجة إليه

(4) هو الإمام الحافظ الفقيه العلامة عالم المغرب أبو الحسين علي بن محمد بن خلف المعافري القروي القابسي المالكي صاحب الملخص المتوفى سنة 403هـ له ترجمة في سير الأعلام (158/17)

كتب في اختلاف الموطآت

هذه بعض الكتب ألفت في إختلاف الموطآت،

- "اختلاف الموطآت" لأبي الحسن الدراقطني ([1])، ذكر فيه اختلاف النسخ، والروايات للموطأ، وفيه تحقيق القول في بيان النسخ
- " اختلاف الموطآت " للقاضي أبي الوليد الباجي، ذكر فيه اختلاف النسخ، والروايات للموطأ، وفيه أيضا تحقيق القول في بيان النسخ

(1) طبع في المكتبة الأزهرية للتراث مصر1419هـ بتحقيق الشيخ (محمد الكوثري)

كتب عن رجال موطأ

هذه كتب أفردت برجال المؤطأ، ذكرت فيها تراجم رواة الموطأ وأحوالهم:

- " رجال الموطأ " للقاضي أبو عبد الله مُحَمَّد بن يحيى الحذاء ([1])
- " رجال الموطأ " لأبي عبد الله بن مفرج ([2])
- " رجال الموطأ " للبرقي([3])
- " رجال الموطأ " لأبو عمر الطليطلي
- " إسعاف المبطأ برجال الموطأ " لجلال الدين السيوطي

([1]) في الأصل [الحدار] والتصويب من "الديباج"، هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحذاء التميمي ، له شرح على ""الموطأ" سماه كتاب "الإستنباط لمعاني السنن والأحكام من أحاديث الموطأ" ثمانون جزءا، وكتاب "التعريف برجال الموطأ" أربع مجلدات، توفي سنة 410هـ ، "الديباج" (ص367 رقم 498) و "الشذرات" (206/3)

([2]) هو الحافظ محدث الأندلس محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج الأموي، مولاهم القرطبي، توفي سنة 380هـ "الديباج"(ص405 و409 رقم 561 و548) و "الشذرات"(97/3)

(3) هو محمد بن عبد الرحيم بن أبي زرعة البرقي المتوفى سنة 249هـ، ترجمته في "الديباج"(ص332 رقم 443) و "سير الأعلام (9\10) ، وله كتاب في غريب المؤطأ

كتب عن غريب الموطأ

هذه كتب ألفت في بيان غريب الموطأ ، فيها بيان لمعاني المفردات للموطأ

- "غريب الموطأ" للبرقي،
- " غريب الموطأ " لأحمد بن عمران الأخفش ([1])
- " غريب الموطأ " لأبو القاسم العثماني المصري
- " مشارق الأنوار " للقاضي عياض،([2]) شرح مفردات صحيحي البخاري ومسلم والموطأ،

([1]) هو أحمد بن عمران الأخفش المعروف بالالهاني ، يروي عن يزيد بن هارون، أنظر ترجمته في" الأنساب" (95/1)، وألف في غريب المؤطا غير هؤلاء المذكورين، ومنهم: حسن بن عبد الله بن حسن المعروف بابن الأشيري له مجموع في غريب الموطأ، ومحمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري الندرومي التلمساني (625 هـ) له كتاب المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار، وكتاب في غريب الموطأ، ومحمد بن المصلى له لوامع الأنوار في نظم غريب الموطأ ومسلم، أنظر تاريخ التراث 125/2

([2]) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي العلامة والفقية المؤرخ (ت/544هـ) كانت حياته عامرة بمهام القضاء والتعليم والتأليف، غير أن الذي أذاع شهرته، وخلَّد ذكره هو مصنفاته التي بوَّأَتْه مكانة رفيعة بين كبار الأئمة في تاريخ الإسلام، وحسبك مؤلفاته التي تشهد على سعة العلم و إتقان الحفظ، وجودة الفكر، والتبحر في فنون مختلفة من العلم. وكان القاضي عياض في علم الحديث الفذَّ في الحفظ والرواية والدراية، العارف بطرقه، الحافظ لرجاله، البصير بحالهم؛ له مصنفات كثيرة، يصفها ابن خلكان في الوفيات: "كل تصانيفه بديعة" وألف " ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" هو كتاب من عدة أجزاء للقاضي عياض ويعتبر أكبر موسوعة تتناول ترجمة رجال المذهب المالكي ورواة "الموطأ" وعلمائه.

كتب رواة الموطأ عن مالك

هذه كتب ذكرت فيها أحوال وتراجم من روى "الموطا" عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله،

- " تسمية من روى الموطأ عن مالك " لأبو القاسم ابن بشكوال الأندلسي([1])
- " رواة مالك " خطيب البغدادي ([2])
- " رواة مالك " للقاضي عياض
- " ايجاب السالك برواة الموطا عن مالك" لشمس الدين الدمشقي([3])

---

(1) ابن بشكوال هو أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الخزرجي الأنصاري القرطبي، من أئمة محدثي الأندلس ومؤرخيها، ولد في قرطبة وفيها نشأ، كان ابن بشكوال موصوفاً بالصلاح وسلامة الباطن والتواضع ولين الجانب والصبروطول الاحتمال والقناعة والبعد عمّا يحط من قدره، لذلك لم يجد أحدٌ من سبيل إلى الطعن فيه، وقد عاش طويلاً حتى جاوز الثمانين، ترك ابن بشكوال عدداً كبيراً من المؤلفات، قيل إنها بلغت خمسين مؤلفاً، وقد ذكرها الذهبي في تذكرته. أشهرها: كتاب «الصلة» في مجلدين، وله كتاب «ذِكر من روى الموطّأ عن مالك» في جز أين، رتّب أسماءهم على حروف المعجم فبلغ عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً، أنظر لترجمته سير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ

(2) هو أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي صاحب التصانيف المشهورة (ت/ 463هـ)، ومن أشهر أعماله تاريخ بغداد، له كتاب في أسماء الرواة للإمام مالك بن أنس

(3) هو محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين. ولد بدمشق ، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية (سنة 837 هـ) وقتل شهيداً في إحدى قرى دمشق، قال المقريزي: طلب الحديث، فصار حافظ بلاد الشام من غير منازع، وصنف عدة مصنفات، ولم يخلف في الشام بعده مثله،

كتب في المباحث المتفرقة للموطأ

هذه كتب مؤلفة في مباحث متفرقة للموطأ

- " التقصي " لابن عبد البر(1)، فيه ذكر وصل المنقطع والمرسل، وبيان الرفع والاسناد والبلاغات،
- " أطراف الموطأ " لأبوبكر بن ثابت الخطيب (2)
- " توجيه الموطأ"، لأبي عبد الله بن عيشون الطليطلي(3)
- " السافر عن آثار الموطأ " لحازم بن مُحَمَّد بن حازم(4)، وهذا كتاب ضخم في أربعين مجلدا،
- " تاج الحلية " لأبي مُحَمَّد بن يربوع (1)، تكلم فيه على أسانيده

وقال السيوطي: ثم وقفت على كتاب ألفه الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في رواة الموطأ سماه»:إيجاب السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك «فرأيته ذكر فيه: أن الحافظ ثقة الدين أبا القاسم بن عساكر بلغ برواة الموطأ عن مالك إحدى وعشرين رجلاً، قال الحافظ ابن ناصر الدين: فتتبعت زيادة على ما ذكره، فوقع لي ثمانية وخمسون سواهم من الرواة، فبلغوا تسعاً وسبعين: أنظر تزيين الممالك

([1]) وسماه أيضا " التجريد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ألفه بعد كتابه "التمهيد"

([2]) هو الإمام الأوحد العلامة المفتي الحافظ الناقد محدث الوقت أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي صاحب التصانيف وخاتمة الحفاظ صاحب تاريخ بغداد

(3) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلي، توفي بطليطلة في سنة 341هـ ، أنظر ترجمته في الديباج (ص351 رقم 470) و"ترتيب المدارك"119/2)

(4) أنظر تزيين الممالك 117

- " جمع الموطأ " لابن جوصا (2)، لعله جمع فيه النسخ المختلفة
- " مشايخ مالك" لمسلم بن الحجاج (3) في أحوال مشايخ مالك في الحديث

الميزة الأخرى للموطأ:

وإن التاريخ الإسلامي يزخر بآلاف الأمراء والخلفاء والحكام الذين كانوا ذوي سيف وقلم، وكان يفتخر بهم العرش والمنبر معا، ولكن لم يؤثر عن أحد منهم أنه شد الرحل ورطب المطايا لطلب علم وأخذ حديث أو سماع كتاب عن شيخ، وذلك لأن قصورهم كانت مرجعا للعلماء وموئلا للأساتذة في عصورهم، ولكن يمتاز الموطأ في هذا الجانب بأنه هو الكتاب الوحيد الذي سافر لسمعه وأخذه عن الإمام خلفاء الإسلام من المهدي والهادي وهارون الرشيد والمأمون والأمين، وقطعوا الصحاري وتحملوا متاعب

---

(1) هو الأستاذ الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن سعيد بن سليمان بن يربوع الشنتريني ثم الإشبيلي، نزيل قرطبة ، المتوفى سنة 522هـ ، السير (19 \578) و"الديباج"(ص229 رقم 283) و"الشذرات"(04\66)

(2) هو الإمام الحافظ الأوحد محدث الشام أبو الحسن أحمد بن عمير بن يوسف بن موسى بن جوصا، أنظر ترجمته في أعلام النبلاء (15\15)

(3) هو الإمام الحافظ المجوّد الحُجَّة الصادق، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن القشيري النيسابوري، صاحب الجامع الصحيح، للإمام مسلم رحمه الله مؤلفات كثيرة، منها ما وُجد، ومنها ما فُقد؛ ومن هذه المؤلفات، وذكر الذهبي في ترجمته في النبلاء أنه ألف في أحوال مشايخ مالك

السفر من العراق إلى الحجاز، حتى سافر لأجله بطل الإسلام وقاهر الصليبيين وفاتح المسجد الأقصى السلطان صلاح الدين الأيوبي من القاهرة إلى الاسكندرية،([1])

هذه كانت خصائص وميزات لكتاب إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، وما اجتمعت في غيره من الكتب والمؤلفات، رحم الله الإمام وجزاه عن الإسلام والمسلمين أحسن ما يجزي عباده الصالحين، وصلى الله على النبي الكريم، والحمد لله أولا وآخرا.

([1]) قال السيوطي في التزيين: "قال القاضي الفاضل في بعض رسائله: ما أعلم أن لمالك رحلة في طلب العلم إلا للرشيد، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك، وكان أصل الموطأ سماع الرشيد في خزانة المصريين، قال: ثم رحل لسماعه السلطان صلاح الدين الأيوبي، فسمعه على أبي الطاهر بن عوف" أنظر تزيين الممالك للسيوطي

فهرس المحتويات

	الموضوع	صفحة
1	مقدمة للأستاذ الدكتور أكرم الندوي	3
2	كلمة المترجم	9
3	نبذة عن مؤلف الكتاب	19
4	تعريف بالمؤلف السيد سليمان الندوي، بقلم مسعود عالم الندوي	32
5	مقدمة المؤلف	42
6	الإمام مالك بن أنس	45
7	إسمه ونسبه	45
8	نشأته وتعلمه	50
9	فقهاء الصحابة في المدينة المنورة:	51
10	تلامذة الصحابة في المدينة المنورة:	51
11	الفقهاء السبعة	52
12	مشايخ الإمام مالك بن أنس	54
13	مشايخه من أقربائه وأسرته	55
14	نافع مولى ابن عمر	57
15	محمد بن شهاب الزهري	59
16	جعفر بن محمد	62

17	محمد بن المنكدر	**64**
18	محمد بن يحيى	**65**
19	أبوحازم سلمة	**66**
20	أبوسعيد يحيى بن سعيد	**67**
21	عدد مشايخ الإمام مالك	**68**
22	فهرس مشايخه حسب الترتيب الهجائي	**70**
23	باب الكنى	**77**
24	مشايخه من خارج المدينة المنورة	**77**
25	علم الفقه ومشايخه فيه	**78**
26	شيخ الفقه ربيعة الرأي	**79**
27	مزية الإمام في إنتخاب المشايخ	**83**
28	خصائص مشايخ الإمام مالك	**85**
29	لماذا لم يأخذ الإمام عن أهل العراق	**87**
30	لماذا لم يأخذ الإمام عن جده وبعض الفقهاء السبعة	**88**
31	إعتراف الأساتذة بفضل الإمام	**90**
32	حلقة عبد الله بن عمر ﷺ	**92**
33	حلقة نافع	**92**
34	حلقة الإمام مالك بن أنس	**93**
35	آداب الدرس في مجلسه	**96**
36	منهج الإمام في الدرس	**98**

37	ميزة هذا المنهج	**99**
38	صيت مجلس الإمام في العالم	**100**
39	الشمول الجغرافي	**101**
40	تلامذة الإمام مالك بن أنس	**104**
41	خصائص تلامذته	**104**
42	الشرائح المختلفة من تلامذة الإمام	**108**
43	الخلفاء	**108**
44	أمراء البلاد	**108**
45	التابعون ومشايخه	**108**
46	أئمة الحديث	**109**
47	الأئمة المجتهدون	**109**
48	الفقهاء	**110**
49	القضاة	**110**
50	الزهاد والصوفية	**110**
51	الأدباء والشعراء	**111**
52	المؤرخون	**111**
53	المفسرون	**111**
54	الفلاسفة	**111**
55	الفقه والفتوى	**113**
56	الفرق بين مهمة الفقيه والمحدث	**113**
57	العهد النبوي	**113**

58	الطبقة الأولى من فقهاء الصحابة	**115**
59	الطبقة الثانية	**115**
60	الطبقة الثالثة	**116**
61	أصحاب المدينة المنورة وغيرها	**116**
62	فقهاء التابعين في المدينة المنورة	**117**
63	المجمع الفقهي في المدينة المنورة	**117**
64	فقه الإمام مالك	**118**
65	الإعلان الرسمي من الحكومة	**120**
66	رأي الإمام في طلاق المكره	**120**
67	"لا أدري" الإجتناب عن الرأي فيما لا يحسنه	**122**
68	إجتناب الإمام وتحريه عن الرد على الأسئلة من المناطق البعيدة	**122**
69	بذله أقصى جهده في الإجابة على السائل	**125**
70	فضل الإمام ومكانته	**127**
71	الأوضاع السياسية العامة	**130**
72	نهاية الخلافة الأموية	**130**
73	الخلافة العباسية	**130**
74	إباء الإمام مالك بن أنس وأنفته	**133**
75	فتوى الإمام في طلاق المكره وأثره	**138**
76	إنكار منصور للحادثة وندامته عليها	**140**
77	الخلعة	**141**

78	سبب التعزير على لسان المنصور	**141**
79	إنكار الإمام في إبداء الرأي في المنصور	**143**
80	محمد المهدي	**144**
81	إنكار الإمام من القراءة	**147**
82	موطأ الهادي	**148**
83	هارون الرشيد	**148**
84	هارون والأمين والمأمون في مجلس الإمام	**149**
85	مجلس من مجالسه	**150**
86	رسالة الإمام إلى هارون الرشيد	**155**
87	وفاة الإمام مالك ابن أنس	**157**
88	أخلاقه وشمائله وخصائصه الشخصية	**161**
89	الطاعة الربانية	**161**
90	حبه للرسول	**162**
91	حبه للمدينة المنورة	**163**
92	كرمه وسخاءه	**164**
93	اهتمامه بالضيافة والقرى	**165**
94	المتانة والرزانة	**167**
95	حلمه ورحابة صدره	**167**
96	صدقه وحريته	**168**
97	الأنفة والغيرة	**169**
98	حبه للإنصاف والعدل من نفسه	**170**

99	توقيره لأهل العلم	**171**
100	وصفه	**172**
101	مصنفات الإمام مالك بن أنس	**175**
102	الموطأ	**176**
103	رسالة مالك إلى هارون الرشيد	**176**
104	أحكام القرآن	**177**
105	المدونة الكبرى	**177**
106	رسالة مالك إلى ابن المطرف	**178**
107	رسالة مالك إلى ابن وهب	**178**
108	كتاب الأقضية	**178**
109	كتاب المناسك	**178**
110	تفسير غريب القرآن	**178**
111	كتاب المجالسات عن مالك	**179**
112	تفسير القرآن الكريم	**179**
113	كتاب المسائل	**179**
114	فصل في التعريف بالموطأ	**180**
115	زمن تأليف المؤطأ	**183**
116	وجه تسمية الموطأ	**185**
117	عدد الروايات	**186**
118	موضوع الموطأ	**187**
119	الموطأ بين الكتب الأخرى للفقهاء المجتهدين	**187**

120	الموطا بين الكتب المعاصرة الأخرى	**189**
121	مكانة الموطا بين طبقات كتب الحديث	**190**
122	نسخ الموطأ	**198**
123	إعتناء العلماء بالموطأ	**203**
124	شروح الموطأ	**205**
125	كتب التجريد ومسانيد الموطأ	**215**
126	كتب في اختلاف الموطآت	**218**
127	كتب رجال موطأ	**219**
128	غريب الموطأ	**220**
129	كتب رواة الموطأ عن مالك	**221**
130	كتب في المباحث المتفرقة للموطأ	**222**
131	الميزة الأخرى للموطأ	**223**
132	فهرس المحتويات	**225**

هذا الكتاب

"وهذا الكتاب الذي بين أيدينا عرض لحياة إمام دار الهجرة، وصفاته وأخلاقه، وإبداعه الفريد" الموطأ"، سادًا به مكانا خاليا في الأدب الأردي، ألفه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، بيد أن قراءته تَشِي بأنه إنتاج طاعن في السن كبير، وعالم خبير، وكاتب قدير .....تناول في الكتاب نسب مالك ومولده، وبيئته، وثقافته، وتلقيه للعلوم، وشرف المدينة المنورة، وتاريخ فقهاء الصحابة فيها، وفقهاء التابعين، وشيوخ مالك، وأخذه للقراءة، وسماعه للحديث، وتراجم شيوخه نافع، وابن شهاب ،ومحمد بن المنكدر، وأبي حازم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة وغيرهم، وعد شيوخه على حروف الهجاء، وشيوخه من غير أهل المدينة.

وناقش فيه أخذه للفقه عن ربيعة الرأي، وموضوع الفقه والفتيا، والفرق بين الفقيه والمحدث، وطبقات فقهاء الصحابة الثلاث، وفقهاء المدينة من التابعين لاسيما الفقهاء السبعة، ومجلس الفقه في المدينة، وفقه أهل المدينة، وفقه مالك، وكراهيته للرأي، وظنية الرأي.

وتحدث عن أحواله العامة، وعدم خضوعه للسلطان في أمر الحق، وانقضاء الخلافة الأموية، ونشأة الخلافة العباسية، واقتراح منصور العباسي بإكراه الناس على العمل بالموطأ، وموقف مالك من العلويين.

وعالج أخذ الناس عنه على طبقاتهم المختلفة، ورحلة الكبار والطلبة إليه، وسبب عدم روايته لأحاديث علي وابن عباس، ووفاته، وأخلاقه وشمائله، والموطأ، وعدد أحاديثه، ومكانته من بين سائر كتب الحديث، ومزيته على الصحيحين، وروايات الموطأ، وشروحه والتعليقات عليه .....

ونعترف للأستاذ مجيب الرحمن الندوي بالفضل على ترجمته للكتاب مقدرين سعيه، والترجمة عملية صعبة مضنية تتطلب الإلمام الكافي باللغتين المترجم منها وإليها، ولم يقتصر على التعريب، بل بذل جهده في تحقيق نصوص الكتاب، والتعليق عليه بفوائد، الأمر الذي يحتاج إلى توفر همة واجتماع نشاط كبير مستمر متجدد، ولا يتأتى ذلك إلا لمن غض بصره عن كل ما لا يعنيه، وعمل على قاعدة العلم للعلم فقط." مقتبس من مقدمة د/ أكرم الندوي

Designed by Abdur Rahim, Mob: 8726305094, Email: abdurnadwi@gmail.com

Rs. 400/-